جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين

''المكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين''

The archaeological discoveries and their impact in the preponderance of the exponents sayings

إعداد الطالبة:

ردينا طلال عبدالله بني سلمان

2014186022

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص أصول الدين

إشراف الأستاذ الدكتور:

زكريا علي الخضر

الفصل الدراسي الأول: 1438هـ - 2017م

اربد - الأردن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

رسالة ماجستير بعنوان

المكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين

إعداد الطالبة

ردينا طلال عبدالله بني سلمان

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين

جامعة اليرموك إربد – الأردن

وافقت عليها لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور زكريا علي الخضر .....مشرفًا

أستاذ في التفسير وعلوم القران – جامعة اليرموك

الأستاذ الدكتور عماد عبد الكريم الخصاونة .....عضوا

أستاذ في التفسير وعلوم القرآن – جامعة ال البيت

الدكتور عبد الرزاق أحمد رجب .....عضوًا

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن – جامعة اليرموك

تاريخ مناقشة الرسالة 28 /2017/12م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى سندي... إلى من كلل العرق جبينه

إلى من علمني أن الصعاب لاتتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار

إلى والدي أطال الله بقاءه، وألبسه ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببرّه وردّ جميله.

إلى من رأيت في سيري آثار دعائها

وتلمست في بريق عينيها أبهى ما يكون عليه الحب وأماني الخير

إلى من توالت الأيام وهي تتربص للحظات النجاح والإنجاز

فكللتني بدعائها، وعظيم رجائها من الحنّان أن يذلل أمامي كل سبيل خيّرة

إلى من سهرت لياليها يضنيها عناء تربيتنا، فلا يهنأ لها بال إلا بأن ترانا في تمام الصحة والعافية

أمي الغالية فاليوم تزف إليك البشرى...فلتفرحي وتسعدي

إلى إخوتي... عزوتي وسندي وقوتي في الدنيا بعد الله تعالى

إلى أخواتي الغاليات... إلى من تذوقت معهنّ أجمل اللحظات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

إن الأعوام التي قضيتها في رحاب كلية الشريعة مع أساتذتي الكرام الذين مهدوا طريق العلم والمعرفة لنا، يفرض عليَّ أن أقف وقفة إجلال واحترام لهم.

وإني أخص بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان، الأستاذ الدكتور: زكريا علي الخضر، الذي غمرني بسعة صدره، ورحابة تعامله، منذ أن كنت في مرحلة البكالوريس، إلى أن تفضل عليّ وأشرف على هذه الرسالة، وقد كانت فكرته، شهور قد قضيتها في إعداد الرسالة، فكان نعم الموجه الناصح.

وشكري موصول لأعضاء اللجنة الموقرة، الذين شرفوني بقراءة الرسالة، وما أسدوه لي من توجيهات قيمة، وهم الأستاذ الدكتور: عماد عبدالكريم الخصاونة، والدكتور: عبدالرزاق رجب.

إلى جميع أساتذتي الأفاضل في قسم أصول الدين بوركت جهودكم وطابت مساعيكم.

إلى مكتبة جامعة اليرموك والتي قضيت فيها أجمل الذكريات، حلوها ومرها وفيها استشعرت كم أتعب العلم العلماء.

وكذلك أشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لي العون ومد لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمام هذه الرسالة وأخص بالذكر: د. نذير الشرايري

الباحثة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء..... ج

الشكر والتقدير..... د

فهرس المحتويات..... هـ

الملخص باللغة العربية..... ط

المقدمة..... ١

إشكالية الدراسة وأسئلتها..... ٢

أهداف الدراسة..... ٣

أهمية الدراسة..... ٤

الدراسات السابقة..... ٥

منهجية الدراسة..... ٦

مخطط الدراسة..... ٦

الفصل الأول

المكتشفات الأثرية وما يتصل بها من جهود علمية حديثة

المبحث الأول: المكتشفات الأثرية مفهومها وأنواعها..... ٨

المطلب الأول: مفهوم المكتشفات الأثرية..... ٨

المطلب الثاني: أنواع المكتشفات الأثرية..... ١٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المطلب الثالث: ما يلزم المستكشف الأثري..... ٢٢

المبحث الثاني: المكتشفات الأثرية والإعجاز التاريخي..... ٢٥

المطلب الأول: الإعجاز التاريخي ، تعريفه وبيان صلته بالإعجاز العلمي..... ٢٥

المطلب الثاني: فوائد الإعجاز التاريخي ٣٥

المبحث الثالث: القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني..... ٤٢

المطلب الأول : ضوابط التفسير اللازمة للتوفيق بين المكتشفات العلمية الحديثة والنص القرآني..... ٤٤

المطلب الثاني: العلوم الحديثة المساعدة في فهم النصوص القرآنية المتضمنة للإشارات التاريخية ٥١

المبحث الرابع: أسلوب القرآن الكريم في التنبيه على المكتشفات الأثرية..... ٥٥

المطلب الأول: أسلوب الدعوة الصريحة..... ٥٥

المطلب الثاني: أسلوب الإشارة والتنبيه العام..... ٦٩

الفصل الثاني

الدراسة التطبيقية للمكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين

المبحث الأول: دور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث..... ٧٧

المطلب الأول : قضية الاستخلاف "إني جاعلٌ في الأرض خليفة"..... ٧٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المطلب الثاني : ردُّ القول بالتطور في الخِلقة " نظرية الارتقاء".....٩٣

المطلب الثالث : إسقاطات (تأثيرات) نظرية التطور.....٩٧

المبحث الثاني: دور المكتشفات الأثرية في فهم الحضارات ونشوئها
بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث.....١٠٣

تمهيد في مفهوم الحضارة، وعوامل قيامها.....١٠٣

المطلب الأول: حضارة عاد "قوم هود عليه السلام".....١٠٧

المطلب الثاني: حضارة ثمود "قوم صالح عليه السلام".....١١٧

المبحث الثالث: دور المكتشفات الأثرية في السنن الإلهية في الأمم
السابقة بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث.....١٢٧

تمهيد في مفهوم السنن الإلهية وخصائصها وعوامل وقوعها.....١٢٨

المطلب الأول: سنة الله في قوم نوح -عليه السلام-.....١٣٣

المطلب الثاني: سنة الله في قوم لوط -عليه السلام-.....١٤٤

المبحث الرابع: دور المكتشفات الأثرية في وصف الأشخاص
بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث.....١٥٩

المطلب الأول : شخصية هامان في القرآن الكريم.....١٦٠

المطلب الثاني: لقب "الملك" في القرآن الكريم.....١٦٧

الخاتمة.....١٧٠

التوصيات.....١٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع.....١٧٢

الملاحق.....١٨٧

الملخص باللغة الإنجليزية.....١٩٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الملخص

بني سلمان: ردينا طلال، المكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين، 2017م، المشرف: (أ. د زكريا علي الخضر).

هدفت هذه الدراسة إلى بيان دور المكتشفات الأثرية في الترجيح بين أقوال المفسرين، وقد جاءت في فصلين: تناول الفصل الأول: مفهوم المكتشفات الأثرية وما يتصل بها من جهود علمية حديثة، وتناول الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية للمكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين.

وتحقيقاً لتلك الأهداف اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي لآيات القرآن الكريم، ثم تصنيفها بما يتناسب مع مباحث الدراسة، والمنهج النقدي في مناقشة أقوال المفسرين والترجيح بينها.

وتوصلت الدراسة في خاتمتها إلى مجموعة من النتائج، كان من أبرزها: أن المقصود بالمكتشفات الأثرية هو: ما يكتشف من بقايا ومخلفات مادية ومعنوية لحضارة من الحضارات السابقة والأمم البائدة ونتاج مجتمع من المجتمعات التي صنعها واستعملها في مختلف الأغراض، كما توصلت إلى أن الإعجاز التاريخي هو: سبق القرآن الكريم في عرضه لحقائق تاريخية كانت مجهولة في عصر النبوة وما بعده، وموافقتها للحقائق العلمية والتنقيبات والمكتشفات الأثرية، كما وتوصلت إلى أن هنالك ضوابط لازمة للتوفيق بين المكتشفات العلمية الحديثة والنص القرآني، وتوصلت إلى أن القرآن الكريم اتخذ أسلوبين للتنبيه على المكتشفات الأثرية، وأشارت الدراسة إلى أن المكتشفات الأثرية الحديثة تأتي لتبين وتوضح الأقوال التفسيرية في الإشارات والأخبار التاريخية المتعلقة بتاريخ البشرية وأحوالها، وتبين - كذلك- ما ذهب إليه المفسرون من تطور حضارات الأمم السابقة، وتبين وتوضح الأقوال التفسيرية في كيفية زوال الأمم، وتصدق الأقوال التفسيرية في بيان الشخصيات التاريخية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وخرجت الدراسة بتوصيات أبرزها: العمل على توطيد العلاقات بين علماء التفسير وعلماء الآثار لدراسة الأحداث التاريخية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم للخروج بنتائج لا تتصادم مع الدين، كما وتوصي بفتح قسم متخصص في مجال الإعجاز العلمي والتاريخي.

الكلمات المفتاحية: المكتشفات الأثرية، الكشف التاريخي الحديث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل القرآن الكريم ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وهادياً إليه سبحانه وسراجاً منيراً، والصلاة والسلام على قائدنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه سبحانه أنزل القرآن رحمةً وبشرى، وجعله ميداناً ليجول الإنسان بفكره متأملاً ما فيه من أسرارٍ وعلوم. قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (ص: ٢٩).

ومن أعظم علوم القرآن الكريم وأجله وأشرفه علم التفسير؛ ولذلك ومنذ نزول القرآن الكريم والناس منشغلون بتلمس معانيه والوقوف على أسراره وعجائبه، فكل من السلف والخلف أسهموا في بيان مراد الله بقدر ما أوتوا من معارف وعلوم وقدرات وإمكانات، فتعددت الأقوال التفسيرية في الآية القرآنية نظراً لتعدد الفهوم، ولذلك حرص المفسرون على وضع قواعد تفسيرية يستعين بها المفسر في الترجيح بين الأقوال والآراء.

وفي هذا العصر عصر النهضة والاكتشافات العلمية في شتى المجالات، نجد أن دراسة الآيات القرآنية في ضوء معطيات علمية حديثة ودقيقة، له أثر في فهم القرآن الكريم، ومن أهم تلك المجالات ما يتعلق بتاريخ الإنسان.

والمتأمل في القرآن يجده مهتماً بسرد تاريخ الأمم السابقة، مركزاً فيها على عدد من المواقف اللافتة للنظر من سير الأنبياء وتفاعل أممهم معهم سلباً أو إيجاباً. قال الله تعالى: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ثَمِّ تأتي أدوات العلم الحديث، وأساليب الكشف البحثي القائم على المعطيات الدقيقة من علم الآثار والعلوم المساندة له، لتؤكد وتبين حقائق لم يتوصل إليها من قبل، قد أشار إليها القرآن قبل ذلك بأربعة عشر قرناً.

إن دراسة الآيات القرآنية في ضوء علم الآثار وكشوفاته ستؤدي إلى فتح آفاق جديدة، ومن ثم فهذه الدراسة توقف القارئ والباحث على حدٍ سواء على ما ينبغي أن يأخذه من علم الآثار والمكتشفات المتعلقة بالأحفورة والمستحاثات التاريخية، وتجعل كلاً منهما قادراً على أن يفرق بين ما هو حقيقة علمية فيأخذها، وبين ما هو نظرية وفرضية فيتركها؛ وذلك عندما يخضعهما للنقد والدراسة فتكون صحيحة أو ضعيفة، على أن يكون النص القرآني حاكماً لا محكوماً ويداً عليا لا تحكمها تقلبات المكتشفات الأثرية وتغيّر النظريات المعينة على فَهم النص القرآني.

وفي ضوء ما سبق جاءت الدراسة الحالية والمعنونة بـ ''**المكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين** ''، لتكون إسهاماً في التأصيل الإسلامي لدراسة المكتشفات الأثرية في ضوء القرآن الكريم، ومن ثَمَّ الإسهام في إثبات وجه إعجازي جديد للقرآن الكريم متمثلاً بالإعجاز التاريخي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتمثل مشكلة الدراسة في الواقع بالافتقار إلى دراسات تأصيلية تُعنى بالعلاقة بين علم الآثار، ونصوص القرآن الكريم، وتبين أثر المكتشفات الأثرية في الترجيح بين أقوال المفسرين، ومن هنا ستكون هذه الدراسة فتحاً جديداً في هذا الجانب، ويضاف إلى ما سبق من ضرورة البحث في هذا الموضوع، توصية بعض الباحثين في مجال الإعجاز العلمي بدراسة الجانب التاريخي من آيات القرآن الكريم، والمتمثل بالمكتشفات الأثرية التي تبرز صدق القرآن وإعجازه فيما أخبر به.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى ما تقدم فإن هذه الدراسة جاءت للإجابة عن سؤال رئيس، وهو: **ما أثر المكتشفات الأثرية في الترجيح بين أقوال المفسرين؟** ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة وهي على النحو الآتي:

١. ما مفهوم المكتشفات الأثرية، وما أنواعها؟
٢. ما علاقة المكتشفات الأثرية بالإعجاز التاريخي ؟
٣. ما القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني؟
٤. ما أسلوب القرآن الكريم في التنبيه على المكتشفات الأثرية؟
٥. ما دور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث؟
٦. ما دور المكتشفات الأثرية في فَهم الحضارات ونشوئها بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث؟
٧. ما دور المكتشفات الأثرية في السنن الإلهية للأمم السابقة بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث؟
٨. ما دور المكتشفات الأثرية في وصف الشخصيات التاريخية بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهدافها من خلال الإجابة عن سؤالها الرئيس وأسئلتها الفرعية السابقة، وفيما يأتي بيان لتلك الأهداف:

١. توضيح مفهوم المكتشفات الأثرية، وبيان أنواعها.
٢. بيان علاقة المكتشفات الأثرية بالإعجاز التاريخي.
٣. بيان القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية والنص القرآني.
٤. توضيح أسلوب القرآن الكريم في التنبيه على المكتشفات الأثرية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. الكشف عن دور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث.
٦. بيان دور المكتشفات الأثرية في فَهم الحضارات ونشوئها بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث.
٧. توضيح دور المكتشفات الأثرية في السنن الإلهية للأمم السابقة بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث.
٨. بيان دور المكتشفات الأثرية في وصف الشخصيات التاريخية بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من أهمية موضوعها والأهداف التي ستسعى إلى تحقيقها؛ إذ تعتبر من الدراسات التأصيلية القائمة على استقراء النص القرآني، ومن ثَمَّ فهي تحقيق دعوة الله سبحانه وتعالى للتدبر في آياته، والتفكر في إعجازه، ومن هنا فإنه يُتوقع أن تفيد الجهات الآتية:

١. إفادة المؤسسات العلمية المهتمة بموضوعات الإعجاز التاريخي.
٢. الدارسين من الأساتذة والطلبة، والباحثون في الإعجاز التاريخي، وفتح الباب أمامهم كمحاولة أولى للكشف عن دلالات النص القرآني ومدى انطباقه على الواقع.
٣. رفد المكتبات العربية والإسلامية بدراسات متعلقة بموضوع معاصر يتعلق بالإعجاز التاريخي.
٤. الواعظون والواعظات في المجال الدعوي؛ إذ إن الإشارات التاريخية الواردة في القرآن ومطابقتها للمكتشفات الأثرية لا زالت سبباً في إقناع الكثير بعظمة القرآن.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة:

في حدود ما استطاعت الباحثة أن تقوم به من مسح للدراسات السابقة، وذلك بالرجوع إلى مركز إيداع الرسائل الجامعية في الجامعة الأردنية، والاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كما وتم الرجوع إلى مركز الدوريات في جامعة اليرموك للاطلاع على المجلات المحكمة المنشورة، وعليه فإن موضوع الدراسة الحالية لم يفرد بدراسة علمية يتناول وجهة النظر العلمية والدينية في مجال تفسير القرآن الكريم. ومن الدراسات ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة:

دراسة فؤاد(٢٠٠٣) بعنوان(الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم)[١].

والتي هدفت إلى بيان وجه من وجوه الإعجاز وهو: الإعجاز التاريخي، وجاءت الرسالة في خمسة فصول تناول فيها: معنى إعجاز القرآن وبيان وجوهه، والمفهوم العلمي للتاريخ، وظاهرة الإسراف والتقصير في تفسير القصص القرآني، ونظرية الإعجاز التاريخي، والاعجاز التاريخي بين المنهج والتطبيق. واتبعت الدراسة المنهج التحليلي ومنهج المقارنة؛ وذلك من خلال استعراض الأدلة والموازنة بينها، ونقدها. ولقد توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات منها: أن التاريخ هو المصدر الأساسي لمعرفة الإنسانية، وأن القرآن الكريم كمصدر تاريخي إنما هو أصدق المصادر وأصحها على الإطلاق، وأن الإعجاز التاريخي جزء من الإعجاز العلمي.

واشتركت الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في أنها بحثت موضوع الإعجاز التاريخي. بينما دراستي ستركز على بيان أثر المكتشفات الأثرية في الترجيح بين أقوال المفسرين، والتأصيل لها من خلال اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي لآيات القرآن ذات الصلة بموضوع الدراسة، وهو ما لم تتناوله الدراسة السابقة، ودراستي تقوم على بيان الآتي:

---

(١) فؤاد، يوسف بيهقي، الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠٠٣م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بيان مفهوم المكتشفات الأثرية، وأنواعها.
- بيان مفهوم الإعجاز التاريخي وصلته بالإعجاز العلمي، وفوائده.
- بيان القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني.
- بيان أسلوب القرآن في التنبيه على المكتشفات الأثرية.
- بيان دور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية.
- بيان دور المكتشفات الأثرية في فَهم الحضارات القديمة ونشوئها.
- بيان دور المكتشفات الأثرية في السنن الإلهية في الأمم السابقة.
- بيان دور المكتشفات الأثرية في وصف الشخصيات التاريخية.

منهجية الدراسة:

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قامت الباحثة باستقراء القرآن الكريم كاملاً، تتبعت فيه الآيات ذات الصلة بموضوع الدراسة، وتحليلها من خلال الرجوع إلى كتب التفاسير، ومن ثم وضع عنوان لكل مجموعة من النصوص الشرعية التي تبحث في جزئية واحدة. وعزت الآيات القرآنية إلى مواطنها في القرآن الكريم، بذكر السورة ورقم الآية، وقامت بتخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها، ولم يتم الترجمة لكل الأعلام.

حدود الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة باقتصارها في البحث على ما يلي:

في مبحث الحضارات اقتصرت على حضارتي عاد وثمود، وفي مبحث السنن اقتصرت على سنة الله في عقاب قوم نوح، وسنة الله في عقاب قوم لوط، وفي مبحث الشخصيات اقتصرت على شخصية هامان ولقب الملك في القرآن. وعليه يصعب تعميم نتائج هذه الدراسة خارج الحدود المذكورة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مخطط الدراسة:

عنوان الدراسة: **المكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين**

الفصل الأول: المكتشفات الأثرية، مفهومها وما يتصل بها من جهود علمية حديثة، وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول: المكتشفات الأثرية مفهومها وأنواعها

المبحث الثاني: المكتشفات الأثرية والإعجاز التاريخي

المبحث الثالث: القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني

المبحث الرابع: أسلوب القرآن الكريم في التنبيه على المكتشفات

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية على المكتشفات الأثرية بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: دور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

المبحث الثاني: دور المكتشفات الأثرية في فهم الحضارات ونشوئها بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

المبحث الثالث: دور المكتشفات الأثرية في السنن الإلهية في الأمم السابقة بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث

المبحث الرابع: دور المكتشفات الأثرية في وصف الأشخاص بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

الخاتمة :(النتائج والتوصيات).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

المكتشفات الأثرية وما يتصل بها من جهود علمية حديثة

يأتي هذا الفصل في أربعة مباحث، يتناول بياناً لمفهوم المكتشفات الأثرية وأنواعها، وما يلزم المستكشف الأثري، كما يبين مفهوم الإعجاز التاريخي وصلته بالإعجاز العلمي وفوائده، كما يوضح القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية والنص القرآني، والكشف عن أسلوب القرآن في التنبيه على المكتشفات الأثرية.

المبحث الأول: المكتشفات الأثرية مفهومها وأنواعها وما يلزم المستكشف الأثري

يتناول هذا المبحث مفهوم المكتشفات الأثرية، وطرق التعرف على مواقع تواجدها، وأنواعها، وما يلزم المستكشف الأثري من أمور للخروج بنتائج صحيحة، ولتحقيق ذلك يأتي المبحث في ثلاثة مطالب: يتناول المطلب الأول: مفهوم المكتشفات الأثرية، ويتناول المطلب الثاني: أنواع المكتشفات الأثرية، بينما تناول المطلب الثالث: ما يلزم المستكشف الأثري.

المطلب الأول: مفهوم المكتشفات الأثرية

يعدُّ مصطلح المكتشفات الأثرية مصطلحاً حديثاً، وهو مفهوم مركب مكون من جزأين لا يمكن فهمه إلا بتعريف لفظتي المكتشف والأثر في اللغة والاصطلاح، ومن ثم تعريف مصطلح المكتشفات الأثرية بعد تعريف جزأيه.

أولاً: المكتشفات لغةً واصطلاحاً

المكتشفات لغةً: جمع مكتشف، وهو لفظ مشتق من الأصل اللغوي "كشف" وبعد استقراء المعاجم اللغوية تبين أن الجذر الثلاثي "كشف" لا يخرج عن أحد المعنيين الآتيين :

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١) الاظْهارُ ورَفْعُ شيءٍ عما يُواريهِ ويُغَطِّيهِ.[١] يقال:

- كاشفه بالعداوة أي: أظهرها وباداهُ بها.
- أكشف الرجل أي: ضحك فانقَلَبَت شَفَتُه حَتى تَبْدوَ دَرادِرُه.[٢]
- الأكشف: مَنْ لا تُرس معه في الحَرب، كأنه منكشف غير مستور.[٣]

٢) إزالةُ الشيءِ وإذهابِهِ. يقال: كشف الله غمه: بمعنى أزاله.[٤]، وهو كشّاف الغُمم، وهذا من المجاز.[٥]

ويلاحظ من أن المعنى الأول يقرب من الدلالة الحسية، والمعنى الثاني يقرب من الدلالة المعنوية، ويدلُّ قول الزمخشري: بأن كشف بمعنى الإزالة وهو من المجاز، على أن كلمة كشف في أصل وضعها دلت على المعنى الحسي بمعنى الظهور، ثم استعملت في الجانب المعنوي بمعنى الإزالة، وفي التنزيل الحكيم وردت كلمة الكشف ومشتقاتها للدلالة على معنى الظهور والإزالة السابقين، قال الله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا ﴾ (النمل: ٤٤). جاءت هذه الآية لتدل على المعنى الحسي وهو: الظهور ورفع الشيء. وجاء قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النمل: ٦٢). للدلالة على المعنى المعنوي وهو: الإزالة.

(١) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، د.م، د.ن، د.ط، د.ت، فصل الكاف، ج١، ص١٠٩٧.

(٢) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، د.م، دار الهداية، ، د.ط ، د.ت، باب كشف، ج٢٤، ص٣١٢.
درادره: مغارز أسنانه.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت، باب كشف، ج٩، ص٣٠٠.(ش)

(٤) مصطفى، إبراهيم، والزيات ، أحمد، و النجار، محمد، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، د.م، دار الدعوة، د.ط ، د.ت، باب الكاف، ج٢، ص٧٨٩.

(٥) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، د.م، دار الكتب، ط٢، ١٩٧٣، باب كشف، ج٢، ص٣١٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المكتشفات اصطلاحاً**

توسع مدلول الكلمة في المعاجم المعاصرة بما يشترك مع المفهوم المصطلحي لها، ومنها: اكتشف الأمر: أي كشف عنه بشيء من الجهد، ومنه: اكتشف كنزاً: أي كشفه واستخرجه من الأرض، ويقال: اكتشف آثار زرنيخ: توصل إليها وأقام الدليل عليها.[١]، والمكتشفات: اسم، جمع مُكتشف: وهو ما يُكتشف من الأمور الطبيعية أو العلميَة.[٢]

ويلاحظ كذلك مما سبق أن الاكتشاف موجود مسبقاً، احتاج المستكشف من الجهد والقوة حتى يصل إليه ويقيم الدليل عليه، أما الاختراع فيأتي بمعنى الابتكار وخلق الشيء وتصميمه وإنشائه بعد أن لم يكن، يقال: اخترع كذا أي: "اشتقه وقيل أنشأه وابتدعه"[٣]، واخترع التلفاز أي: "ابتدعه وأنشأه وصممه".[٤]

أما تعريف المكتشف اصطلاحاً، فقد جاء في قاموس مصطلحات الأثنولوجيا بأنه: "إضافة علمية ثقافية من خلال ملاحظة الظواهر الموجودة فعلاً، ولكن لم يسبق الالتفات إليها من قبل"، وعُرف كذلك بأنه: "العثور مصادفةً على شيء لم تُسبق ملاحظته"[٥]. ويلاحظ أن المعنى اقتصر على الكشف مصادفةً، ولم يعرض للكشف المنظم وفق مخطط يضعه الباحث لكشف الشيء المراد البحث عنه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة ،عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨، باب كاشف، ج ٣، ص١٩٣٧ .

(٢) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق، مجلد٣، ص ١٩٣٩.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق : محمود خاطر، بيروت ،مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٩٥، باب الخاء، ج١، ص١٩٦.

(٤) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، باب خرع ،ج١، ص٦٣٣.

(٥) هولتكرانس ،إيكه ، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري و حسن الشامي، د.م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، د.ت، ص٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : مفهوم الآثار لغةً واصطلاحاً

أما الجزء الثاني من المصطلح فهو كلمة "الأثرية" وهو اسم منسوب إلى أثر "اكتشاف أثري". قال ابن فارس: "الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي"[١]. والمتأمل في المعاجم اللغوية يجد أن الجذر الثلاثي للمفردة "أثر" لا تخرج عن المعنيين الآتيين:

الأول: بقيّةُ الشيء. فالأثارة: ما بقي من الشيء أو من أصوله[٢]. قال الخليل: "والأثَر بقيّة ما يُرَى من كل شيء وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة"[٣]، وقال النَّضر[٤]: "المأثورة من الآبار: التي اختفِيت قَبلَك، ثم اندفَنتْ، ثم سَقَطْتَ أنت عليها، فرأيْتَ آثار الأرْشيةِ والحِبال، فتلك المأثورةُ"[٥]، والعرب اشتهرت بعلم القيافة؛ لأنها كانت تتبع الأثر.

الثاني : العلامة: وهي رسم متخلِّف من شيء ما كآثار أقدام، أو ديار متهدمة، أو ما يتبقى من علامة بعد الوسم، يقال: وسم الدابة أي: كواها، و جعل لها علامة تعرف بها، قال ابن منظور: "والأثيرة من الدواب العظيمة الأثر في الأرض بخفّها، أو حافرها بيِّنة الإثارة "[٦].

يظهرُ مما سبق أن العلاقة بين المعنيين علاقة تلازمية: وهي كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر، فالعلامة لازمة لبقية الشيء.

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.م ، دار الفكر ، د.ط، ١٩٧٩، ج١، ص٥٥.

(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، باب أثر، ج١٠، ص١٢.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٤) النضر بن شميل بن خرشه بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة... من كتبه الصفات: في صفات الانسان والبيوت والجبال والابل والغنم والطير والكواكب والزروع ، وكتاب السلاح، والمعاني، و غريب الحديث و الأنواء. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، د.م، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢، ج٨، ص٣٣.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج١، ص٥٦.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٤، ص٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **علم الآثار اصطلاحاً**

علم الآثار: علم حديث يُعنى بمتبقيات الحضارات القديمة أو البائدة، أما تعريفه فقد جاء في قاموس مصطلحات الأثنولوجيا بأنه يُعنى: "بدراسة جميع الأشكال الملموسة والمنظورة التي تحفظ أثر النشاط البشري وكل ما هو أثر"[١]. وهذا المعنى اقتصر على الجانب المادي فقط.

أما المحدثون من الباحثين في مجال علم الآثار فقد درسوا المخلفات الأثرية من الجانبين: المادي والمعنوي، فعُرِّف بأنه : "العلم الذي يدرس المخلفات القديمة للإنسان بغرض الكشف عن الحضارات الغابرة، ودراستها، وتحليلها؛ للتعرف على سلوكيات الإنسان في الماضي بجميع جوانبها الماديَّة والمعنويَّة "[٢].

ثالثاً: تعريف المكتشفات الأثرية كمفهوم مركب

بعد بيان كل من لفظتي "المكتشف" و "الأثر" لغةً واصطلاحاً، أضحى من الواجب تعريف مصطلح المكتشفات الأثرية تعريفاً لمبناه كي يكشف لنا عن معناه، و كما قلنا سابقاً فإنه مصطلح معاصر ومستحدث. فإنني لم أجد له تعريفاً بحدود علمي واستقرائي، وعليه ترى الباحثة أن المكتشفات الأثرية هو: ما يكتشف من بقايا ومخلفات مادية ومعنوية لحضارة من الحضارات السابقة والأمم البائدة ونتاج مجتمع من المجتمعات التي صنعها واستعملها في مختلف الأغراض.

(١) هولتكرانس ، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) قادوس، عزت زكي حامد، علم الحفائر وفن المتاحف، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ط. ٢٠٠٤، ص٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : أنواع المكتشفات الأثرية

قبل الحديث عن أنواع المكتشفات الأثرية أود أن أبين أن هنالك أكثر من طريق للتعرف على مواقع المكتشفات الأثرية، والالتزام بهذه الطرق يمنع من العشوائية في البحث عن الآثار، ومن ثم تحقيق النتائج المرغوبة بأقل وقت وجهد ومال.

طرق التعرف على مواقع المكتشفات الأثرية، وهي كالآتي [١]:

١) من خلال المسوحات الأثرية سواء أرضية كانت أم جوية أم بحرية.
٢) أن تكون المنطقة مرتفعة عن مستوى سطح الأرض، مثل التلال الأثرية، والتي تشكل ارتفاعاً غير طبيعياً فوق مستوى سطح الأرض.
٣) أن تشمل المنطقة على كسر فخارية أو بقايا عظام أو بقايا طوب لِبن أو طوب أحمر، أو أيّة مخلفات معمارية ظاهرة على سطح الأرض[٢].
٤) أن تكون قريبة من مصادر المياه الدائمة، يعني على شرفات الأنهار وهي المصاطب النهرية، حيث كان الإنسان يبني مستوطناته بالقرب منها[٣].
٥) أن يوجد بالموقع مخلفات آثار حفائر قديمة لم تستكمل أهدافها [٤]؛ وذلك قد يكون بسبب مخالفات ترتكبها البعثة التنقيبية فتُمنع من استكمال أهدافها.
٦) أن تدل عليها شواهد مستقاة من النقوش والسجلات التاريخية القديمة، ومؤلفات الرحالة والجغرافيين القدامى، وعن طريق الكتب السماوية (التوراة والإنجيل والقرآن) وما جاء فيها من ذكر لبعض الأماكن والقرى والمدن والشعوب، وفي القرآن الكريم نجد دعوة منه للتنبيه على المكتشفات الأثرية وهو ما ستدرسه الباحثة في مطلب لاحق بإذن الله عز وجل.

---

(١) ينظر: كفافي، زيدان عبد الكافي، المدخل إلى علم الآثار، اربد، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، د.ط، ٢٠٠٤، ص٦٩ و ص٧٠.

(٢) ينظر: علي، حسين محمد، أسس ترميم الآثار والمقتنيات الفنية، د.م، د.ن، د.ط، د.ت، ص٤٩.

(٣) ينظر: الدباغ، تقي، مقدمة في علم الآثار، العراق ،منشورات دار الجاحظ ، د.ط، ١٩٨١، ص٨٥.

(٤) علي ، أسس ترميم الآثار والمقتنيات الفنية ، مرجع سابق ، ص٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧) عن طريق الصدفة، وذلك مثل فتح طريق أو بناء منزل[١].

٨) عن طريق أخبار الناس المحليين وخاصة المعمّرين[٢]، فإن الخبر له أثر في كبير نقل التراث، ومن المقولات المتداولة بين الناس قولهم: "أهل مكة أدرى بشعابها". فقد استعان "توماس" ببدو شبه الجزيرة العربية لعبور صحراء الربع الخالي، واكتشاف ممر وطرقات القوافل التجارية القديمة.

٩) صور الأقمار الصناعية. وهو جهاز من صنع بشري يدور في فلك في الفضاء الخارجي حول الأرض أو حول كوكب آخر، ويقوم بأعمال عديدة. ولذلك قُسم إلى أنواع مختلفة، منها: الأُقمار الصناعية للقياسات العلمية، وللمراصد المدارية، وللأغراض التطبيقية السلمية، وللأغراض التطبيقية العسكرية[٣]. وإن أهمية الأقمار الصناعية تتمثل بسهولة الكشف عن آثار الأمم البائدة تحت الرمال الصحراوية في الجزيرة العربية وما حولها.

- **أنواع المكتشفات الأثرية.**

في الحديث عن أنواع المكتشفات الأثرية أهمية كبيرة؛ إذ بهذه المكتشفات أصبح لدينا علم بالعديد من تواريخ الأمم المجهولة، وحضارات الأمم السابقة، وذلك من خلال ما توفره من مادة أثرية، ونصوص تُمكّن من فَهم الماضي، وهذه الآثار تعتبر دليلاً مادياً على أحداث القصص القرآني. ومن هنا ستقسم الباحثة أنواع المكتشفات الأثرية إلى التقسيم الآتي، وفي ذكر الأمثلة لكل قسم ستذكرها للتمثيل عليها لا للحصر:

---

(١) كفافي ، المدخل الى علم الآثار ، مرجع سابق ، ص٦١.

(٢) ينظر: الشوكي ،أحمد ، علم الحفائر الأثرية، تحقيق: أحمد عبد الرازق أحمد ، القاهرة، د.ن، د.ط، ٢٠١٣، ص٣٢.

(٣) ينظر: شعبان، سعد ، الأقمار الصناعية وسفن الفضاء، د.م، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٣، ص٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

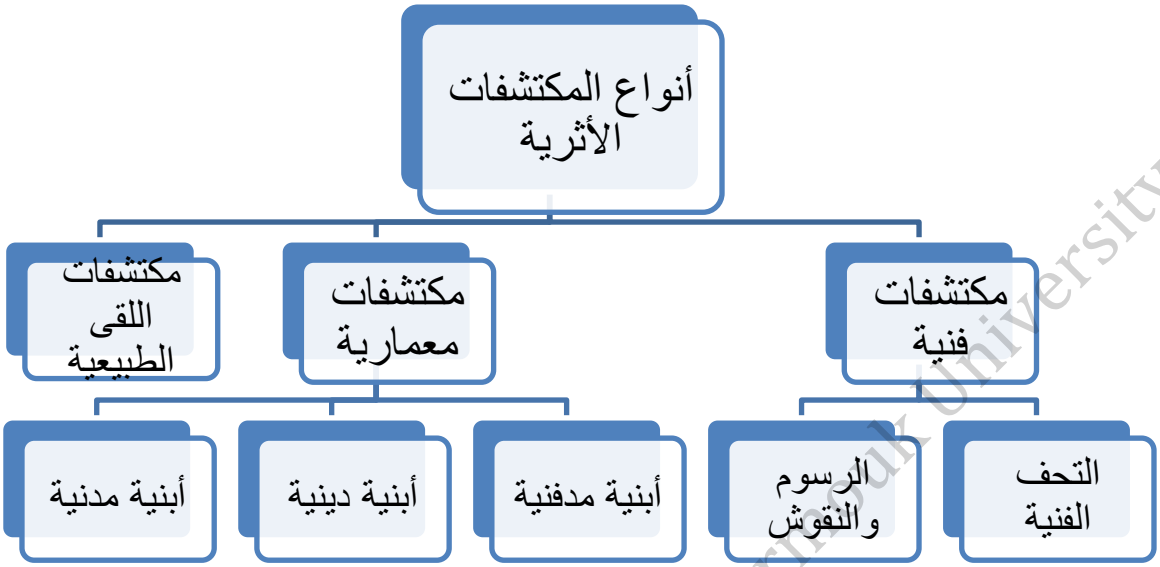

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المكتشفات الفنية أو اللقى المصنوعة المنقولة

وهي المواد التي صنعها الإنسان، وهي تشتمل على مواد مثل المشغولات الحجرية كالنصال والأواني على اختلاف أشكالها، وأنواعها، ومادة صناعتها فخارية كانت أم حجرية أو معدنية، ومشغولات الزينة كالخرز، كما يمكن أن تشتمل على الألواح الطينية وعلى السجلات المكتوبة، وهذه المعثورات يمكن أن تنقل من مكان لآخر دون إحداث تغيير على مظهرها. وهي كالآتي:

١- **الرسوم والنقوش الجدارية والأرضية** [١]: وتسمى بمشغولات الزينة، وتتواجد في المعابد والمقابر والكنائس والمساجد وعلى القطع والأواني والتحف الفنية وغيرها، وذلك إما للتسجيل أو للتزيين أو لتفسير بعض ما يتعلق بحياتي الإنسان الأولى والثانية.

(١) ينظر: رزق، عاصم محمد، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، د.م، مكتبة مدبولي، د.ط، ١٩٩٦، ص١٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- **التحف الفنية**: وهي آثَار وأدوات لها قِيمة تاريخية أو فَنية أو علمية، هذه الأدوات والآثار تنقسم إلى قسمين بحسب طول عمرها إلى [١]: مواد عضوية: وهي مواد تحتوي في تركيبها على عنصر الكربون، مصدرها حيواني أو نباتي سواء بطريق مباشر من مثل الخشب والعظم والعاج، أو بطريق غير مباشر من الصوف والجلد، ومواد غير عضوية: أي غير الحية، وهي مواد لا تحتوي في تركيبها على عنصر الكربون، لذلك تعتبر أشد صلابةً ومقاومةً لظروف التلف المختلفة، مثل الحجارة والفخار، والتالي بيان لأنواع التحف الفنية المكتشفة، ومنها:

أ- التحف والأدوات الحجرية: وهي من أقدم التحف المصنوعة، حيثُ تعتبر الحجارة من أفضل مواد البناء؛ لأنها الأكثر مقاومة للعوامل الطبيعية والزمنية، وفي عصور ما قبل التاريخ كانت تُصنع منه الأواني المنزلية والتماثيل وأثاث البيوت كالمقاعد الحجرية، إضافة إلى الأدوات الزراعية والأسلحة، كما أن الإنسان دوَّنَ على بعضها أفكاره ومعتقداته وأعماله وحمّلها رسائله التاريخية[٢].

ب- التحف والأواني الفخارية: وهي من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان والتي استمرت تلازمه في مختلف مراحل حضاراته حتى وقتنا الحاضر[٣]. يتكون الفخار من مادة الصلصال، وهي مادة متوافرة بشكل كثير في الطبيعة تتميز بدرجة كبيرة من اللدانة والليونة لِيسهل تشكيلها، وسرعان ما تتحول بعد الحرق والتبريد إلى مادة ثابتة لا تتأثر بالماء، وتقاوم المواد الكيميائية[٤].

ت- التحف المعدنية: ويعدُّ النحاس من أقدم المعادن التي عرفها الإنسان، حيثُ استخدم في صنع الخرز والدبابيس والحلي مثل الأساور والخواتم[٥].

---

(١) ينظر: ديل، بيرخينيا باخه، علم الآثار وصيانة الأدوات والمواقع الأثرية وترميمها، تعريب: خالد غنيم، بيروت، بيسان للنشر،ط١، ٢٠٠٢، ص ٤٣ و ص٤٨.

(٢) ينظر: نخلة، منى يوسف، علم الآثار في الوطن العربي، لبنان، منشورات جروس برس، د.ط، ١٩٩٥، ص١٣٦.

(٣) كفافي، المدخل الى علم الآثار، مرجع سابق، ص١٨٥.

(٤) رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٥) علي، أسس ترميم الآثار والمقتنيات الفنية، مرجع سابق، ص ١٧٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث- المشغولات الجلدية: وهي من المواد العضوية المتأثرة بعوامل التلف المختلفة نظراً لطبيعة تكوينها العضوي، والآثار والأعمال الفنية التي تحتوي على الجلود تتمثل في أجزاء من الملابس أو أثاث أو أغلفة كتب أو حقائب أو حافظات لحمل الأسلحة.[١]

ج- المنسوجات: وتعدُّ من أقدم الصناعات التي نشأت مع الإنسان، حيث كانت وليدة حاجته إلى وقاية نفسه من العوامل الجوية، وتقسم الألياف النسيجية إلى ألياف طبيعية "نباتية وحيوانية ومعدنية" وألياف صناعية.[٢]

المكتشفات المعمارية: وهي اللقى المصنوعة الثابتة، من العُمارة المدنية، والعمارة الدينية والعمارة المدفنية.

أولاً: العمارة المدنيَّة. وتشملُ كل ما عُرف من عمارة العصور القديمة مما توفر لها من أدوات، ومواد لازمة للبناء، وهي عبارة عن مباني سكنية وقصور، وغيرها، منها :

- البيت أو هيلاني: وهو لفظٌ سامي يعني بيت بنوافذ تميزت به سوريا الشمالية، وهو بناء يتألف من رواق أمامي، في واجهته عمودان، يؤدي إلى قاعة عريضة، تحتوي موقداً، يتوزع حول هذه القاعة غرف، وقد يتواجد في القاعة سلماً يؤدي إلى الطوابق العلوية، كما تتعدد الغرف الجانبية لتكوّن قصراً فيصبح البيت عبارة عن جناح مستقل أو يشكل واجهة للقصر[٣].
- القصور: وتعتبر القصور دليلاً على وجود دولة، أو سلطة مركزية يقيم حاكمها فيها، إضافةً إلى الهيئات المنفذة للأحكام وإلى المستندات من رُقم ونصوص، ومخطوطات تعطي معلومات ثمينة، وتلقي الضوء على مرحلة تاريخية هامة، وتكون وثائق لا شك فيها[٤]. وقد صرح القرآن الكريم بتميز

---

(١) علي، أسس ترميم الآثار والمقتنيات الفنية، مرجع سابق، ص٣٤٥.

(٢) نصر، إنصاف والزعبي، كوثر، دراسات في النسيج ، د.م، دار الفكر العربي، د.ط، ١٩٤٦، ص٢ و ص٦.

(٣) نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٤) ينظر: نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص١٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حضارة ثمود ببناء القصور، قال الله تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾(الأعراف:٧٤).

ثانياً: مباني عامة. وتتمثل بالحمامات والمسارح والأسواق والمكتبات وغيرها.

- الأسواق: وهي من المعالم التي قد نجد فيها ما يدلل على وجود الحوانيت والأسواق ما احتوى منها على مشغَل احتفظ بجزء مما يوضح مهمته، مثل سوق دمشق، جرازا قرب جرش وخاصية هذه الأسواق أنها تنتظم عند أروقة الشوارع الرئيسية المتفرعة عن الساحة العامة[١].

ثالثاً : العمارة العسكرية: ويقصد منها وسائل الدفاع التي كانت تتخذها مجتمعات العصور القديمة مثل التحصينات، والقلاع الحربية.

رابعاً: منشآت مائية: هناك آثار تتعلق بالمنشئات المائية لها أشكال متعددة منها ما يختص بالآثار الزراعية، مثل:

١- قنوات المياه: حيثُ كشفت التنقيبات الأثرية على العديد من عناصر المجاري المائية في المدن قرب الحمامات والمنازل، وكانت هذه القنوات عبارة عن أنابيب من الفخار المشوي وبعضها من الرصاص[٢].

٢- السدود: وهي منشآت مائية نفذها الإنسان على الأنهار الدائمة الجريان، أو الوديان الموسمية من أجل تخزين مياهها، وتنظيم جريانها وريّ الحقول في الفصول الجافة، ومن أهم هذه السدود، سد مأرب في اليمن[٣].

---

(١) ينظر: نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٢) ينظر: نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص١٨٠.

(٣) من أعظم السدود في بلاد العرب شهرةً؛ وذلك يرجع إلى إشارة القرآن الكريم لهذا السد وخرابه، وثانياً: لما يمتاز بضخامة بناءه ودقة هندسته وطول بقائه. العلامات، محمود جلال، السبئيون وسد مأرب، جدة، تهامة، ط١، ١٩٨٤، ص١١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنها ما يختص بالآثار البحرية، من مثل:

١- المرافئ: يقصد بها مرسى السفن، وهي من الآثار التي يصعب اكتشافها، والذي يسهل على المنقب في الوصول إليها، التقنيات العلمية الحديثة، ومنها: تقنية التصوير الجوي -والتي تساعده في دراسة بعض منشئاتها التي بقيت ظاهرة فوق سطح الماء- وعلم آثار ما تحت البحار[١].

٢- المراكب: وهي من وسائل النقل الحضارية التي تساهم في اتصال الشعوب بعضها ببعض. والعثور على أثر مركب قديم لحضارة من الحضارات السابقة أمر صعب؛ وذلك يرجع إلى أن المادة التي صنعت منها المراكب هي مادة خشبية وهي مادة عضوية تتعرض للتلف بشكل أسرع من غيرها، "والذي يدل على أن مجتمع ما قد استخدم هذه الوسيلة ما نجده من نصوص ورسوم ومنحوتات دلّت عليها، فهناك رسوم لمركب تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، ظهرت على بعض الأواني الفخارية".[٢]

خامساً :آثار ذات دلالة اقتصاديَّة: وتأتي هذه الآثار لتدل على الدرجة الاقتصادية التي وصلت إليها الحضارات السابقة، كالأختام والأوزان والمسكوكات.

انتهينا من النوع الأول من المكتشفات المعمارية وهي: العُمارة المدنية متمثلة بمباني سكنية، ومباني عامة، وعمارة عسكرية، ومنشآت مائية وآثار ذات دلالة اقتصادية، وفيما يأتي النوع الثاني من المكتشفات المعمارية وهي العمارة والأبنية الدينية.

(١) ينظر: نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص١٨٢.

(٢) نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، مرجع سابق، ص١٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: العمارة الدينية: ولقد كان "للتأثيرات الدينية دورها في النشاط المعماري، فدفعت مثلاً المصريين إلى الاهتمام بتشييد دور العبادة من الحجر ... في حين بنوا القصور والمساكب من الطوب"[١]. وهي أبنية مارس فيها الإنسان طقوس عباداته وتشمل المعابد والكنائس والمساجد، وتساهم هذ الأبنية الدينية في توضيح ودراسة المعتقدات الدينية لمجتمع من المجتمعات القديمة.

ثالثاً: العمارة المدفنية: تعد المدافن وسيلة لمعرفة أساليب الدفن المتنوعة في العصور القديمة، وربطها مع المكانة الاجتماعية والسياسية للشخص المتوفى، ومعرفة الطقوس المُمارسة في عملية الدفن، فإن ممارسة الطقوس المدفنية تنقسم إلى:

أ- الدفن البسيط لجسد الميت في قبر.

ب- حرق الجسد قبل دفنه.

ج- التحنيط.

إن للمكتشفات الأثرية المتعلقة بالمدافن أهمية كبيرة، إذ " تزود هذه المدافن الباحث بمعلومات حول العقائد الجنائزية، وعادات الدفن لمجتمع ما، وهي وسيلة للتعرف على جميع مناحي الحياة: الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ومن ثّم تساعد على دراسة الهياكل العظمية لمعرفة الجنس والطول والعمر، ومعرفة نوعية الأمراض التي شاعت في العصور القديمة "[٢]. وذكر المنقبون أنواع للمقابر للآثار المدفنية التي عثروا عليها، وهي كالآتي:[٣]

١- مقابر بسيطة وظاهرة على سطح الأرض كأن يكون هناك شاهد قبر، أو كومة من الحجارة.

---

(١) عرفه، تغريد فوزي عبدالخالق، العمارة الدينية في مصر الوسطى في العصريين اليوناني والروماني ، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠١١، ص٢٢.

(٢) الشياب، عاطف محمد، و المحيسن، زيدون حمد، علم الآثار والمتاحف الأردنية، د.م، وزارة الثقافة، د.ط، ٢٠٠٨، ص١٩٠.

(٣) كفافي، المدخل إلى علم الآثار، مرجع سابق، ص١١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- مقابر ضخمة وكبيرة كما هو الحال في الأهرامات.

٣- مقابر مخفية في الأرض كما هو الحال في القبور العائدة إلى الفترة الانتقالية بين العصرين البرونزي القديم والأوسط.

٤- مدافن يكون للشخص المدفون فيها غرفة جنائزية أنيقة وتعرف باسم الأضرحة ، كما هو الحال في مقبرة أور بالعراق.

٥- الدفن بواسطة الجرار الفخارية[١]، وفي متحف آثار جامعة اليرموك يوجد جرة فخارية دفن فيها طفل صغير.

تحدثنا سابقاً عن نوعين من المكتشفات الأثرية، النوع الأول: المكتشفات الفنية، وتنقسم إلى تحف فنية ورسوم ونقوش أرضية وجدارية، النوع الثاني: المكتشفات المعمارية، وتنقسم إلى عمارة مدنية، وعمارة دينية وعمارة مدفنية، أما النوع الثالث والأخير للمكتشفات الاثرية فيتحدث عن المكتشفات الطبيعية.

ثالثاً : مكتشفات اللقى الطبيعية: وهي ما اكتشف أو عُثر عليه من المواد الطبيعية التي توجد جنباً إلى جنب مع الأدوات، والمصنوعات الثابتة من البيوت والحفر وقنوات الري يعني " أماكن العمران البشري" وتكشف هذه المعثورات طريقة تفاعل الناس في العصور القديمة مع محيطهم وتشتمل على :

- بقايا حيوانية: حيثُ عثر الأثريون على كسرٍ عظمية من الحيوانات التي أكلها الإنسان في معظم المواقع الأثرية ، وهذه البقايا تبيّن للآثاري الدور الذي لعبته هذه الحيوانات في الاقتصاد المحلي واستفادته منها في الأعمال الأخرى مثل الزراعة والنقل.[٢]

---

(١) ينظر: إبراهيم، معاوية، المدفن في الشرق القديم، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، الجزائر، ١٩٨٢، نشر جامعة اليرموك، إربد،١٩٨٢، ص١ و ص٢.

(٢) كفافي، المدخل إلى علم الآثار، مرجع سابق ، ص١٦٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بقايا نباتية: فمن الدلائل الأثرية التي يعثر عليها في المواقع الأثرية بقايا الأخشاب، أو نواة الثمار، أو الحبوب المتفحمة، فقد عثر على حبوب مخزنة متفحمة داخل جرار الخزين، ووجد طبعات الحبوب على الآنية الفخارية، أو الطوب الطيني.[١]

المطلب الثالث: ما يلزم المستكشف الأثري.

ينبغي أن يشار إلى أن الحديث عن علم الآثار يستلزم بالضرورة الحديث عن عالم الآثار وما يلزم المستكشف الأثري؛ إذ إن من أهم عناصر العمل الأثري الميداني "عالم الآثار" المنقب والكاشف عن أحداث التاريخ البشري وموضحه للأجيال المعاصرة التالية. وهذه المهمة بالغة الدقة والتعقيد؛ إذ تخضع لكثير من الاعتبارات العلمية والعملية، فهو علم قائم "لا يمكن فَهمه إلا بدراسته، ففَهم الأثر يقتضي ضرورة العلم به"[٢]. وعلى هذا فالأمور التي تلزم المستكشف أو عالم الآثار لتكن نتائج كشوفاته صحيحة، هي ما يلي:

١. تحديد المواقع والمعالم الأثرية، بناءً على المعلومات التي قام بجمعها من خلال المصادر التاريخية والخرائط: الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة، وخرائط التضاريس، والخرائط الجيولوجية... وغير ذلك من المصادر التي قد تكون ذات فائدة كبيرة لتحديد الموقع المراد التنقيب خلاله [٣].

ويتم تحديد المواقع عبر دراسات علمية تعرف بالمسوحات الأثرية، ولهذه الدراسة أهمية كبيرة؛ حيثُ أنها تعتبر إجراء أولي لدراسة الآثار الظاهرة بدون إجراء عمليات حفرية. تمتاز بالسهولة، وسرعة الإنجاز وقلة التكاليف. وتنقسم إلى: مسوحات أرضية، ومسوحات جويّة، ومسوحات بحرية. ومن أهداف المسوحات الأثرية: [٤]

---

(١) كفافي، المدخل إلى علم الآثار، مرجع سابق، ص١٧٠.

(٢) رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٤٨.

(٣) ينظر: الشوكي، علم الحفائر الأثرية ، مرجع سابق، ص٢١.

(٤) كفافي، المدخل إلى علم الآثار، مرجع سابق، ص٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التعرف على المواقع الأثرية، والفترات الزمنية التي مرت على كل موقع.
- تثبيت المواقع الأثرية على الخرائط.
- التعرف على الطرز العمائرية إن وجدت ظاهرة للعيان.

ويتم المسح الأرضي بطريقة السير على الأقدام، والملاحظة الدقيقة للموقع الأثري، وما يحوي من قطع أثرية، ولهذه الطريقة يتم استخدام أساليب علمية و تقنية، منها: المسح بطريقة قياس المقاومة الكهربائية[١]، وطريقة قياس القوة المغناطيسية، وهناك طريقة التحليل الكيميائي لعينات التربة، وطريقة الاستكشاف بواسطة البيرسكوب، ويتم المسح كذلك باستخدام أجهزة الكشف عن المعادن على أعماق متفاوتة، أما في المسوحات البحرية أي: (الآثار المغمورة تحت الماء)، يتم المسح باستخدام أجهزة صوتية تسمى السونار، وأجهزة القياس المغناطيسية، وأجهزة الكشف عن المعادن، وأجهزة التصوير الضوئي[٢].

وأما المسح الجوي فله أثر في تحديد الأماكن الأثرية التي لا تشاهد إلا من ارتفاعات شاهقة، ومن التقنيات التي تستخدم في المسح الجوي: التصوير الجوي "الفوتوغرامتري" الذي تنشأ المخططات الطبوغرافية انطلاقاً منه، والتصوير بالأشعة فوق البنفسجية أو "ما تحت الحمراء"، والتصوير الجوي السياحي بالهليكوبتر أو الطائرات العادية[٣].

٢. ومما سبق على المستكشف الأثري أن لا يهمل أية تفاصيل قد تبدو له من أول وهلة أنها غير مفيدة، لذا عليه أن "يتنبه لمختلف الأدلة الأثرية المحيطة به وصولاً إلى الاستنتاج الصحيح في تفسير معين، ويجب أن يكون شديد الملاحظة والدقة، كل حقيقة مهما صغُرت لا بد أن يدرسها ويسجلها بكل أمانة علمية"[٤].

---

(١) وهي أقدم الطرق الجيوفيزيائية استخداماً في المسح الأثري، تقوم على حقيقة أن كل نوع من التربة والصخور والمواد الأخرى له مقاومة خاصة لمرور التيار الكهربائي، فإذا وجد في المكان آثار من مواد مغايرة لمادة التربة فإن المقاومة تكون مختلفة. ينظر: قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٢) ينظر: قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، ص٤٦ و٤٧ و٤٨.

(٣) ينظر: البيّني، عدنان، التنقيب الأثري الحديث، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٩٧٦، ص٢٦.

(٤) رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٥٠، (بتصرف).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. التسجيل العلمي الدقيق للمكتشف الأثري، وذلك يكون وصفاً ورسماً وتصويراً[١].

٤. أن يتبع المنهج العلمي عند دراسته للمواقع الأثرية وذلك "بأن يقدم استراتيجية العمل للإجابة عن تساؤلات أو للتحقق من نظرية أو فرضية معينة"[٢].

٥. يلزمه بأن يكون على دراية بالمخترعات الحديثة والتقنيات المسحية والعلمية، من مثل: أجهزة الموجات الصوتية، وأجهزة الرادار، وجهاز الكشف عن المعادن وجهاز "GPS" وغيرها، ومن المخترعات التي تهم المستكشف الأثري كذلك، جهاز الكمبيوتر، إذ" إن الحاسب الآلي يسهل على الآثاري الرجوع إلى المعلومات الموثقة فيه في أي وقت، وعليه أن يحتفظ بنسخ أخرى من الوثائق المدونة في مكان آخر"[٣].

٦. يلزمه بأن يكون على علم ودراية بالطرق الحديثة لمعرفة تأريخية المواد الأثرية، ومنها [٤]:

- **طريقة الكربون المشع (١٤)** : وهي طريقة هامّة لقياس العمق الزمني، وهي تعتمد على قياس ما تبقى من هذا الكربون في المواد العضوية القديمة، تعطي هذه الطريقة تاريخاً لا يعود إلى أكثر من (٥٠) ألف سنة من الآن.
- **طريقة بوتاسيوم أركون** :وفي هذه الطريقة يمكن قياس الأزمان الحقيقية بدقة حتى ولو كان بملايين السنوات.
- **طريقة حساب حلقات الأشجار**، لا تعطي تاريخاً أقدم من (٥) آلاف سنة.
- **طريقة الوهج الحراري**، وهي متبعة لمعرفة تاريخ الفخار من خلال حرق عينة منه، وخلال ذلك يسجل عدد الإلكترونات المحترقة ويقسم العدد الكلي على معدل التكون في السنة الواحدة فيُعرف العمر الحقيقي للقطعة.

---

(١) رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) كفافي، المدخل إلى علم الآثار، مرجع سابق، ص٧١.

(٣) علي، أسس ترميم الآثار والمقتنيات الفنية، مرجع سابق، ص٤١، (بتصرف).

(٤) ينظر: ديل، بيرخينيا باخه، علم الآثار وصيانة الأدوات والمواقع الأثرية وترميمها، ترجمة: خالد غنيم، بيروت، بيسان للنشر، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٨، ٣٩. وينظر: قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، مرجع سابق، ص١١٤ و ١٢٤ و ١٢٥ و١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **طريقة التأريخ المغناطيسي**، ويقاس كذلك لتحديد عمر الفخار.
- **طريقة قياس أشعة الشمس**، والتي تعطي تاريخاً يصل إلى (٦٠٠) ألف سنة.
- **طريقة الأحزمة الطينية**، والتي تعطي تاريخاً يصل إلى (١٥٠٠٠) ألف سنة.
- **طريقة قياس نسبة الفلورين في العظام المتحجرة**.
- **طريقة النظير المشع للرصاص.**
- **طريقة تحديد نسبة التأكسد في المعادن، وغيرها** [١].

المبحث الثاني: المكتشفات الأثرية والإعجاز التاريخي

يأتي هذا المبحث في مطلبين اثنين: الأول منهما يتناول: مفهوم الإعجاز التاريخي وبيان صلته بالإعجاز العلمي، والثاني: في فوائد الإعجاز التاريخي.

المطلب الأول: الإعجاز التاريخي : تعريفه وبيان صلته بالإعجاز العلمي

يعدُّ الإعجاز التاريخي بوصفه مصطلحاً حديثاً ومستحدثاً، ولا يمكن فَهمه إلا بتعريف لفظتي الإعجاز والتاريخ كُلٌّ على حدة. لذلك تجدر العودةُ إلى كتب اللغة ومضانّها، للوقوف على دلالتهما اللغوية والاصطلاحية، ومن ثمّ تعريف مصطلح الإعجاز التاريخي كمفهوم مركب.

- **الإعجاز لغةً**

يُردّ اسم الإعجاز لغة إلى المصدر الثلاثي "عجز". الدال على الضعف والتقصير، جاء في معجم مقاييس اللغة "العين والجيم والزاء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على الضَّعف، والآخر على مؤخَّر الشيء"[٢]، والعجز خلاف القدرة والاستطاعة قال الفراهيدي: العجز "نقيض الحزم"[٣]، يقال: أعجزه الأمر: أي فاته

---

(١) الشوكي، علم الحفائر الأثرية ، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، باب عجز، ج٤، ص٢٣٢.

(٣) الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي والسامرائي، د.م، دار ومكتبة الهلال، ، د.ط، د. ت، باب العين والجيم والزاي، ج١، ص٢١٥. (ش)

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يقوَ عليه. وهذا المعنى هو الذي تأكد بعد تتبّع اللفظة في كتاب الله تعالى، حيث وردت بصيغ ومشتقات مختلفة، تدور معانيها حول:

١. مؤخّر كل شيء، قال تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ (القمر: ٢٠) وهي إشارة قرآنية إلى أن مؤخر النخل هو جذورها المخفية.

٢. الضعف وعدم القدرة، قال تعالى: ﴿ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ ﴾ (المائدة:٣١) وهي إشارة من القرآن الكريم إلى القصور عن فعل الشيء.

ويُلاحظُ هنا أن المعنى الأول يقرب من الدلالة الحسية، وبينما المعنى الثاني يقرب من الدلالة المعنوية، وعلى كل حال فإن المعنيين يدوران حول محور واحد، وهو التأخر.

- **الإعجاز اصطلاحاً**

ينسب الإعجاز إلى القرآن وهذه النسبة مجازية عقلية؛ وذلك لأن الله هو الذي أعجز الإنسان بالقرآن، "والمقصود هنا لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق".[١] وإعجاز القرآن: هو إظهارُ صدق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في دعوى الرسالة بإظهار عجز الخلق -أجمعين- عن معارضة القرآن الكريم بإتيان شيء من مثله[٢].

ثانياً : تعريف التاريخ لغة واصطلاحاً

التأريخ لغةً من "أرخ"، يقال: أرَّخ الرسالةَ: أي حدَّد تاريخَها. وهو "تعريف الوقت"[٣] أي تبينه، وجاء في المعجم الوسيط أن التاريخ: هو "جملة الأَحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويَصْدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على

---

(١) الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، د.م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،ط٣، د.ت، ج٢، ص٣٣١.

(٢) القطان، منّاع، مباحث في علوم القرآن، د.م، مكتبة المعارف، ط٣، ٢٠٠٠، ج١، ص٢٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، باب أرخ، ج٣، ص٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظواهر الطبيعية والإنسانية".[١] والتاريخ كذلك يُعني بتحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها، وقد عرفته الموسوعة اللغوية الحديثة بأنه "اسم للعلم الذي يحفظ ذكرَ من مضى وما مضى"[٢].

- **التاريخ اصطلاحاً**

يندرج علم التاريخ تحت باب العلوم الإنسانية، فهو يسجل أحداث الإنسانية، وتفاعلها مع بيئته، ومنه تؤخذ العبر والدروس. وليس التعريف اللغوي ببعيد عن التعريف الاصطلاحي، فقد عرّف ابن خلدون التاريخ بأنه "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال..."[٣] وعرفّه السخاوي: بأنه "فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم"[٤]، وعرفّه آخر: بأنه " العلم الذي يُعنى بدراسة الأحداث التاريخية التي وقعت في الماضي بفعل الإنسان أو الظواهر الطبيعية من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية بالاعتماد على الأسس العلمية التي أقرها المنهج العلمي في البحث التاريخي"[٥].

ويُلاحظ من التعريفات السابقة أن التاريخ مختلف فيه، فهو فنٌ في نظر كل من السخاوي وابن خلدون[٦]، بينما هو علم يقوم على قواعد وأصول في نظر الكتّاب المحدثين، والراجح أن التاريخ اليوم علم يقوم على النقد والتحقق من النتائج، وهناك علوم أخرى مساعدة لعلم التاريخ في الوصول إلى نتائج صحيحة وصادقة عن أخبار الماضي، من أهم هذه العلوم علم الآثار.

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، مرجع سابق، باب الهمزة، ج١، ص١٣.

(٢) رضا، أحمد، معجم متن اللغة ، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٩٥٨، ج١، ص ١٦٠.

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر،ط٢، ١٩٨٨م، ج١، ص٤٦.

(٤) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢، ص٧.

(٥) ضاحي، فاضل جابر، محاضرات في منهج البحث التاريخي، دمشق، رند للطباعة ، ط٣، ٢٠١٠، ص٢٠.

(٦) قال ابن خلدون في مقدمته " اعلم أن فن التأريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد شريف الغاية..." . ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر...، مرجع سابق، ج١، ص٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : تعريف الإعجاز التاريخي

تعددت تعريفات الإعجاز التاريخي، منها الآتي: عرف الغمراوي الإعجاز التاريخي بـ "الناحية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن الكريم، ثم كشف عنها التنقيب الأثري فيما بعد"[١]. وثمة تعريف آخر يقرب من تعريف الغمراوي، وذلك: "أن يقدم القرآن الكريم عن طريق القصص القرآني، معلومات هامة وصحيحة تماماً عن عصور ما قبل الإسلام، وأخبار دولها، أيدتها الكشوف الحديثة كل التأييد"[٢].

ومع تقديري لهذا التعريف، إلا أن قوله "أيدتها الكشوف الحديثة كل التأييد" لا يتناول كل آيات القرآن الكريم، إنما تناولت البعض منها والتي وقف العلم الحديث عليها لاكتشاف مضمونها؛ ذلك أن العلم ما زال يبحث وينقب عن المضامين التاريخية في النصوص القرآنية.

وعرفه فضل حسن عباس بأنه: "حديث القرآن الكريم عن الأمم الماضية، أحوالها وأمورها، وحديثه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[٣].وقد عرّفَه زغلول النجار" بالإشارة الدقيقة إلى عدد من الوقائع التاريخية التي بدأت الاكتشافات الأثارية في إثبات صحتها"[٤]. وأضاف بيهقي إلى التعريفات السابقة بأنه عبارة عن: "الاكتشافات والتنقيبات الأثرية التي تؤكد صدق القرآن الكريم في كل ما أخبر به عن الأمم السابقة، ولم يكن يعلمها البشر عند نزوله"[٥].

---

(١) الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، إعداد: أحمد الكرداني، د.م، مطبعة السعادة ، ط١، ١٩٧٣، ص ٢٢٢.

(٢) مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: في بلاد العرب، بيروت، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٨، ج (١)، ص١٧٢.

(٣) عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، عمان، جامعة القدس المفتوحة، ط٢، ١٩٩٧، ص٤٦، مسرد المصطلحات.

(٤) النجار، زغلول راغب محمد، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ٢٠١٢، ص٥١.

(٥) بيهقي، فؤاد يوسف، الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الاسلامية، ٢٠٠٣، ص٢٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبتدقيق النظر في التعريفات السابقة، نجد أن: تعريف فضل عباس هو تعريف القصص القرآني، وما تبقى من تعريفات كلٍّ من الغمراوي، ومهران، وزغلول النجار وبيهقي فندرك أنها في مجملها متقاربة، اقتصرت على الاكتشافات والتنقيبات الأثرية التي جاءت لتؤكد صدق القصص القرآني.

والذي يظهر لي أن الإعجاز التاريخي هو: سبق القرآن الكريم في عرضه لحقائق تاريخية كانت مجهولة في عصر النبوة وما بعده، وموافقتها للحقائق العلمية والتنقيبات والمكتشفات الأثرية، والتي تُوصل إليها من خلال العديد من الأدوات والإجراءات التقنية والدراسات العلمية.

رابعاً: بيان صلة الإعجاز التاريخي بالإعجاز العلمي

تَرجعُ مسألة قبول العلماء لهذا النوع من الإعجاز، إلى قبولهم أو رفضهم للإعجاز العلمي، ولذلك تباينت مواقف العلماء قديماً وحديثاً في تحديد وجه إعجاز القرآن، وهذا الاختلاف ناشئ عن قولهم: هل النص القرآني يمكن أن يشتمل على المعارف كلها... أو أن القرآن كتاب هداية وتوجيه، وما يدل عليه من بعض الأوجه والآثار العلمية والتاريخية ليس إلا للتدبر والاتعاظ، فانقسموا بذلك إلى مجموعتين:

١) دعاة الإعجاز البياني، الرافضين لأي وجه من وجوه الإعجاز الأخرى.
٢) دعاة الإعجاز العلمي، وهم مؤيدون لأنواع الإعجاز الأخرى كافة ومنها الإعجاز التاريخي.

وجهة نظر المعارضين:

هؤلاء يقتصرون على الإعجاز البياني، إقراراً بعجز العرب - وهم أرباب الفصاحة والبلاغة- عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، وأن ما في القرآن من أخبار الغيب وإشارات العلم وحكمة التشريع لا دخل له في الإعجاز البتة، وإن كان ما فيه من ذلك فهو دليل على صدق القرآن وأنه من عند الله[١]، ومنهم على سبيل المثال لا

(١) ينظر: ابن نبي، مالك، مشكلات الحضارة: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.م، دار الفكر، د.ط، د.ت، ص٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحصر: الشاطبي، أمين الخولي، محمود محمد شاكر وعائشة عبدالرحمن وغيرهم. وتتمثل وجهة نظرهم في الآتي[١] :

١) ما ذهب إليه الشاطبي من أمية الشريعة؛ لأنها نزلت على أمة أمية ولذلك لا علاقة لهذه الشريعة بالعلوم، أي لا تحتاج في فهمها وتعرف أوامرها ونواهيها إلى التغلغل في العلوم الكونية والرياضيات وما إلى ذلك[٢]، وقد استدل بآيات وأحاديث نبوية دالّة على أمية الشريعة وأمية رسولها، منها: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ ﴾(الجمعة:٢) وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ﴾(الأعراف: ١٥٨)، وفي الحديث قال رسول الله -ﷺ- : (**بعثت إلى أمة أمية**)[٣].

٢) إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر، لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا.[٤]

٣) أشار الذهبي في كتابه إلى أن "البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والقرآن في أعلى درجات البلاغة فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفسير العلمي وقلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه متحملة لهذه المعاني المستحدّثة،

---

(١) وجهة نظر المعارضين تتمثل في رفضهم للتفسير العلمي أولاً، وذلك لأنه الطريق المؤدي إلى الإعجاز العلمي.

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، د.م، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧، ج٢، ص١٠٩، (بتصرف).

(٣) ابن حبان، محمد ابن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٩٣، باب ذكر العلة التي من أجلها سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه معافاته ومغفرته، ج٣، ص١٤، رقم ٧٣٩، تعليق الألباني: صحيح.

(٤) ينظر: الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق،ج٢، ص١٢٧ و ص١٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأوقعنا أنفسنا في ورطة لا خلاص لنا منها إلا بما يخدش بلاغة القرآن، أو يذهب بفطانة العرب..."[١].

٤) إن التفسير العلمي للقرآن يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، وإن "النظرة العلمية للقرآن وجعله مصدراً لجوامع الطب وضوابط الفلك ونظريات الهندسة، إلى غير ذلك من العلوم يوقع الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن الكريم؛ وذلك لأن قواعد العلوم ونظرياته، لا قرار لها ولا بقاء، فرُبَّ نظرية علمية قال بها عالِمٌ اليوم، ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير، لأنه ظهر له خطؤها..."[٢].

٥) إن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه، والمغرمين به على التأويل المتكلف الذي يتنافى مع مناهج التفسير المقبولة والمعتمدة، "والقرآن غني عن أن يعتز بمثل هذا التكلف الذي قد يوشك أن يخرُجْ به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ورياضة النفس والرجوع بها إلى الله"[٣].

٦) الخوف من أن تفهم آيات القرآن الكريم على غير وجهها الصحيح، فيفسر القرآن بالرأي المنهي عنه، وهو ما أكدت عليه عائشة بنت عبدالرحمن إذ قالت: "ولكن الذي لا أفهمه، وما ينبغي لي أن أفهمه، هو أن يجرؤ مفسرون محدثون على أن يخوضوا في كل هذا، فيخرج أحدهم على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وكيمياء وجيولوجيا وأنثروبولوجيا"[٤]

٧) إن القرآن الكريم أُنزل ليكون كتاب هداية، ولم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف[٥].

---

(١) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، دار الحديث، د.ط، ٢٠٠٥، ج٢، ص٤٣٠.

(٢) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج٢، ص٤٣١.

(٣) الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، د.م، دار المعرفة، ط١، ١٩٦١، ص٢٩٦، (بتصرف).

(٤) بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، القرآن وقضية الإنسان ، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨١، ص٣٥٠، (بتصرف يسير)

(٥) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجهة نظر المؤيّدين:

وهؤلاء لا يرفضون الإعجاز البياني أصلاً، فإنه أساس الإعجاز العلمي ولبُه، فالإعجاز البياني واقع في كل سوره بل في كل آية من آياته، بينما الإعجاز العلمي والتاريخي والتشريعي... وغيره من وجوه الإعجاز لم يقع في كل آياته. ومن هنا فإن أوجه الإعجاز عند هؤلاء المؤيدين قد تعددت، وهذه الوجوه تختلف قوتها باختلاف متذوقها والناظر فيها، فمن العلماء من أوصل وجوه الإعجاز إلى خمسة وثلاثين وجها، كما فعل السيوطي[١]. وقال ابن سراقة اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره[٢]. ومن وجهة نظري أرى أن الإعجاز القرآني نوعان: إعجاز بياني وإعجاز علمي والإعجاز العلمي يندرج تحته باقي وجوه الإعجاز الأخرى[٣]. وبذلك يكون الإعجاز التاريخي جزءاً من الإعجاز العلمي.

ومن أدلة المؤيدين:

١) ما اعتمدوه من الأدلة النقلية من القرآن والسنة، منها قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣) وقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأنعام:٣٨)، ومن السنة النبوية قوله: -ﷺ- **(ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم**

---

(١) السيوطي، أبي الفضل جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية ، د.ط، د.ت، ج١، ص ٩١١.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث، د.ط، ٢٠٠٦، ج٤، ص٣١٢.

(٣) يرجع: الغمراوي، الاسلام في عصر العلم، مرجع سابق، ص٢٢١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القيامة)[1]، وقيل في فَهم هذا الحديث: "أن المعجزة تختلف واختلافها يعود أساساً لقدرتها على الثبات أمام جميع الحضارات، وما تنتجه من أفكار علمية أو اجتماعية ... فالقرآن الكريم نزل موافقاً للاستعدادات الإنسانية كلها ومتحدياً لها كلها في كل زمان ومكان".[2]

٢) آيات التحدي الأربع خير دليل للقول بأن إعجاز القرآن الكريم هو إعجاز عام يشمل المعجزة البيانية والعلمية والتشريعية والتاريخية إلى غير ذلك من وجوه. فإن من إعجاز القرآن أن خاطب العرب بلغة معجزة في زمنهم ومعجزة في زمن غيرهم وسيبقى معجزاً متجدداً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. فقد جاءت آيات التحدي الثلاث في القرآن الكريم وهي آيات من سور مكية، إلا أن سورة يونس في مكيتها ومدنيتها قولان، والمشهور أنها مكية.[3] وهي قوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور:٣٤). وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾(هود:١٣). وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾(يونس: ٣٨) . جاءت هذه الآيات في سياق واحد وهو خطاب العرب الذين نزل القرآن فيهم، تتحداهم وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان. فكان أول ما تحدى الله به العرب الإعجاز البياني؛ لأنه الأظهر في إقامة الحجة زمن النبي -ﷺ- لِما كان العرب يتمتعون به من فصاحة وبيان. ثم نزل قولهُ تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٣). أما آية البقرة فمدنية، فلقد كانت في

---

(١) مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، ج١، ص١٣٤، رقم٢٣٩.

(٢) رحماني، أحمد، نظريات الإعجاز القرآني، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٨، ص١٧.

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق ، ج١، ص٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سياق أوسع دائرة؛ وذلك أنها جاءت لتخاطب الناس جميعاً في كل عَصر ومَصر فانتقل التحدي ليشمل العرب وغيرهم، وليشمل وجوهاً جديدة من الإعجاز، تتجدد على مر الأزمان، فالتحدي مستمر وباقٍ ما بقي القرآن،[1] وذلك بدلالة القرآن؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨).

٣) القرآن الكريم معجزة للخلق أجمعين، لذا "ينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفا على فصحاء العرب ومن شاكلهم، لذلك لا بد أن يتضح إعجازه لكل إنسان ولو كان أعجمي اللسان لتلزمه الحجة، إن هو امتنع عن الإسلام؛ وعليه لا بد أن يكون هناك جوانب أخرى غير الإعجاز البلاغي، وهذا يكمن في الاعجاز العلمي وما يندرج تحته من وجوه أخرى".[2]

٤) جواز التفسير بالرأي وذلك وفق قواعد التفسير، قال الغزالي: "جاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله"[3]. ومعلوم أن طاقات البشر تتفاوت وجهودهم تختلف، خاصة إذا اختلفت العصور وتنوعت المعارف والثقافات وازاد التقدم العلمي وظهرت المكتشفات العلمية.

تبين مما سبق أن الاختلاف في موقف العلماء من قبول الإعجاز التاريخي أو رفضه، إنما هو ناشئٌ عن إجلالهم للقرآن الكريم وخوفهم من أن تحيط به شبهة، وكانت نتيجةً كذلك لخطأ بعض من فسروا القرآن بما جدّ من المكتشفات العلمية والمبالغة في التوفيق بينهما دون ضوابط وقواعد صحيحة، فهؤلاء - من مثل تفسير ''الجواهر في تفسير القرآن الكريم''- ليسوا بحجة على العقلاء الذين عالجوا الإعجاز العلمي معالجة موضوعية فلم يلووا عنق الآية، ولم يحملوها ما لا تحتمل، بل راعو القواعد وطبقوها- وهذا ما ستدرسه الباحثة في المبحث اللاحق - .

---

(١) ينظر: عباس، فضل حسن، المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز، مجلة الجامعة الأردنية، المجلد١١، عدد٤، ١٩٨٤، ص١٠٤.

(٢) الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، مرجع سابق، ص٢٢١، (بتصرف).

(٣) الغزالي، محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت ، دار المعرفة ، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٩٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتبين لنا كذلك أن لإعجاز القرآن نواحٍ غير الناحية البلاغية تتمثل بالناحية العلمية والناحية التشريعية والناحية التاريخية، وغيرها. وأن الناحية التاريخية من النواحي التي ينبغي أن يشمر المسلمون للكشف عنها، وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث، لفهم كتاب الله ومراده.

المطلب الثاني : فوائد الإعجاز التاريخي .

بدأ بعض المفكرين والدعاة ينظرون في كتاب الله، فوجدوا أنه يحوي في جانب كبير منه إشارات تاريخية لأحداث الأمم السابقة، ورأوا إمكانية تلاقي تلك الإشارات القرآنية مع الحقائق التاريخية والعلمية، وليس معنى هذا أن التفسيرات التاريخية للقرآن الكريم وليدة القرن العشرين فقط، فقد سبق أن نبّه عليها بعض المفسرين القدامى في تفسيراتهم، منهم: الشعراوي حيثُ أسماه حاجز الزمن الماضي، فقال: "لقد مزق القرآن حواجز الغيب الثلاثة: حاجز المكان، حاجز زمن المستقبل، وحاجز الزمن الماضي: الذي يتحدث عن أخبار الأمم السابقة وقصص الرسل السابقين..."[1]. وابن عاشور: وقد كان ألمعياً في تفسيراته ومتميزاً في محاولة التوفيق بين الإشارات القرآنية مع الحقائق التاريخية، إلا أن الاهتمام بهذا الجانب قد ازداد في هذا العصر وخصوصاً مع ظهور الكثير من الكشوف العلمية المعاصرة متمثلة بالمكتشفات الأثرية والتاريخية، فبدأت الدعوات والمؤتمرات والبحوث تحثُ على إبراز وجه الإعجاز التاريخي والكتابة فيه وكان أهم من أبرز هذا الجانب ودعا إليه الغمراوي[2]، زغلول النجار، فضل حسن عباس.

(1) الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن، القاهرة، المختار الإسلامي، ط١، ١٩٧٨، ص١٣.

(2) قال الغمراوي: أما ما يتعلق بما وقع للإنسان في تاريخه على الأرض فهو جانب الإعجاز القرآني التاريخي الذي لم يكد يمس النظار منه إلا الأخبار الغيبية المتعلقة بالإسلام... إلى أن قال: أما القصص القرآني عن ماضي الأمم والشعوب، وما بينه وبين قصص التوراة والإنجيل من اتفاق واختلاف، وما يقتضيه هذا من بحوث وتنقيب لإظهار هيمنة القرآن... أما هذا الباب من إعجاز القرآن التاريخي فإنه لا يزال كنزاً لم يستفتحه المسلمون بعد. الغمراوي: محمد أحمد، من إعجاز القرآن التاريخي: أنْ لم تُذكر إسرائيل في القرآن ،مجلة الأزهر، د.م، العدد/٦، ١٩٦٧، ص ٥٠٨- ٥١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا فإن قبول الإعجاز التاريخي كوجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم والبحث فيه ينجم عنه فوائد متعددة، وهي كالآتي :

١. إبراز صدق القرآن

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم، يتضح لديه أنه قد أشار للجانب التاريخي من حياة البشرية السابقة بدقة فائقة، كما يتضح لديه سِبق القرآن الكريم في عرضه لهذه الإشارات التي كشف عنها العلم الحديث مؤخراً،قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص:٨٨). وهذا مما حيَّر العلماء الغربيين وأدهشهم، ومنهم العالم الجيولوجي "ألفريد كرونير" قال: "لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة، حيث لم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدلُ على أن النبي محمد -ﷺ- لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي"[١]

وإن الكشف التاريخي عن حقائق القرآن الكريم يردُّ القول بأن أحداث القصص القرآني ليست تاريخية، وأنه أساطير لا حقيقة لها. قال محمد أحمد خلف الله: إنّ "ما يفهم من النظر في هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن الأساطير أن القرآن لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله"[٢]

وهذه الأقوال وغيرها جاءت تردّها نتائج الأبحاث الجيولوجية والأحفورات الأثرية والكشوفات التاريخية، والتي جاءت لتبين أن القرآن الكريم لا يقصُ قصصاً أسطورية، إنما يقص قصصاً لأحداث وقعت فعلاً في التاريخ الماضي. قال الشعراوي: "فقصص القرآن يتقصى الحقائق ولا يقول غيرها... وقصص الإهلاك

(١) فارس، نايف، علماء ومشاهير أسلموا، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٠، ص١٠.

(٢) خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥١، ص٢٠٣ و٢٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للأمم التي كفرت إنما هو عبرة لمن لا يعتبر، والناس تعلم أن ما رواه القرآن من قصص هو واقع تدل عليه آثار الحضارات التي اندثرت، وبقيت منها بقايا أحجار ونقوش على المقابر، ونحن نجد في آثار الحضارات السابقة ما هو قائم من بقايا أعمدة ونقوش، ومنها ما هو مُحطَّم".[١]

٢. إثبات صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

ادعى بعض المستشرقين بأن القرآن الكريم من تأليف محمد -ﷺ- إذ نقله عن كتب التوراة، قال نولدكه: إن" بعض الأساطير العربية القديمة، كتلك الموثقة في أسماء مناطق جغرافية وأشعار قديمة، والتي تشير باختصار إلى عاد وثمود وإلى سيل العرم وما إلى ذلك، أخذها محمد وبدّلها تبديلاً تاماً بحسب قصص الأنبياء اليهود التي أتى بها، حتى لم يبقَ من الصيغ الأساسية لهذه الروايات إلا القليل"([٢]). وأنه حين نقل عنها أخطأ في بعض المنقولات [٣]، وهذا ادعاء غير صحيح، حيث أثبت العلم الحديث تحريف التوراة والإنجيل والتي لم تتوافق مع الحقائق العلمية. وهذا ما خلُصَ إليه موريس بوكاي في كتابه، حيث وجد أن روايات التوراة لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة، بينما وجد المعطيات العلمية الحديثة تتوافق تماماً مع ما جاء في النص القرآني، قال موريس: "لو كان كاتب القرآن بشراً فكيف أمكنه في القرن السابع من العصر المسيحي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة، فنص القرآن الذي نراه اليوم هو نفس النص الأول"[٤].

([١]) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، د.م، مطابع أخبار اليوم، د.ط ، د.ت، ج١١، ص٦٦٦٧.

([٢]) نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، ترجمة: جورج تامر، ألمانيا، منشورات الجمل، د.ط، ٢٠٠٨، ص١٨.

([٣]) قال موريس: "إن التعاليم التي تُدرس في الغرب لا تتحدث عن المسلمين وإنما عن المحمدين لتأكيد الإشارة إلى أن المعني به دين أسسه رجل وبالتالي فهو دين عديم القيمة تماماً إزاء الله" . بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : دراسةُ الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، ط٨، ١٩٨٢، ص ١٤٤.

([٤]) بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : دراسةُ الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مرجع سابق ، ص١٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. أنه ذو أسلوبٌ دعوي

من أساليب القرآن الدعوية التي اتخذها الدعاة للتعريف بالله والإيمان به، آيات الأحداث التاريخية الداعية إلى السير في الأرض والتأمل في عاقبة الأمم البائدة، وذلك باتباع المنهج الحسي أو بما يسمى التجريبي[١]، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٧-١٣٨)

وفي هذه الآية الكريمة نجد أنها تخاطب المسلمين وغيرهم، قال أبو حيان: "إنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة وتثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين"[٢].

ويعدُّ كذلك الكشف التاريخي لحقائق القرآن أسلوباً دعوياً لهداية الإنسانية الحائرة في الشرق والغرب - من غير المسلمين- باستمالتهم بالعلم الذي يقدّرونه ويعترفون بنتائجه. والذي يتتبع أخبار العلماء الغربيين ممن دخلوا في الإسلام - ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود - يجد فريقاً منهم قد ابتدأ سيره إلى الحق، والذي انتهى به لإعلان إسلامه؛ وذلك من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم، قال ونشستر: "إن انشغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل ...فإذا كنا نريد أن ندعم إيماننا بالله فعلينا بمزيد من التعمق في كشف الحقيقة"[٣] .

---

(١) المنهج الدعوي الحسي: وهو مجموعة من الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب. البيانوني، محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٥، ص٢١٤.

(٢) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ، ج٣، ص٣٥٢.

(٣) ونشستر، ألبرت ماكومب، العلوم تدعم إيماني بالله، في: الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: عبدالمجيد سرحان، د.م، د.ن، ط٣، ١٩٦٨، ص١٠٤ و ص١٠٧،(بتصرف).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. إبراز عالمية القرآن الكريم

أُنزل القرآن الكريم ليكون معجزة خالدة ومستمرة إلى يوم القيامة، وهذا يقتضي فَهم جديد للنص القرآني، إذ إن "مقتضى عالمية الإسلام وخلوده أن يفي بحاجات الحياة المتطورة والظروف المتغيرة مما ينفي عنه شبهة الجمود أو معاندة التجديد"[١].

٥. وسيلة دامغة للرد على المشككين بما في القرآن

تعرض القرآن الكريم لكثير من الشبهات والشكوك التي يذيعها الملاحدة والمستشرقون اليوم، وكان من هذه الشبهات تكذيب القرآن الكريم في إخباره عن الماضي البعيد للأمم البائدة، إذ "أنكروا وجود عاد وثمود وأنكروا وجود أبرهة وقصة الفيل كما أنكروا قصة نوح وما حدث لقومه، أنكروا كل هذه الحقائق تحت دعوى النقد العلمي التاريخي"[٢] ومن هنا فإنه من الواجب التصدي لأولئك بنفس المصطلحات والوسائل والأساليب التي يستخدمونها. وفي إثبات الإعجاز التاريخي يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك في القرآن الكريم؛ فإذا كان القرآن يقص علينا الأحداث الواقعية التي حدثت، فإن الكشوفات الأثرية والعلمية جاءت لتقيم الدليل المادي الناطق على هذا القصص.

٦. الرد على من يقول بأن هناك عداوة بين العلم والدين

نبذ العلمانيون الدينَ وراء ظهورهم، وذلك حين منعت الكنيسة العقول العلمية من "التفكير بأمور الكون المادي، وبما تقتضيه الملاحظة والمشاهدة العلمية، وأمرتهم بالالتزام بالتفسيرات الكنسية لما جاء من إشارات في التوراة عن شكل الأرض وعمر الإنسان، ولو خالفت هذه التفسيرات كل حقائق العلم النظرية والعلمية على السواء".[٣] وبفصل الدين الكنسي عن العلم، ازداد الأمر تعقيداً إلى

---

(١) شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، القاهرة، دار التراث، ط١، ١٩٨٢، ص١٦٥.

(٢) صالح، سعد الدين السيد، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣، ص١٣٥.

(٣) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، القاهرة، دار الشروق، ط١٠، ٢٠٠٨، ص٥٠،(بتصرف يسير).

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن وصلت الحال بهم إلى كراهية الدين والنفور منه، ورفض الحقائق العلمية القائمة على أساس ديني، والتي تتعارض مع نصوص الكتاب المقدس.

وفي هذا العصر ''عصر ثورة المكتشفات العلمية'' ادعى العلمانيون أن القرآن الكريم كغيره من الكتب يحوي تعارضاً بين الدين والعلم. ولكننا نردّ عليهم بأن القرآن الكريم لم يُعاد العلم يوماً، بل يتضح موقفه من خلال الآيات التي تفوق الحصر والتي جاءت موجهة للعقل الإنساني إلى الإقبال على العلوم على اختلاف أنواعها، والتي فضلت العالم على غيره، قال تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(الزمر:٩). وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر:٢٨). ومن العلوم التي دعا إليها القرآن الكريم وحثّ على تعلمها: علم التاريخ، إذ إنه "لم يكتف بحث المسلم على النظر فيما هو أمامه من الكائنات، بل دفعه إلى البحث فيما كانت عليه الأمم السالفة من قوة السلطان واتساع العمران، ثمّ ما آلت إليه بعد اتباع الشهوات وتجاهل البينات".[1] قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الروم: ٩) .

(1) طبّاره، عفيف عبدالفتاح، روح الدين الإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢٦، ١٩٨٥، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. وسيلة لتنشيط همم المسلمين لمواكبة العلم والاكتشافات الأثرية

إن الجهود المبذولة - في التوفيق بين المكتشفات الأثرية والحقائق القرآنية - من علماء المسلمين مقارنةً بجهود علماء الغرب ودعاتهم قليلة جداً،[١] وكون أننّا لا نأمن لبعض نتائج الجهود الغربية ولا نحتكم لها؛ وذلك لأن جهودهم قائمة على أيدولوجيات غربية بعيدة كل البعد عن أسس البحث العلمي النزيه، والتي جاءت لتهدم الإسلام، فإننا اليوم بحاجة إلى علماء مخلِصين يواكبوا العلم الحديث وتقنياته المتمثلة بالمنهج التجريبي وهذا ما أكد عليه زغلول النجار مراراً، حيث يقول: "إن في إثارة قضية الإعجاز العلمي بكل من القرآن والسنة استنهاضاً لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير الإبداعي فيها، وتشجيعاً على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التي تخلفت فيها الأمة مؤخراً، في الوقت الذي تقدمت فيه دول العالم الصناعية تقدما مذهلاً ... هذا بالإضافة الى حاجة العلوم المكتسبة اليوم إلى التأصيل الإسلامي الدقيق إنصافاً لكل من العلم والدين..."[٢]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ينبغي شكر الجهود التي بذلها الباحثون في محاولاتهم المخلصة لفهم الآيات ذات الدلالات التاريخية، ومحاولاتهم أيضاً في ترجمة الأبحاث العلمية الحديثة والتي تتطابق مع منطوق الآيات ذات الإشارات التاريخية، من مثل كتاب: خلق لا تطور: الإنسان ابن آدم وليس ابن قرد، وغيرها.

(٢) النجار، زغلول راغب محمد، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مرجع سابق،ص١٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني

تمهيد

إن علم التفسير من أعظم علوم القرآن الذي يقوم على فهم معاني كلامه سبحانه وتعالى، وتدبر ما فيه من أنواع الهداية التي أنزلها سبحانه وتعالى لعباده، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (ص:٢٩)

وحاجة الأمة اليوم ماسّة إلى فهم القرآن، الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الترديد **(وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ)**[1].

وقد وضع علماء التفسير وعلماء علوم القرآن، قواعد عامة تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ في فَهمه لآيات القرآن الكريم، وتحميه من القول على الله بغير علم، إذ جعلوا طرقاً أربعة ينهجها المفسر عند تفسيره للآية القرآنية. فهو أولاً: يلزمه أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل منه في موضع فإنه قد فصِّل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر. ثانياً: أن يفسر القرآن بالأصل الثاني لهذا الدين وهو السنة، فإنها شارحة للقرآن موضحة له، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤). وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ ﴾ (النحل:٦٤). وقال عليه الصلاة والسلام: **(أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ)**[2] يعني السنة. ثالثاً: الرجوع إلى

---

(1) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠، باب: تفسير سورة الأنبياء، ج٢، ص٤١٤، حديث رقم (٣٤٤٢). تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(2) أبو عبدالله الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د.ط، د.ت، باب: حديث المقدام بن معد يكرب الكندي أبي كريمة، ج٤، ص١٣٠، رقم(١٧٢١٣). تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عروف الجرشي فمن رجال أبي داود والنسائي وهو ثقة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح. رابعاً: الرجوع إلى أقوال التابعين الصحيحة المتفق عليها معنى؛ لأنهم تلقوا عن أعلم الناس بالتفسير وهم الصحابة.[١]

أما العلوم التي ينبغي توفرها في المفسر:[٢] أهمها العلم باللغة العربية وفروعها؛ فإن القرآن نزل بلسان عربي، وفهمه يتوقف على فهم مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "أَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا"[٣]، ومن فروع علم اللغة العربية: علم النحو، علم الصرف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة من: المعاني والبيان والبديع، وغيره. ومن العلوم التي تعين المفسر العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن: كعلم القراءات، وعلم التوحيد وعلم الأصول، وأصول التفسير خاصة مع التعمق في أبوابه التي لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها، كمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك. والعلم بعادات العرب وتقاليدهم وأحوالهم الاجتماعية، قال صاحب تفسير المنار "كيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة، أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه"[٤]. ودقة الفهم أو ما يسمى بـ "علم الموهبة" تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

(١) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج٤، ص٤٥٥.

(٢) ينظر: مناع، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص٣٤١.

(٣) أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣، باب: فصل في ترك التفسير بالظن، ج٣، ص٥٤٣، رقم(٢٠٩٠).

(٤) رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم ، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠، ج١، ص٢١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : ضوابط التفسير اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني

ويقصدُ بهذه الضوابط: ما يلزم للبحث في المكتشفات الأثرية الحديثة وبيان توافقها مع نصوص القرآن الكريم التي حوت إشارات تاريخية. ومن ثم فإن تلك الضوابط ما هي إلا إسهاماً في علاج كثير من المزالق التي وقع فيها بعض الباحثين وإرشادهم إلى الطريق الصحيح لفهم كتابه سبحانه وتعالى.

وعلى هذا فإذا أُخذ بالاعتبار أن الكشوفات الأثرية، والتي تحاول بيان إعجاز القرآن التاريخي هي نمط من أنماط الكشف العلمي، ظهر لنا أنها تخضع لما يخضع له التفسير العلمي لنصوص القرآن المتضمنة إشارات علمية؛ وذلك أن الكشف الأثري الحديث متصل بالعلم، وقائم على استعمال أدواته، وعلى هذا فإن الضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني، هي ذاتها الضوابط اللازمة للتوفيق بين التفسير العلمي، أو الكشف العلمي، والنصوص القرآنية المتضمنة للإشارات العلمية، مع الأخذ بالاعتبار خصوصية الكشف الأثري الحديث (الإعجاز التاريخي) على الكشف العلمي من جهة أنه أخص منه، من حيث الاتجاه والعلوم الخاصة به.

وإسهاماً في التأصيل الإسلامي لمثل هذه البحوث العلمية، جاءت هذه الضوابط لتجعل مسيرة البحث في غاية الدقة لا ينتابها الخطأ، ومن هذه الضوابط، ما يلي:

١. القرآن الكريم كتاب هداية

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم لتحقيق الهداية للناس، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:٢). وكل ما ذكر فيه هو لتحقيق تلك الهداية التي من شأنها أن تحقق الغاية والمهمة التي خلقنا من أجلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اتخذ القرآن الكريم مسالك عديدة لتحقيق هذه الهداية؛ إذ إن "هداية القرآن عامة باقية متجددة تتجدد في أسلوبها بتجدد حياة المجتمع الإنساني، أودع الله فيه من الهداية والمعارف ما يكفل صلاح البشرية ويحقق لها السعادة... وكل جيل من البشر يقتبس من هذه الهداية الإلهية ما يناسبه في عصره ودرجته من العلوم والمعارف وانطلاق تفكيره في دائرة أصول القرآن الثابتة التي لا تقبل التأويل ولا التبديل"[1].

ولذا كان على المفسر أن يراعي هذا الضابط ولا يسترسل عنه، فإن ما ذكره القرآن من إشارات علمية أو جغرافية أو تاريخية أو فلكية أو طبية... لم يغفل عن المقصد الأسمى والغاية العظمى من القرآن بما تقوم به الحجة، ويعمُ به النفع إنما ذكرت في سياق العظة والعبرة، وفي مقام الإرشاد والاعتبار[2].

٢. القرآن الكريم أصل الأصول جميعاً

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ (المائدة:٤٨) .

فهو الحاكم والرقيب على جميع الكتب السابقة، وهو الحكم عند التنازع في القواعد والفروع، فإذا قال القرآن في شيء فقوله الفصل وحكمه الأصل. وإذا كان القرآن مهيمناً على الكتب السابقة له، فغيرها أولى وأحرى بهيمنة القرآن عليه مثل العلم، مع الأخذ بالاعتبار أن القرآن لا يتناقض مع العلم الصحيح؛ لأن مصدرهما واحد.

(١) أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، رسالة دكتوراه منشورة، بيروت، دار قتيبة، ط١، ١٩٩١، ص١٠١.

(٢) ينظر: عبود، عبد الغني، الإسلام والكون، د.م، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٧، ص٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. التزام شروط التأويل في النص القرآني

يمتاز الأسلوب القرآني بالمرونة في التأويل، حيثُ أن اللفظ القرآني واسع الدلالة يقبل وجوهاً في التأويل من غير تعارض أو تضاد، فهو "لا يعلو عن أفهام العامة ولا يقصر عن مطالب الخاصة، وهذا لا يعني أن هناك وجهاً للعامة ووجهاً للخاصة، بل هو معنى واحد، لكنه من العطاء بحيث يدرك منه كل قارئ قدر طاقته، ووسع عقله وفكره فلا يحمله ما لا يطيقه، ولا يقصر عن حاجته..."[١].

أما الشروط الواجب مراعاتها عند تأويل النص القرآني، ما يلي:

أولاً : أن يكون مع اللفظ دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه

يتعين على مفسر القرآن الكريم عند فهم النص القرآني أو الكلمة القرآنية، أن يرجع إلى دلالات الكلمة الحقيقة والمجازية، واستعمالاتها في اللغة العربية، لتكون المعاني التي تحتملها الكلمة واضحة في الذهن عند الإقدام على تفسيرها في هذا المجال. ومن هنا فلا يصح تأويل وصرف الحقائق المتعينة عن ظاهرها؛ لأن الأصل في القرآن هو الحمل على الحقيقة،[٢] فإننا "لا نعدل عنها إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة التي تمنع من إجراء اللفظ على ظاهره"[٣] فلا بدّ من دليل شرعي أو عقلي يصرف اللفظ إلى المجاز، وقد أشار الزركشي إلى وجوب تحقق هذا الشرط، فقال: والتأويل في الاصطلاح هو: "صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله، ثم إن حمل لدليل فصحيح، وحينئذ فيصير المرجوح في نفسه راجحاً للدّليل، أو لمَا يظن دليلاً ففاسد، أو لا لشيء فلعِب، لا تأويل"[٤] و إثبات هذه القاعدة وعدم مخالفتها تمنع المفسر من الوقوع في الخطأ .

---

(١) الرومي، فهد بن عبدالرحمن، خصائص القرآن الكريم، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٩، ١٩٩٧، ص٣٤.

(٢) ومثال ذلك القول بأن من المجاز أن يطلق على العم اسم الأب، وعلى هذا فإن آزر الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾(الأنعام: ٧٤)، هو عمُّ إبراهيم، وهذا القول غير صحيح يرده قوله صلى الله عليه وسلم: **(يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة...)**، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط١، ١٩٨٧، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا}، ج٤، ص١٩٦، رقم ٣٣٥٠.

(٣) صالح، سعد الدين السيد، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣، ص١٧١.

(٤) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط ، ٢٠٠٠،ج٣، ص٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : عدم التحيز لفكرة أو رأي ينتج عنه تحميل النص مالا يحتمله[1]

ومما يدلل عناية القرآن الكريم بهذا الضابط، محاربته "للتقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير، التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه وأن يطلق عقولهم لتتدبر ويشع فيها اليقظة والحركة والنور"[2] قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص:٢٦). فهذه إشارة قرآنية تنص على مبدأ الموضوعية، والبعد عن الأهواء والنزعات الشخصية وعدم التأثر بالأشخاص أو الجماعات والأفكار الأيدولوجية لمذهب معين كما في مجال العقائد؛ وذلك حتى لا يكون لهذه الأهواء تأثير على الحقيقة وقبولها.

ثالثاً: عدم التقليل من جهود العلماء السابقين، خاصة السلف في محاولاتهم المخلَصة لفهم دلالة تلك الآيات " التاريخية" في حدود المعلومات التي كانت متاحة لهم في زمانهم، حيث تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الانسانية.

٤. الحقائق القرآنية حقائق نهائية مطلقة

أي أن الحقائق القرآنية ثابتة لا تتغير ولا تتطور، إنما يحصل التطور في عقل الإنسان وفَهمه الذي يتسع بكثرة التجارب العلمية والكشوفات التقنية. فما ثبت أنه حق في وقت ما سيكون دائماً حقاً، فالحق مستقلٌ عن الزمان والمكان، وسمي هذا بـ " أصل إطراد الفطرة واستقلالها " قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:٦٢). وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(فاطر:٤٣). فهذه آيات صريحة في إطراد الفطرة وبقاء سنن الله فيها على الزمان كله من غير تحويل ولا تبديل.[3]

---

(1) صالح، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم ، مرجع سابق، ص١٨٨.

(2) سيد قطب ،إبراهيم، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، د.ط، د.ت، ج٥، ص٢٧٩٣.

(3) الغمراوي، الاسلام في عصر العلم، مرجع سابق، ص٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. الحقائق العلمية مناط الاستدلال

الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم بصورة قاطعة ونهائية، لا تقبل النقاش أو الاعتراض، قال العقاد: "ولا يندر في القواعد العلمية أن تتقوض بعد رسوخ أو تتزعزع بعد ثبوت "[١] . أما الآراء والنظريات العلمية فهي ما زالت في بداية الطريق العلمي، وهي قابلة للخطأ أو التعديل أو الإبطال ولذلك لا نفسر الآيات القرآنية في ضوء النظريات والفرضيات العلمية، فإنه " لا يجوز أن نتردد إطلاقا في فهم النص القرآني على ضوء الحقيقة العلمية، على شرط أن تكون حقيقة علمية، أما الفرضيات والنظريات فعلينا أن نحتاط في حمل النّص القرآني عليها".[٢]

إن البحث بما في الآيات القرآنية من إعجاز تاريخي يظهرُ عند محاولة التوفيق بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية الثابتة فقط، أما أن نقحم ما عدا الحقائق القطعية في الإعجاز فيعد ذلك مخاطرة ومجازفة تنقلب على تصديق الوحي بالتشكيك فيه. قال الشعراوي: "فعلينا -إذن- أَلاَّ نربط القرآن بالنظرية التي تحتمل الصدق أو الكذب، حتى لا يتذبذب الناس في فَهْم القرآن، ويتهمونا أننا نُفسِّر القرآن حَسْب أهوائنا، أمّا الحقيقة العلمية الثابتة فإذا جاءت بحيث لا تُدفَع فلا مانعَ من ربطها بالقرآن"[٣].

وقد توجه بعض الباحثين إلى التفريق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي وعلى هذا الأساس فإنهم يجيزون توظيف النظريات السائدة في التفسير العلمي للقرآن الكريم، أما الإعجاز العلمي فلا يجوز أن يوظف فيه إلا الحقائق القطعية الثابتة[٤]، وأضاف آخر أنه "ليس ثمة ما يمنع من الاسترشاد بالنظريات العلمية في توضيح آية من آيات القرآن الكريم ما دام اللفظ يستوعبها ولا يتمرد عليها "[٥]

---

(١) العقاد، عباس محمود، الفلسفة القرآنية ، د.م، دار الهلال، د.ط، ٢٠٠٤، ص١١.

(٢) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤ هـ ، ج٨، ص٤٦٥٨.

(٣) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج١٥، ص٩٥٢٠.

(٤) ينظر: النجار، زغلول راغب، قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيد والمعارض ، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠٠٦، ص٧٠.

(٥) أبو ذياب، خليل إبراهيم، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم ، عمان، دار عمّار، ط١، ١٩٩٩، ص٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بات من المؤكد أن النظريات والفرضيات لا يجوز أن يفسر بها القرآن الكريم؛ لأنها عرضة للإبطال، وكل تفسير اعتمد على نظريات لم تثبت فإنه يسلب روح الإعجاز والتحدي في القرآن، هذا أولاً، ثانياً: أن التفريق بين الإعجاز والتفسير العلمي بتوظيف الحقائق أو النظريات فيهما غير صحيح ولا يسلّمُ به؛ فلو فرضنا جواز تفسير القرآن الكريم بالنظريات المقبولة، فما الذي يجعل القارئ يميز ويفرق في أن هذه الآية مفسرة على سبيل التفسير العلمي وليس على سبيل الإعجاز العلمي.

٦. الحقائق التاريخية في القرآن مختصرة ومجملة

بيّنا سابقاً أن القرآن الكريم كتاب هداية، ومع ذلك فنجده قد أتى بمضامين علمية أو تاريخية أو تشريعية وغيرها لتحقيق تلك الهداية. وتأكيداً على ذلك نجد القرآن الكريم في علاقته مع تلك المضامين "يعتمد على الإشارة الخاطفة واللمحة السريعة التي تختزل الحقائق الهائلة المبثوثة في الكون".[١] فهو ليس كتاب علم ولا كتاب فلك ولا كتاب طب ولا كتاب تاريخ إنما نجد إشارات فيه لكل هذه العلوم، إشاراتٌ مختصرة وموجزة "أمَّا الأمور الكونية التي تخضع لثقافات البشر وارتقاءاتهم الحضارية فقد جاءت مُجْملةً تنتظر العقول المفكرة التي تكشف عن هذه الظواهر واحدةً بعد الأخرى، وكأن الحق -تبارك وتعالى- يعطينا مجرد إشارة، وعلى العقول المتأمّلة أنْ تُكمِلَ هذه المنظومة".[٢]

٧. لا تعارض بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية التاريخيَّة

بات من المؤكد أن المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له أيضاً، كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون بأن القرآن الكريم لم يصادم ولن يصادم حقيقة علمية ثابتة وقائمة على اليقين.[٣] بل هو يؤيدها ويؤكدها. إن كتاب الله المقروء وكتاب الله

(١) أبو ذياب، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص٤١.

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج١٥، ص٩٥١٩.

(٣) الرومي، خصائص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنظور لا تناقض بينهما، قال ابن تيمية: "إن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول"[1] وفي ذلك قال الغمراوي: أن هناك أصلين يتخذهما العلم في تطبيقه قوانين التفكير المجموعة في علم المنطق القياسي: الأول: أسماه أصل توافق الحقائق واستحالة تناقضهما، فقال: "إنه لا تناقض مطلقاً بين الحقائق، فليس من الممكن أن ينقض حق حقاً، فما ينقض حقاً إذن فهو باطل... إلى أن قال: وهذا الأصل ثابت قرآنياً لأن تناقض الحقائق يستلزم تناقض الفطرة ويزداد ثبوتاً بقوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (الملك:٣). فإذا انتفى التفاوت في خلق الله لزِم أن ينتفي التناقض في خلق الله أيضاً.[2]

٨. عدم الخوض في القضايا الغيبية

وهي القضايا التي لا يمكن بحال أن تخضع لمدارك الإنسان وتصوراته، فهي قضايا غير محسوسة، كالذات الإلهية والروح والملائكة بل يجب التسليم بالنصوص الواردة والإيمان بها كما جاءت. كآيات الخلق بأبعاده الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان، وعلى الرغم من ذلك فإن من رحمة الله " أنّ أبقى لنا في صخور الأرض وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان للوصول إلى تصور ما لعملية الخلق، إلى أن قال: ففي هذا الخضم العميق يبقى للمسلم نور من الله في آية قرآنية كريمة أو حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول- ﷺ- ، يعينه على الانتصار لإحدى هذه النظريات، والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة ... وفي هذه الحالة نكون قد انتصرنا للعلم بالقرآن الكريم أو بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ولم ننتصر بالعلم لأيٍّ منهما."[3].

---

(1) ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار الكنوز الأدبية، د.ط، ١٣٩١ هجري، ج١، ص٤٠٣.

(2) ينظر: الغمراوي، الاسلام في عصر العلم، مرجع سابق، ص٣٧.

(3) النجار، قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيد والمعارض، مرجع سابق، ص٧٠ و ص٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: العلوم الحديثة المساعدة في فهم النصوص القرآنية المتضمنة للإشارات التاريخية

علم الآثار من العلوم "التجريبية القائمة على الملاحظة والاستقراء، والذي يحتكم إلى التجربة في صِدق أية فكره أو قانون أو نظرية ككل"[١]، وهو كغيره من العلوم والمعارف الأخرى لا يمكن أن يُدرس مستقلاً بذاته عن سائر العلوم أو المعارف، لذا لا بد من المتفرغ لعلم الآثار أن يكون واسع الثقافة ملماً بالعلم الذي له صلة مباشرة بموضوع بحثه. وبطبيعة الحال فإنه من الصعب عليه أن يكون ملماً بجزئيات العلوم الأخرى التي تخدم علمه وتساعده للوصول إلى الدقة في أحكامه، ومن الصعب أيضاً أن يتخصص بهذه العلوم كلها، ومن هنا فإن علم الآثار بحاجة إلى أن يكون علاقات تعاونية بينه وبين غيره من العلماء المتخصصين كلٌّ في مجاله، فيتم التعاون بينهم للخروج بنتائج علمية دقيقة. ومن هذه العلوم:

١) علم التاريخ

يهتم علم التاريخ بدراسة الأحداث التاريخية التي وقعت في الزمن الماضي، محاولاً الكشف عن جهود وإنجازات الإنسان في ماضيه، ومن ثم أخذ التجربة منه. ويلاحظ من التعريفات السابقة لعلم الآثار وعلم التاريخ[٢] أنهما يبحثان في معرفة العصور الماضية للإنسان، فهما علمان يكملان بعضهما "ولكنهما يختلفان في مصدر المعلومات والمنهجية والتقنية للحصول على المعلومة، فالمؤرخون يدرسون النصوص التاريخية بينما الآثاريون يضيفون عليها المادة الأثرية المحسوسة. على أية حال فإن الآثار هو مختبر التاريخ مجازياً "[٣].

(١) الراوي: قتيبة فوزي، الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، مجلة الأستاذ، الفلوجة، عدد٢٠١، ٢٠١٢، ص٢٩٩.

(٢) ينظر: ص١٢ و ص٢٧.

(٣) كفافي، المدخل إلى علم الآثار، مرجع سابق ، ص١٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢) **علم الأنثروبولوجيا** "علم الإنسان" وهو "علم دراسة الإنسان طبيعياً، واجتماعياً، وسلوكياً"[١]، وتنقسم الأنثروبولوجيا إلى الأقسام الأتية:

- **الأنثروبولوجيا العضوية أو الفيزيقية أو الطبيعية:** وهي من أقدم فروع الأنثروبولوجيا، ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، تحت تأثير المدرسة الداروينية، والتي تهتم بدراسة الانسان من حيث الخصائص الجسمية والصفات التشريحية مثل الجمجمة وارتفاع القامة، ولون البشرة وشكل الأنف ولون العين... ومقارنته بالأنواع الأخرى من الكائنات الحية.[٢]
- **الأنثروبولوجيا الثقافية:** والتي تهتم بثقافة المجتمعات القديمة كالعادات والتقاليد مثل الأساطير، الخرافات، والطقوس الدينية.[٣] وتهتم كذلك بدراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة وهو ما يعرف حالياً بعلم اللغويات.[٤]
- **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**: وهي الدراسة الحقلية للعلاقات الاجتماعية أو الظواهر الاجتماعية في كل المجتمعات الانسانية المدروسة لا المجتمعات البدائية فقط، كالعائلة والقرابة والعادات الدينية والعادات القانونية.[٥]
- **الأنثروبولوجيا التطبيقية:** والتي تقوم على تطبيق المعلومات الأنثروبولوجية في الشؤون العامة للمجتمعات، ويشمل التطبيق السيطرة على التغير الاجتماعي وتقديم النصح لتحسين الأحوال المعيشية أو المشاركة في الإدارة.[٦]

---

(١) سليم، شاكر مصطفى، قاموس الأنثروبولوجيا، د.م، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١، ص ٥٦.

(٢) ينظر: رشوان، حسين عبدالحميد احمد، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، ٢٠٠٣، ص٥٨.

(٣) تيلوين، مصطفى، مدخل عام في الأنثروبولوجيا ،بيروت، دار الفارابي، ط١، ٢٠١١، ص٤٤.

(٤) فهيم، حسن، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان ، د.م، عالم المعرفة، د.ط، ١٩٨٦، ص١٤.

(٥) ينظر: مدخل عام في الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ٤٤ ، و ينظر: سعفان، حسن شحاته، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، بيروت، منشورات مكتبة العرفان، د.ط، ١٩٧٩، ص٢٢.

(٦) سليم، قاموس الأنثروبولوجيا ، مرجع سابق، ص ٦٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تساعد الأنثروبولوجيا عالم الآثار بتحقيق نتائج إيجابية، حيث أنها ترتبط بدراسة السلالات البشرية وصولاً لتحقيق أجناس هذه السلالات والوقوف على خصائصها ومميزاتها ومدى تقدمها أو تخلفها...[١]

إن الأقسام السابقة الذكر لعلم الإنسان أو ما يسمى "بالأنثروبولوجيا" تقوم على أيدولوجية غربية تتعارض مع الإسلام ونصوصه، حيث جعلت من الإنسان نتاج تطور من أصل حيواني وهو القرد. وبما أنها تقوم على نظريات لا حقيقة لها، فإننا بحاجة إلى دراسة هذا العلم وفق المنظور والتصور الإسلامي، ومبعداً لهيمنة النظريات المادية على هذا العلم بما يحفظ للإنسان خصوصيته وكرامته.

٣) علم النقوش والكتابات

وهو علم فك رموز وتفسير الكتابات المدونة نقشاً على الحجارة، وجدران المباني، وقطع العملة والذي يسمى بعلم "المسكوكات أو النوميات" والكتابات المدونة على الرق والأوراق البردية والتي تسمى بـ "علم البردي" وتسهم هذه النقوش المدونة في استكمال الصورة التي عرفت عن حياة الإنسان، سيما فيما يتعلق بنظمه الاجتماعية والاقتصادية والفكرية؛ لأن الكتابات القديمة من ناحية، ودراسة المخلفات والبقايا المادية من ناحية أخرى، هما من أهم المصادر الرئيسية للحصول على المعلومات الخاصة بحضارة الإنسان.[٢]

ومن أهم النقوش التي كانت فتحاً جديداً في فهم الحضارات السابقة، النقوش الهيروغليفية، وهو ما سيتم بحثه لاحقاً.

---

(١) رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤) علم الإحاثة "المستحاثات"

وهو العلم الذي يهتم بدراسة الكائنات القديمة متمثلة بالبقايا النباتية والحيوانية المحفوظة في الصخور الرسوبية على شكل مستحاثات أو أحافير.[١] ويفيد هذا العلم علم الآثار في التعرف على البيئات القديمة التي عاش فيها الإنسان، حيث إن لكل بيئة حيواناتها ونباتاتها الخاصة، ومن جهة أخرى فإنها تدل على حدوث تقلبات وتحولات مناخية، فمثلاً من خلال العثور على مستحاثات لكائنات بحرية فإنها تعرفنا أن هذه اليابسة كانت يوماً مغمورة بالمياه.[٢] وهذا العلم كان له أثر في إبطال نظرية دارون في تطور الإنسان عن قرد.

٥) علم الأمراض القديمة

من المؤكد أن اكتشاف هياكل عظمية في المواقع الأثرية ممكن لعالم الآثار، ولكن الكشف عن الأمراض القديمة التي كانت تصيب مجتمعات العالم القديم فأمر لا يسهل عليهم. ومن هنا نجد علماء مختصّون بالأمراض القديمة يسهلون على علماء الآثار في توفير كافة أنواع المعلومات التي تساهم في فهم العالم القديم.[٣] وفي العصر الحديث عندما عُثر على مومياء فرعون موسى الغريق، قام موريس بوكاي بدراسة جسم فرعون المحنط، وأثبت أنه مات غرقاً، كما تحدث القرآن عن ذلك.

٦) علم دراسة الأرض

ويعرف بـ "الجيولوجيا" وينقسم إلى فروع علمية أخرى: علم الجيولوجيا الكونية، والجيولوجيا الطبيعية، وعلم الطبوغرافيا وعلم الطبقات الأرضية، وغيره.[٤]

---

(١) ينظر: العجل، فؤاد والخيمي، محمد نصوح، علم المستحاثات ، د.م، د.ن، د.ط، د.ت، ص٣.

(٢) ينظر: الشياب، علم الآثار والمتاحف الأردنية، مرجع سابق، ص٤١.

(٣) ينظر: الشياب، علم الآثار والمتاحف الأردنية ، مرجع سابق، ص٤٢.

(٤) ينظر: الظواهري، محمد كرم، مقدمة في علم الجيولوجيا ، د.م، د.ن، د.ط، ١٩٨٣، ص١٧ و ص٢١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويخدم هذا العلم عالم الآثار بتقديمه لخرائط العالم القديم والحديث، ومن ثم تحقيق الفهم الشمولي لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة، ومعرفة أسباب اختيار الإنسان لمستوطناته، وذلك إما بقربها من مصادر المياه أو لوقوعها في أماكن تواجد النباتات وغيرها.[1]

المبحث الرابع: أسلوب القرآن الكريم في التنبيه على المكتشفات الأثرية

تعد آثار الأمم السابقة مصدراً هاماً لمعرفة تاريخ البشرية، تاريخ الأمم وثقافاتها وأنماط حياتها وعمرانها وغير ذلك، والسعي لمعرفة هذا التاريخ، ومعرفة عواقبهم فيه من العبر والدروس والعظات ما يجعل من ذلك إصلاحاً للمستقبل القادم، ومن هنا فإن القرآن الكريم اتخذ أسلوبين للتنبيه على أهمية المكتشفات الأثرية في تحقيق العظة والعبرة. وعليه فإن في هذا المبحث مطلبين: الأول: أسلوب الدعوة الصريحة، والثاني: أسلوب الإشارة والتنبيه العام.

المطلب الأول : أسلوب الدعوة الصريحة

المتأمل والناظر لكتاب الله تعالى، يجد دعوة صريحة ومتكررة وملحة للتدبر والتفكر وإعمال العقل، ومن هذه الدعوات الصريحة والمتكررة، الآيات التي تحث على السير في الأرض والنظر في تاريخ الإنسان وما وقع له.

فقد وجه القرآن الكريم الإنسان للبحث عن تاريخه وتاريخ من سبقه من خلال دعوتين: الدعوة الأولى: الحثُّ على السير في الأرض والبحث عن الأماكن الدالة على بداية الخلق، والدعوة الثانية: الحثُّ على السير في الأرض والبحث عن الآثار المادية للأمم السابقة.

وفيما يأتي بيان وتفصيل لهاتين الدعوتين: القسم الأول: الحث على السير في الأرض والبحث عن الأماكن الدالة على بداية الخلق، وفيه نعالج الأمور الآتية:

([1]) الشياب، علم الآثار والمتاحف الأردنية، ص٢٧، (بتصرف)

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: مصطلح السير في الأرض في اللغة والاصطلاح.

ثانياً: دلالة السير في آيات القرآن الكريم.

- **مصطلح السير في اللغة**

إن مصطلح السير مصطلح قرآني له أبعاده ودلالاته، لذا يحسنُ بيان هذا المصطلح من جهة اللغة ومن جهة معانيه ودلالاته في القرآن الكريم.

السير معروف، يأتي بمعنى المضي والانتقال، قال ابن فارس: "السين والياء والراء أصلٌ يدلُّ على مضيٍّ وجَرَيان وذلك يكونُ ليلاً ونهاراً، ومنه السيرة: الطَّريقة في الشيء والسُّنة، لأنَّها تسير وتجري"[١]، ويقال سار القوم: "إذا امتد بهم السير في جهة توجهوا لها"، ومنه السيّارة أي القافلة التي تسير، قال تعالى:﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ (يوسف:١٠). والمسيرة هي: "المسافة التي يسار فيها من الأرض"[٢] ويقال: سيّر الشيء: أساره، وحركه، ودفعه بقوة.[٣]

- **دلالة السير في آيات القرآن الكريم**

ورد مصطلح السير في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، منها: السير، السيارة، سيراً، سيرتها، سيروا، وسار، يسيركم، سُيّرت، وغيرها. وجاءت هذه الصيغ على معنى متقارب للمعنى اللغوي السابق، وهو الامتداد والانتقال، والسير في القرآن قد يأتي على نوعين – غالباً- :

- السير لأجل التفضل والإنعام
- السير لأجل العظة والاعتبار

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، باب سير، ج٣، ص١٢٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، باب سير، ج١٢، ص١١٥.

(٣) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق، ج٢، ص١١٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الآيات التي جاء سياق السير فيها لأجل التفضل والإنعام، قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبأ:١٨)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ ﴾ (يونس:٢٢).

وقد جاء في تفسير المنار أن "السير: بمعنى المضي والانتقال من مكان إلى آخر والتسيير جعل الشيء أو الشخص يسير بتسخيره أو إعطائه ما يسير عليه من دابة أو مركبة أو سفينة"[1] وهذا من عظيم كرمه تعالى. أما الآيات التي جاء السياق فيها لأجل العظة والعبرة، فهي أكثرُ وروداً، منها:

- قوله تعالى في آيات حركة الجبال: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ (الطور:١٠). أي: تسير عن أماكنها ومواضعها كسير السحاب، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ ﴾ (النمل: ٨٨).
- قوله تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (طه:٢١). سيرتها الأولى: أي هيئتها وحالتها الأولى، وذلك قبل أن تصير حية تسعى، بأن تعود عصا كما كانت، والعظة تكمن في قدرة الله على بثّ الحياة في ما لا حياة به.

أما الآيات المجموعة في الحث على السير في الأرض، والتي جاء السياق فيها لأجل العظة والعبرة، وهذه الآيات الكريمة متنوعة الألفاظ، فجاءت مجموعة منها بصيغ الأمر التي تفيد الوجوب، وجاءت مجموعة أخرى منها مبدوءة بحرف الاستفهام الذي أفاد التوبيخ والإنكار على من سار في الأرض، ولم يأخذ العظة والعبرة، فالفرق بين المقامين أدى إلى فرق في اللفظ.

(1) رضا، تفسير القرآن الحكيم ، مرجع سابق، ج١١، ص٢٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المجموعة الأولى:**

جاءت الآيات فيها بلفظ الأمر، والأمر يفيد الوجوب، وجاء لفظ السير في هذه الآيات ست مرات، خمس منها بقصد التفكر، وأخذ العظة والعبرة من المسير في الأرض ورؤية آثار الأمم البائدة، وهي في قوله تعالى:

١. ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٧)

٢. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام:١١).

٣. ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل: ٣٦).

٤. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (النمل: ٦٩).

٥. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ (الروم: ٤٢)

ووردت مرة واحدة بقصد التفكر في أسرار الخلق وبدايته، ومنه التفكر في أصل الإنسان الذي سيتم الحديث عنه في مبحث لاحق، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت:٢٠)

نستنتج من سرد الآيات السابقة في المجموعة الأولى مجموعة من المسائل ذات العلاقة بموضوع البحث هنا، منها:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المسألة الأولى**: التعبير "فانظروا" والتعبير " ثم انظروا"

ومما يلفت النظر هنا: ما توحي به الآيات الكريمة السابقة من نكتة بلاغية تتمثل في أن آية الأنعام: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام:١١) جاء الأمر بالنظر فيها عقب حرف (ثم)، في حين جاء النظر في الآيات الأخرى عقب حرف (ف). فما السبب في ذلك التفريق؟

نؤكد بدايةً على أن الخطاب القرآني - في الآيات السابقة - جاء يوجه النظر إلى الغاية العظمى منه وهو التفكر والتدبر والاعتبار بما حلّ بالأقوام السابقة، إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين القول "فانظروا و ثم انظروا "؛ وذلك من يتأمل في سورة الأنعام يجد أنها ذكرت كثير من الأقوام السابقة في عصور طويلة وأمكنة مختلفة وما حلّ بها من عذاب الله وسخطه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ (الأنعام:٦).

وذكرُ القرون السابقة يناسبه حرف "ثم" الذي يفيد معنى التراخي والمهلة الزمنية الطويلة، إذ هو "بعث على سير بعد سير لما تقدم من الآية التي تدل على أنه تعالى حداهم على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد، وأن يستكثروا من ذلك ليروا أثراً بعد أثر"[1]، فهو ينبه إلى أن هناك وقت كافٍ للنظر والاعتبار، والحال كذلك في القول "فانظروا" إلا أن الفسحة الزمنية في "ثم" هي أكبر وأطول. فكأنه يريد منّا النظر المتأني والدقيق لآثار أولئك الأقوام، لا النظرة المتعجلة والرؤية السريعة كرؤية الهواة والسياح لآثار الأمم السابقة لمجرد التسلية والترفيه.

(1) الإسكافي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، د.م، دار الفتح، ط١، ٢٠١٠، ج١، ص٤٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المسألة الثانية:** "النظر" و"التأمل"

ويجدرُ التنبيه هنا كذلك إلى أن القرآن الكريم استعمل كلمة النظر بتصريفاتها المتعددة في مواضع كثيرة، والتي تعني في سياقها العام التنبيه: إلى ضرورة التفكر وإعمال العقل، وحثّه على التدبر والتأمل في ما حوله من الأدلة والبراهين الدالة على الخالق سبحانه وتعالى.

والحق أن لكلمة النظر ألفاظ ذات صلة بها، منها على سبيل المثال لفظ (التأمل)، وهذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم صراحةً إنما أشار إليه في عدد من الآيات التي تأمر بالنظر والرؤية في آثار السابقين. فما الفرق بين كلمة النظر وكلمة التأمل، ولِمَ استعمل القرآن الكريم كلمة "انظروا" ولم يستعمل كلمة "تأملوا"؟

جاء في مختار الصحاح أن النظر هو "تأمل الشيء بالعين"[١]، ووافقه العسكري في الفروق اللغوية، وزاد على أن النظر يكون بالقلب وباللمس، قال: "حدُّ النظر طلب إدراك الشيء من جهة البصر أو الفكر ويحتاج في إدراك المعنى إلى الأمرين جميعاً...وأصل النظر المقابلة، فالنظر بالبصر الإقبال به نحو المبصر، والنظر بالقلب الإقبال بالفكر نحو المفكر فيه، ويكون النظر باللمس ليدري اللين من الخشونة"[٢]. والفرق بين النظر والتأمل في أن التأمل هو "النظر المؤمل به معرفة ما يُطلب ولا يكون إلا في طول مدة بإعادة النظر في الشيء مرة بعد أخرى، فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملاً "[٣] إذ يكون بإعمال الفكر والعقل .

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، باب النون، ج١، ص٦٨٨.

(٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الفروق اللغوية، علقّ عليه: محمد باسل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠، ص٨٦ .

(٣) العسكري، الفروق اللغوية، مرجع سابق، ص٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ركز القرآن الكريم على مقدمات ما يحصل به الاعتبار وهو النظر، وهي مرحلة لا بُدَّ منها "فلولا إمكانية المشاهدة المبدئية للشيء لما تمكن الإنسان من تكوين صورة له في العقل، وبعدها يأتي دور التأمل الذي يأخذ وظيفة رسم التفاصيل الدقيقة "[1]، ومن ثم يتحقق بهما الاعتبار.

وأما دلالة النظر في شأن الكشوفات العلمية والأثرية، فتتمثل بالوقوف على آثار الأقوام السابقة وقوفاً علمياً، فكما قلنا سابقاً أن أداة النظر تكون بالعين وبالقلب وباللمس. وهذه الأدوات عند تفعيلها قد تترك أثراً عظيماً في النفس وما يترتب عليها من حصول اليقين والاعتبار. فأداة النظر بالعين تستخدم للتأكد من وجود الآثار التي نبّه وأشار إليها القرآن الكريم، وأداة النظر بالقلب "البصيرة" لأخذ العبرة والعظة من آثارهم التي خوت من أصحابها[2]، وأما أداة النظر اللمس فتكون عند السير في الأرض والنظر علمياً بالبحث والتنقيب عن آثار الأمم السابقة باستخدام أدوات وآلات حديثة تسهل الكشف عما تخفيه الرمال من آثار الأمم البائدة.

- **المجموعة الثانية**: وجاءت مبدوءة بحرف الاستفهام الذي أفاد التوبيخ والإنكار، وهي قوله تعالى:

١. ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ (الروم:٩).

---

(١) أبو غزلة: محمد عقلة ، منظومة التعقل من خلال التفكر في الكون: دراسة في أساليب الدعوة من خلال القرآن الكريم ، مجلة جامعة الشارقة، د.م، مجلد ١٣، عدد ٢، ٢٠١٦، من ص١-٣٥، ص٨.

(٢) قال سيد قطب: "حين تجول العين والقلب في مصارع القرون. وحين تطالع العين آثارهم ومساكنهم عن كثب، وحين يتملى الخيال الدُور وقد خلت من أهلها الأُول ويتصور شخوصهم الذاهبة ، وأشباحهم الهاربة ، وحركاتهم وسكناتهم ، وخواطرهم وأحلامهم ، وهمومهم وآمالهم .. حين يتأمل هذا ...ثم يفتح عينه فلا يرى من ذلك كله شيئا إلا الفراغ والخواء ... وعندئذ يدرك يد القدرة التي أخذت القرون الأولى وهي قادرة على أن تأخذ ما يليها. وعندئذ يعي معنى الإنذار ، والعبرة أمامه معروضة للأنظار. فما لهؤلاء القوم لا يهتدون وفي مصارع القرون ما يهدي أولي الألباب ". سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٤، ص٢٣٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ (فاطر:٤٤).

٣. ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (غافر:٢١).

٤. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (غافر:٨٢).

٥. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف:١٠٩).

٦. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦).

٧. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ (محمد:١٠).

يستنتج من الآيات الكريمة سابقة الذكر مجموعة من الأفكار ذات العلاقة بموضوع البحث وهي مسألة المنجزات الحضارية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تميزت آية الروم (٩) عن غيرها من الآيات التي تلتها بجملة ﴿ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾.وفي هذه الآية للمتأمل وقفتان: الأولى: أنها تشير إلى الأعمار، أي أن أعمار أولئك الأقوام البائدة أطول مما عليه الآن. والثانية: أنها تشير إلى طبيعة البنيان والعمران.

أما الأولى فإنها ثابتة بدلالة النص، فقد جاء النص القرآني يشير إلى أن عمر نوح -عليه السلام- ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأن أعمار الأمة اليوم لا تتجاوز السبعين، قال رسول الله -ﷺ-: **(أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ، إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ)**[١] وأما الثانية: والتي تشير إلى طبيعة البنيان والعمران الذي كان أقوى مما هو عليه الآن فتصدقه المكتشفات الأثرية الحديثة، حيث لا زالت التنقيبات تكشف عن ضخامة البنيان، وتقدم العمران في العصور السابقة والتي امتازت بالتصميم الهندسي والتقني العجيب، كما هو الحال في الأهرامات في مصر.

والقولان السابقان لا تعارض بينهما فإن النظر في أحوال العمارة والبناء وشأن البنيان أنه يدل على طبيعة البشر، وأن بنيتهم الجسدية هي التي أعانتهم على بناء متميز عن غيرها من الأمم، فحضارتهم تلك متناسبة تماماً مع قوتهم. فإن قال قائل: هل اقتصر تقدم الأمم السابقة على العمران والبنيان؟ قلت: إن الأمم السابقة على الرغم من أنها أبدعت وتميزت في مجال العمارة والبنيان أكثر من أي أمة جاءت بعدها، إلا أنها تقدمت في مجالات أخرى، والآيات الكريمة السابقة تؤكد على ذلك، حيث أن كلمة (قوة) جاءت نكرة وهي دالة على العموم والشمول؛ لكونه أوفق بسياق الآيات، وعلى هذا فإن كلمة قوة تشمل جميع القوى من : قوة مادية واقتصادية وتكنلوجية، وقوة معنوية وقوة عسكرية تتمثل بالبنين والأولاد، ﴿كَانُوٓاْ

(١) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، باب: في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم ، ج٥، ص٥٥١، رقم(٣٥٥٠)، قال الألباني : حسن .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ ﴾ (غافر:٨٢). قال ابن عاشور: "والمراد بالقوة: القوة المعنوية وهي كثرة الأمة ووفرة وسائل الاستغناء عن الغير"[١]

ومما يدل كذلك على تقدم الأمم السابقة في مجالات متعددة ، كلمة (وَأَثَارُوا) التي تنبئ عن منجزات حضارية - تميز بها الأقوام السابقة- بغض النظر عن نوع المنجزات، فهم استغلوا قوتهم وشدة بأسهم في استغلال ثروات الأرض وتسخيرها لمنفعتهم.

أهمية السير في الأرض

عُني القرآن الكريم بتوجيه الإنسان للسير في الأرض والنظر في آثار الأمم السابقة ؛ لما له من أهمية كبيرة يحقق معه الاعتبار، ومنها:

١. وعد سبحانه وتعالى أن يظهر آياته بعد حين، قال تعالى: ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينٖ ﴾(ص: ٨٨). وقال: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ (فصلت:٥٣). وإن الكشف عن معاني هذه الآيات تتجلى وتتضح وتزيد المعنى المستقر وضوحاً، وهذا لا يتأتى إلا بالسير في الأرض والذي يعدُّ اليوم "كعلم يقابل مصطلح العلوم الاجتماعية والإنسانية، فمن خلاله وجّه القرآن الإنسان إلى دراسة حركة العمران البشري، والحضارات الإنسانية، وذلك بالتنقيب عن آثار الأمم البائدة للاطلاع على أسباب نهوضها وعوامل سقوطها..."[٢]، فمنهج السير في الأرض يُعد منهجاً علمياً قائماً على استقراء وجمع المعلومات من أماكن متفرقة للوصول إلى رؤية علمية دقيقة عن أحوال الأمم السابقة.

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠٠٠، ج٢٤، ص١٧٧.

(٢) زرمان: محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم ، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية، مكتبة البنين، العدد السادس عشر، ١٩٩٨، ص٢٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. معرفة كيفية بدء الخلق، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وهذا لا يتمُ إلا بالسير في الأرض، والبحث والتنقيب فيها، فإنه لا بد من دلائل وإشارات تدلُ على بدء الخلق، وهذا ما أكدته العديد من الأبحاث الجيولوجية والاكتشافات الأثرية مما هو مدون ومحفوظ في صخور الأرض. وفي هذا المنهج (الجمع بين أمر القرآن بالسير والتجربة العملية) رد ودحض للنظريات الغربية المخالفة لصريح القرآن والتي جاءت منها تدّعي بتطور الإنسان، وهذا ما سيتم بحثه في المباحث اللاحقة.

٣. معرفة تاريخ الأمم السابقة، ومن ثم الاستفادة من تجاربهم وهذا لا يتم إلا "بالتبحر في معرفة الكيفية التي وصلوا بها إلى استحقاقهم العاقبة المؤلمة ،ولن نصل إلى ذلك إلا بقراءة تاريخ تلك الأقوام، والتبحر في تراثهم، وإن قراءة تاريخهم لا يتم إلا بالنظر في آثارهم والتعرف عليها، ولا يتسنى ذلك إلا بما بقي من آثار مادية "[١].

٤. الأمر بالسير في الأرض فيه استعمال أمثل للحواس الإنسانية، وإيقاظ الحواس الباطنة وتزكيتها، والحواس الباطنة هي ملكات القلب الإنساني من عقل وسمع وبصر[٢]. مع استخدام ما تيسر له من وسائل وأدوات حديثة.

٥. إن السير في الأرض والنظر في آثار الأمم والتعرف عليهم يزيد المؤمن إيماناً، ويرشد الحيران الذي لا يؤمن إلا بما هو مشاهد محسوس.

([١]) بني أحمد، خالد والزقيلي، علي، آثار الأمم السابقة وحكم المحافظة عليها في ضوء الشريعة الإسلامية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، د.ت، المجلد السابع، العدد٣، ٢٠١٠، ص٩١- ١٠٤.

([٢]) المتعافي: حسني، **السير في الأرض**، على شبكة الإنترنت، ٢٠١٧/٥/٤

http://dr-hosnyelmotaafy.blogspot.com

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦. مما يدلل على أهمية السير في الأرض، رحلة موسى عليه السلام في طلب العلم، قال تعالى عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف:٦٠).

آليات السير في الأرض

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩).

تشير الآيتان الكريمتان إلى أن آلات الاستدلال عند الإنسان هي: العقل ومركزه القلب[١]، قال تعالى: ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾، والآذان مركز للسمع والأعين مركز للرؤية. يحكمها العقل الذي هو مركز للتفكير والتأمل والتدبر والاعتبار. لذلك اهتم الإسلام بالعقل وأشاد به في آيات كثيرة لاستثارته واستخدامه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد:٤). وقوله تعالى في آخر الآيات: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.وقد عاب القرآن على الذين ملكوه ولم يستخدموه فعطلوه، فقال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١). ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ

(١) وقيل : إن العقل محله الدماغ. ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤، ج١٢، ص٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك:١٠). إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي ليس المقام مقام ذكرها هنا. وبناءً على ما سبق، فإن للعقل آلات وأدوات تعين على أن يدرك بهما حقائق الأشياء، وهذه الأدوات كما قال الزحيلي فإنها " تثير نوازع الفكر والتأمل، وتحث على النظر والتفكر"[١]. وهذه الأدوات كما أشارت إليها آية الحج (٤٦) والأعراف (١٧٩) تكمن في ثلاث آليات، هي: السير الحسي، والسير المعنوي والنظر المستبصر.

قال ابن عرفة[٢]: "السير في الأرض حسي ومعنوي، والمعنوي هو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للناظر العلم بأحوال الأمم، وما يقرب من العلم، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لعجز الإنسان وقصوره"[٣].

وعلى الرغم من أن الإخبار قد يتحصل عند قراءة كتب التاريخ، أو تناقل قصص أولئك الأقوام بما يسمى بـ "نقل التراث" من خلال أشعارهم وأحاديثهم، وقصص القرآن وتفاسيرها وغيرها من وسائل الإخبار، إلا أن للسير الحسي ميزة عظيمة، فمن سار وعاين آثار الأمم السابقة وشاهدها، لا بدَّ أن تترك أثراً أقوى وأبلغ في الموعظة، وأعظم في الاعتبار من أثر السماع.

إذن بات من المؤكد أن السير الحسي يكون بالأبدان، والسير المعنوي يكون بالسماع، أما النظر فالمقصود منه نظر التفكر والتدبر والتأمل العميق وما يقتضيه من تحليل للبيانات المتحصلة من السير في الأرض[٤].

---

(١) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص١٦٥٣،(بتصرف).

(٢) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) من كتبه (المختصر الكبير، المختصر الشامل، ومختصر الفرائض، والمبسوط في الفقه، والحدود، الطرق الواضحة في عمل المناصحة) . الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج٧، ص٤٣.

(٣) ابن عاشور،التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٧.

(٤) تعدد مفهوم النظر في القرآن الكريم، منها: نظر الخوف ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ (الأحزاب،٧٩) ، نظر الإمهال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (البقرة،١٦٣)، نظر التعطف ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران،٧٧)، نظر الانتظار ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاءت آية الأعراف تجمع ما بين الأعضاء والوظيفة، قال تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩). فإن "العضو ما هو إلا أداة لنقل المؤثرات السمعية أو البصرية، إلى حيث يتم إدراكها وفهمها واستيعابها في مراكز الإدراك الخاصة"[١].

ومما يلفت النظر كذلك، أن آيتي الحج والأعراف المقصود منهما "ذكر كل ما يتكامل به الاعتبار، فالرؤية لها حظ عظيم في التذكر والاعتبار، وكذلك سماع الأخبار ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبير القلب؛ لأن من عاين وسمع ولم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع"[٢] . والحق أن الإنسان إذا سار ببدنه - وسمع ووعى الأخبار من الكتب- ونظر ببصيرته - بعين مفتوحة وقلب يقظ - فتأمل وتدبر ما كان فيه أولئك الأمم، وما صاروا إليه، وتدبر سنّة الله فيهم فـ" كل أولئك خليق بأن تستقر في القلب ظِلال وإيحاءات ومشاعر وتقوى" لتعزز الإيمان بالخالق سبحانه و تعالى[٣].

أما من يتأمل في قوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)، يجد أنها تطلب من الإنسان السير في الأرض ضمن أدوات، وفي عصرنا الحاضر تتعدد هذه الأدوات للكشف العلمي والتنقيب الأثري، فيتضمن البحث استعمال

يَخِصِّمُونَ﴾ (يس،٤٩)، نظر الرؤية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة،٢٢-٢٣)، نظر الاعتبار والتأمل ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران،١٣٧).

(١) الهلالي: صادق واللبيدي، حسين، الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم، بحث محكم، ط٣، ٢٠٠٦، ص٤٦، (بتصرف).

(٢) ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي، تفسير اللباب لابن عادل، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج١، ص٣٧٢٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٥، ص٢٩٥٠،(بتصرف).

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكاميرات وآلات التصوير الاحترافية والعدسات المكبرة وغيرها من أدوات البحث العلمي والكشف التاريخي وأدوات التحليل العلمي، مما يستعانُ بها للنظر وتحقيق الرؤية المطلوبة والمبتغاة.

المطلب الثاني: أسلوب الإشارة والتنبيه العام

اتخذ القرآن الكريم أسلوباً آخر للتنبيه على المكتشفات الأثرية، وعلى أهمية هذه المكتشفات في تحقيق العظة والعبرة، وهو أسلوب الإشارة والتنبيه العام. وهذا الأسلوب يتمثل بجانبين: الجانب الأول المتمثل بآيات التفكر والتذكر، والجانب الثاني المتمثل بالآيات التي تشير وتنبه على وجود آثار للأمم البائدة.

الجانب الأول: آيات التفكر والتذكر

عُني القرآن الكريم بتوجيه الإنسان للتفكر في ما حوله من الموجودات ، ومن مجالات التفكر المعنّية بموضوع هذه الدراسة: التفكر في مجال الآفاق الذي منه: آيات الأحداث التاريخية التي تتعلق بآثار الأمم السابقة ومآلاتهم، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣). وقد ذكر الله عز وجل في كتابه قصصاً متنوعة ومتعددة سرد فيها حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وحياة أقوامهم معهم، وكيف كانوا في بحبوحة من الحياة متنعمين، فصاروا إلى هلاك بائدين، وفي التفكر من أحوالهم تلك تؤخذ العبر والدروس. ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم تحثُ دائماً على التفكر والاعتبار، مما يؤكد على أن السرد لم يكن سرداً تاريخياً بحتاً، قال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦). وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ ﴾ (يوسف:١١١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذا التفكر يترسخ في قلب الإنسان معاني قدرة الله، وعظمته، قال الحسن البصري: "إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استيقظت قلوبهم فنطقت بالحكمة"[1].

فعندما يأمر القرآن بالتفكر فإنما يطلب المقارنة والقياس لنصلح من أنفسنا، ونتعلم من أخطاء الأمم السابقة، فلا يحل بنا ما حل بهم، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:٥١). قال ابن عطية: فإنه قد "أحالهم في علم ذلك على الطلب في الأرض، واستقراء الأمم والوقوف على عواقب الكافرين المكذبين"[2].

وتأكيداً على أهمية التدبر والتذكر في القصص القرآني، تكررت دعوته سبحانه وتعالى مراراً بعد القصص التي ذكرت في سورة القمر، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠)، والحكمة في تكرار هذه الآية هي تجديد التنبيه على الادّكار، والاتعاظ، والتعرف على تعذيب الأمم السالفة للاعتبار بحالهم، ولا شكَّ أنَّ هذا التدبر لو تم من خلال رؤية آثار هذه الأقوام لكان له أبلغ الأثر وأعمقه، قال ابن عاشور: " وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحتوياتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيرا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانا لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه، لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره

([1]) الأصبهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ، ج١٠، ص١٩.

([2]) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٣، ص٣٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليها دون استنتاج من دلائلها حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائبا عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة"[1].

الجانب الثاني: الآيات التي تنبه على وجود آثار للأمم السابقة

اتخذ القرآن الكريم بعض الدلالات التي تنبه على وجود آثار للأمم البائدة، وذلك في إشارات متنوعة، وهي كالآتي:

أولاً: التنبيه بالمشي

استخدم القرآن مصطلح المشي؛ لإفادة التفكر والتدبر في أحوال الغابرين قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (السجدة: ٢٦). وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ (طه: ١٢٨).

ويلحظُ أن المشي فيه طُمأنينة وتأنٍ، فلم يأت النص بلفظ السعي مثلاً، فالسعي يأتي بمعنى المشي السريع، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ ﴾ (البقرة:٢٦٠). ويُفهم من أن مشيهم - والخطاب هنا لقريش "فإن قريشاً كانت تتجر إلى الشام، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم فترى آثار وقائع الله تعالى بهم"[2] - كان في تؤدة وطمأنينة فقد كانوا مسترخون آمنون على أنفسهم. وحالتهم تلك تجدر منهم أن تثير فيهم التفكر والتأمل والاعتبار من رؤيتهم لمساكن أولئك الأقوام الذين أبادهم الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٥٣.
(2) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠، ج١٨، ص٣٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى. وهذا المعنى يتطلب من الباحث والمنقب عن كشوفات أثرية وتاريخيَّة وقتاً؛ إذ يحتاج البحث إلى تأنٍ وجَلد للوصول إلى النتائج المرغوبة.

ثانياً: التنبيه بالإتيان

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان:٤٠). والإتيان هنا بمعنى المجيء، والمقصود بالقرية هنا: هي قرية لوط -عليه السلام- فمدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام، والمقصود من الإتيان الاعتبار بمآل أهلها، فهم مروا فعلاً ولكن لم يتعظوا. "فالمقصود من التذكير بمجيء القرية، التذكير بمصير أهلها فكأن مجيئهم إياها مرور بأهلها؛ فضمن المجيء بمعنى المرور؛ لأنه يشبه المرور فإن المرور يتعلق بالسكان، والمجيء يتعلق بالمكان"[1].

ثالثاً: التنبيه بالمرور

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الصافات: ١٣٧ - ١٣٨). والمرور بمعنى الذهاب والمضي والسير، وفي هذا دلالة في غاية الوضوح على أن منطقة قرى لوط، كانت في طريق التُجار والسيّارة، فإن قراهم كانت في طريق القوافل الحجازية إلى الشام ، وبذلك فهم يرون آثار تدميرها وبقايا مساكنها.

رابعاً: التنبيه بالسكن

ويعدُّ التنبيه بالسكن في مساكن الأمم السابقة، من الإشارات المهمة في علم الآثار والمكتشفات الأثرية التي نبه عليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٩، ص٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (إبراهيم: ٤٥). وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾(القصص: ٥٨).

يفهم من الآيتين أن السكنى في مساكن الأقوام السابقة ، كانت على نوعين:

- إقامة دائمة، كما في الآية الأولى، لأن "السكنى من السكون الذي هو اللبث"[١]
- إقامة مؤقتة، كما في الآية الثانية، حيثُ جاء عن ابن عباس أنه قال: " لم يسكنها إلا المسافرون ومارُّ الطريق يومًا أو ساعة"[٢]

إلا أن سكنى المخاطبين -وهم قريش- في الآية الأولى في مساكن الأقوام السابقة ليس على حقيقته، إنما يقصد به معنى مجازي وهو "أنهم قرَّوا واطمأنوا طيبي النفوس، وساروا سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين أنفسهم بما لقوا بسبب ما اجترحوا من الموبقات"[٣]. وسواء كانت الإقامة مؤقتة أو دائمة فإنه يجدرُ بهم عند رؤيتهم لمنازل الأقوام السابقة وما تبقى من أطلالها، أن تثير عقولهم للتفكير بما حدث لهم للاتعاظ من أحوالهم ومآلهم .

وهنا تظهر أهمية الوقوف على مساكن الأمم السابقة في الكشف التاريخي الحديث، وعلم الآثار، فهناك مساكن بقيت معالمها واضحة كمساكن قوم ثمود ففي قوله تعالى:﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ (النمل:٥٢). قال ابن عاشور: إن "البيوت باق بعضها في الجبال لا ساكن بها"[٤]، وهناك مساكن بقي شيء منها يدل عليها، قال تعالى:﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ

---

(١) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٥٦٥.

(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش، د.م، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧، ج٦، ص٢١٦.

(٣) الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط ، ١٤١٥ هـ، ج٧، ص٢٣٤، (بتصرف يسير).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٩، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَّشِيدٍ ﴾(الحج: ٤٥). جاءت الآية الكريمة تشير إلى بعضٍ من أنواع المكتشفات الأثرية وهي مما عثر عليه المنقبون حديثاً، منها:

- المساكن الخاوية على عروشها، وهذا يعني أن سقوفها خرت على الأرض وبقيت أطلالها شاهدة عليها.
- البئر المعطلة، أي لم يبق أحد منهم يستفيد منها.
- القصر المشيد أي المبني.

خامساً: التنبيه بكلمة آية

استخدم القرآن الكريم كلمة آية للتنبيه على المسائل الدقيقة من المكتشفات الأثرية، ولا يتم الكشف عنها إلا باستخدام أحدث وأدق الوسائل العلمية والتقنية كالأقمار الصناعية. منها ما ورد :

- في قصة قوم لوط، فإنه سبحانه أبقى آثاراً تدل على قراهم ومنازلهم، قال تعالى:﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٣٥).
- بقاء آثار الطرق المؤدية إلى قرى قوم لوط، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الحجر: ٧٥-٧٧).
- بقاء جسد فرعون آية وعبرة، قال تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (يونس: ٩٢).
- بقاء آثار من السفينة على أحد الأقوال[1]، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (العنكبوت: ١٥).

(1) وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها كما قال قتادة: إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم من الطوفان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بقاء آثار تدل على طبيعة مسكن قوم سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ﴾ (سبأ: ١٥).

سادساً: التنبيه بكلمة حصيد

استعمل القرآن الكريم كلمة الحصيد في حق الأقوام، فقال: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ (الأنبياء:١٥). واستعملها كذلك في حق آثار الأقوام البائدة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾(هود:١٠٠). والقائم: ما تبقى من آثار أولئك الأقوام كالمباني والأعمدة والمسلات والنقوش الجدرانية والرسوم وهكذا. أما لها الحصيد فهي التي اندثرت ولا وجود. وهنا قد تأتي الكشوف العلمية الحديثة متمثلة بأحدث الوسائل التقنية والتكنولوجية للكشف عن الآثار المخفية تماماً عن أعين البشر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نخلص إلى أن:

- القرآن الكريم اتخذ أسلوبين في التنبيه على المكتشفات الأثرية وهما: أسلوب الدعوة الصريحة، وأسلوب الإشارة والتنبيه العام وذلك من خلال جانبين: آيات التفكر والتذكر وآيات ذات دلالات تنبه إلى آثار الأمم السابقة. وأن هذه الأساليب جاءت لتحقق العظة والعبرة عند الوقوف على آثار الأمم السابقة.

- القرآن الكريم يلفت العقل إلى منهج علمي تجريبي يتمثل بالنظر ومشاهدة الآثار والسير في الأرض بحثاً عن تاريخ البشرية وما وقع له من أحداث وما توصل إليه من حضارة.
- القرآن الكريم في تناوله لموضوع المكتشفات الأثرية، وضع أساسيات معينة وإن ترك تفصيلها وتفريعها للإنسان بحسب ما توصل إليه من معارف.

- دراسة علم الآثار من منطلق قرآني يمثل النظرة الحقيقية لمراد الله تعالى، حيث أنه سبحانه قد أنزل القرآن لهداية البشرية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الدراسة التطبيقية للمكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين

يتناول هذا الفصل الدراسة التطبيقية والتي تجمع بين أقوال المفسرين وأقوال العلماء واكتشافات المعاصرين العلمية والأثرية الحديثة. حيثُ سأتناول في هذا الفصل الآيات ذات المضامين التاريخية، ثم أعرج على أقوال المفسرين فيها، وبعد ذلك سيتم الرجوع إلى الاكتشافات العلمية والأثرية الثابتة، والتي تقوم مقام القطع في الدلالة، وسيتم دحض النظريات التاريخية والأثرية المخالفة لصريح النص القرآني. ولذا يأتي هذا الفصل في أربعة مباحث، يتناول بياناً لدور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية، كما يوضح دورها في نشوء الحضارات القديمة وقيامها، ودورها في بيان انهيار الحضارات القديمة وقيام السنن الإلهية فيها، وأخيراً بيان دور المكتشفات الأثرية في تحديد الشخصيات التاريخية.

المبحث الأول: دور المكتشفات الأثرية في دراسة تاريخ البشرية بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

وفيه ثلاثة مطالب: يتناول المطلب الأول قضية الاستخلاف والمراد بالخليفة، ويتناول المطلب الثاني النظرية الداروينية، بينما يتناول المطلب الثالث إسقاطات (تأثيرات) نظرية التطور.

المطلب الأول: قضية الاستخلاف

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة: ٣٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قدّر الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان مستخلفاً في الأرض، وقدَّمه على كثير من خلقه، قدَّمه على الملائكة الأبرار، وقد استخلفه لإصلاح الأرض وعمارها، ونهاه عن الإفساد فيها والعمل على خرابها، فما المقصود بالخليفة؟

أولاً: الخليفة لغةً

يردُّ اسم الخليفة لغة إلى المصدر الثلاثي "خلف". قال ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدُها أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني خِلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر"[١]، نقول: خلفَ فلانٌ فلانا، إذا كان خليفته، أي جاء بعده وقام مقامه، ومن هنا قيل للسلطان الأعظم خليفة. والأمة الخالفة: أي الأمة الباقيةُ بعد السالفة[٢]، وقيل: هو خلفُ سوءٍ من أبيه وهذا من المجاز "فالخلْف من الناس: أي من لا خير فيه"[٣]. والخليفة اسمٌ يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى.[٤] والخلافة هي: "النّيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف"[٥]. وخلافة الإنسان لله تعالى في أرضه، هي خلافة تشريف.

وجملة الأقوال في جذر "خلف" أنه يأتي على معنين: الأول: أن يُخْلِف المستخلف خليفة في مكانه بعده، كالوارث والموروث والجيل بعد الجيل، دون أن يكون للمُستخلف أي قوامة على من بعده "خليفته". والثاني: أن يُخلف المستخلِف خليفة في مكانه أو في عمله معه، أو بتفويضه نيابة عنه، وللمستخلف حق القوامة عليه فمتى حدث منه تقصير في المهمة التي أُسندت إليه- مثل استخلاف موسى أخاه

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٠.

(٢) الفراهيدي، كتاب العين، مرجع سابق، ج٤، ص٢٦٧.

(٣) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، ج٢٣، ص٢٤١.

(٤) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠، ج٢، ص٣٨٩.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان داودي، بيروت، دار العلم، د.ط، ١٤١٢هـ، ج١، ص٢٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هارون- فإن للمستخلف حق عزل خليفته.[1] وهو ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (هود: ٥٧).

ثانياً: الخلاف في تعيين المراد بالخليفة

اختلفت الأقوال التفسيرية في تعيين المراد بالخليفة - الذي أخبر الله تعالى الملائكة عن استخلافه في الأرض- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾(البقرة: ٣٠). على قولين اثنين:[2]

- **أنه آدم -عليه السلام-**

ودليلهم على ذلك ظاهر الآية وما يتبادر منها، قال الشنقيطي: "وكون الخليفة هو آدم هو الظاهر المتبادر من سياق الآية"[3]. قال القرطبي: "وعُزي هذا القول إلى ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل"[4]، واستدل الألوسي بأن المراد بالخليفة آدم -عليه السلام- وذلك "لموافقتها للرواية ولإفراد اللفظ ولما في السياق"[5]. ويؤيد هذا صريح الآيات التالية لهذه الآية "اللحاق" والتي تتحدث عن آدم-عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ٣١-٣٧).

---

(1) المطرودي، عبدالرحمن بن إبراهيم، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٠، ص٣٣٠،(بتصرف).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢، ص١٥٢. وينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٧.

(3) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٩٩٥، ج١، ص٢٠.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٣.

(5) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص٢٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **أنه ولد آدم** -عليه السلام-

ويقصد به الجنس البشري عامةً أي "قوماً يخلف بعضهم بعضا، قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل. وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم-عليه السلام- فقط والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ (البقرة:٣٠). فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية"[١].

واستدل أصحاب هذا القول بتنكير كلمة "خليفة" وأن خليفة مفرد أريد به الجمع، أي خلائف، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٦٥).

واستدل الشنقيطي كذلك بدلالة آيات أخرى، قال: "فاعلم أنه قد دلت آيات أخر على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالخليفة: الخلائف من آدم وبنيه لا آدم نفسه وحده، كقوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ (البقرة:٣٠). ومعلوم أن آدم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- ليس ممن يفسد فيها ولا ممن يسفك الدماء."[٢]

وكما هو ملحوظ لا تعارض بين القولين، فلفظ "خليفة" لفظ يصلح للمفرد والجمع، فهو خليفة ومخلوف، خليفة وهو المراد بالآية على وجه الخصوص، ومخلوف أي ستخلفه ذريته من بعده، وذريته من بعده خالفة ومخلوفه كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.[٣]

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، د.م، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩، ج١، ص٢١٦،(بتصرف).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ج١، ص٢١.

(٣) ينظر: الزيوت: يوسف، مدى صحة القول بأن الإنسان خليفة الله في الأرض، مجلة جامعة دمشق، د.م، المجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٠١، ص٢٦٥- ٢٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا فإن الخليفة الأول لنوع الجنس البشري، هو آدم-عليه السلام- ذلك أن "خلق أصل النوع أمر مدرك بالضرورة؛ لأن كل إنسان إذا لفت ذهنه إلى وجوده علم أنه وجود مسبوق بوجود أصل له، بما يشاهد من نشأة الأبناء عن الآباء فيوقن أن لهذا النوع أصلاً أول ينتهي إليه نشوه "[1]. ويجدر السؤال ها هنا: لمَ سمى الله آدمَ خليفة؟ ذكر المفسرون أقولاً في من خلف آدمُ-عليه السلام-، وهي كالآتي:

١) أنه خلف مخلوقات غير مشاهدة لنا

٢) أنه خلف مخلوقات ناطقة

٣) أنه بمعنى المخلوف

٤) أنه خليفة الله

مناقشة الأقوال والترجيح بينها

القول الأول: القائل بأن آدم -عليه السلام- خلف مخلوقات غير مشاهدة لنا. فهو إما "خلف الملائكة الذين كانوا في الأرض، أو أنه خلف الجن، أو أنه خلف إبليس في مُلك الأرض". قاله ابن عباس وابن مسعود.[2]

واستدل أصحاب هذا القول بأسبقية خلق الملائكة والجن على الجنس البشري، وهذا يقتضي بالضرورة -على زعمهم- أن يكون آدم-عليه السلام- خليفة عنهم، قال الشعراوي: "إن آدم هو أول هذا الجنس البشري، ولكنه ليس أول من سكن الأرض...والحق سبحانه وتعالى يقول ما يوضح أن الجن قد سكنوا الأرض قبلنا: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ (الحجر: ٢٧).وبأن الله أخبر الملائكة بأنه سيجعل خليفة. وردت عليه الملائكة قائلة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (البقرة:٣٠). [3]

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٢.

(2) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٧.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج٣، ص١٦٢٩،(بتصرف).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعدُّ استدلال الشعراوي بآية الحجر استدلالاً غير صحيح؛ وذلك لأن الآية أخبرت عن أسبقية خلق الجن على الإنس. ومن ثم فإنه لا يوجد نص شرعي يقول بأن الجن هم أول من سكن الأرض وأفسدوا فيها، ثم جعل الله آدم-عليه السلام- وذريته خليفة عنهم، واستدل بعض المفسرين -كذلك- بمجموع من المرويات منها رواية عن ابن عباس قال: "أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا. فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. ثم خلق آدم فأسكنه إياها، فلذلك قال: "إني جاعل في الأرض خليفة".[1]

وبعد التمعن في السند والمتن السابقين، تبين أن في السند ضعف وانقطاع[2] وفي المتن غرابة؛ إذ هو عبارة عن أوهام وأساطير يونانية وفارسية قديمة.[3] وهذا ما أكده ابن عاشور في تفسيره، قال: فإن "القول بأن الأرض كانت معمورة من قَبل بطائفة من المخلوقات يسمون الحن والبن... وقيل اسمهم الطم والرم بفتح أولهما، وأحسبه من المزاعم، وأن وضع هذين الاسمين من باب قول الناس هيان بن بيان إشارة إلى غير موجود أو غير معروف..."[4] إلى أن قال: "وكل هذا ينافيه سياق الآية فإن تعقيب ذكر خلق الأرض ثم السماوات بذكر إرادته تعالى دليل على أن جعل الخليفة كان أول الأحوال على الأرض بعد خلقها فالخليفة هنا الذي يخلف صاحب الشيء في التصرف في مملوكاته ولا يلزم أن يكون المخلوف مستقراً في المكان من قبل، فالخليفة آدم وخليفته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض

---

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٤٥٠.

(2) والإسناد هو: فحدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: أول من سكن الأرض الجن... ."أما عثمان بن سعيد، فهو الزيات الأحول "لا بأس به" و أما بشر بن عمارة، فهو الخثعمي الكوفي، وهو ضعيف، وأما شيخه أبو روق - بفتح الراء وسكون الواو - فهو عطية بن الحارث الهمداني، وهو ثقة، وقال أحمد والنسائي: "لا بأس به". وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير، فمن أجل اختلافهم في سماع الضحاك بن مزاحم الهلالي من ابن عباس وكفى ببشر بن عمارة ضعفا في الإسناد، إلى نكارة السياق الذي رواه وغرابته. ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١، ص١١٣ .

(3) المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٣٤٠.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي"[١].

وفي رواية ذكرها الطبري تؤكد ما قلناه من أن آدم -عليه السلام- لم يكن خلفاً عن الجن، عن ابن زيد: "قال الله تعالى ذكره للملائكة: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً وأجعل فيها خليفة. وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق"[٢].

وقال العلامة برهان الدين البقاعي في تفسيره: وما يقال من أنه كان قبل آدم -عليه السلام- في الأرض خلق يعصون، قاس عليهم الملائكة حال آدم -عليه السلام- كلامٌ لا أصل له. بل آدم أول ساكنيها بنفسه[٣].

القول الثاني: سيتم الحديث عنه لاحقاً كونه موضوع البحث.

القول الثالث: والقائل بأنه بمعنى المخلوف، أي يخلفه غيره؛ لأنه إذا مات يخلفه من بَعده.[٤]

القول الرابع: والقائل بأنه خليفة الله في أرضه وفي إمضاء أحكامه وأوامره. قاله ابن مسعود ورجحه البغوي وصاحب المنار[٥].

والقولان الثالث والرابع لا تعارض بينهما، فآدم -عليه السلام- خليفة الله في إمضاء أحكامه وتنفيذ أوامره[٦]، وهو مخلوف إذ إنه -عليه السلام- خلفه غيره من ذريته في السير على منهاجه في تطبيق أمر الله وحدوده؛ لذلك قال تعالى في شأن داود -عليه السلام-:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (ص:٢٦).

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٥.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٤٥١.

(٣)البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٦٣، (بتصرف يسير) .

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ج١، ص٢٠.

(٥) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج١، ص٧٩، وينظر: رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، ج١، ٢١٥.

(٦) المراد من كون آدم عليه السلام خليفة الله: المعنى المجازي وليس على الحقيقة؛ وذلك لأن الله لم يترك عملاً كان يعمله، قال ابن عاشور: " والمراد هنا المعنى المجازي وهو الذي يتولى عملا يريده المستخلف مثل الوكيل والوصي أي جاعل في الأرض مدبرا يعمل ما نريده في الأرض فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقة لأن الله تعالى لم يكن حالا في الأرض ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطنة على موجودات الأرض..." . ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذان القولان هما الراجحان؛ فقد تحقق وصف الإفساد، وسفك الدماء في الأرض، فمن لدن ابني آدم -عليه السلام- إلى هذا العصر الذي نعيشه نرى صراعاً بشرياً تُسفك فيه الدماء ويعاثُ في الأرض الفساد.

إذن بات من المؤكد أن المقصود بالخليفة هو كون آدم -عليه السلام- خليفة الله و "إن هذه المكانة التي حظي بها الخليفة عند الله تعالى، وأن كل شيء مسخر له، وخُلق من أجله، فمن كانت هذه منزلته عند الله تعالى فمن الأولى أن يكون خليفة له سبحانه، بمعنى النائب أو المفوَّض منه لا عنه"[١].

فخليفة الله هو آدم -عليه السلام- ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين الخلق "وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها، فمن غير خلفائه، ومن غير آدم، ومن قام مقامه في عبادة الله... أضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه، وأخرج منه خليفته "[٢].

ويجدر السؤال هنا: كيف عرفت الملائكة أن ذرية آدم -عليه السلام- مفسدون في الأرض؟ والجواب على ذلك يكمن في أن القرطبي ذكر أقولاً في كيفية معرفة الملائكة بهذا النبأ[٣]، والذي أميل إليه أن الملائكة فهمت وعلمت لما امتلكوه من فراسة وفطنة، قال الخالدي: "ولعلهم عرفوا ذلك من باب فراستهم وفطنتهم، فهم يرون مراحل خلق تكوين آدم عليه السلام"[٤]، الذي تعجب منه الشيطان، فقد ورد في صحيح مسلم: **(لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ)**[٥]. فإذا فطن إبليس

---

(١) المطرودي، عبدالرحمن بن إبراهيم، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٣٤٣،(بتصرف).

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق، ج١، ص٤٥٢.

(٣) قيل: المعنى أنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن في بني آدم من يفسد، إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد، وقيل: إن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء، وقيل: إن الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، كان الله أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خلقا أفسدوا وسفكوا الدماء، فسألوا حين قال تعالى:" إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" أهو الذي أعلمهم أم غيره. ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٤.

(٤) الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٨٨، ج١، ص٩٩.

(٥) مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، باب: خلق الإنسان خلقا لا يتمالك، ج٤، ص٢٠١٦، حديث رقم(١١١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى أن هذا المخلوق الجديد لا يحبس نفسه عن الشهوات، وأنه لن يستمر في الطاعات[١]، فإنه يمكن القول بأن الملائكة كذلك فطنت وعلمت بفراستها وذكائها.

أما القول الثاني: القائل بأن آدم-عليه السلام- خليفة لمخلوقات بشرية بائدة، فقد أشار محمد رشيد رضا إلى أن البعض ذهب أن لفظ خليفة "يُشعر بأنه كان في الأرض صنف، أو أكثر من نوع الحيوان الناطق وأنه انقرض، وأن هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه... قال الأستاذ محمد عبده: وإذا صح هذا القول فليس آدم أول الصنف العاقل من الحيوان على هذه الأرض، وإنما كان أول طائفة جديدة من الحيوان الناطق تماثل الطائفة أو الطوائف البائدة منه في الذات والمادة ، وتخالفها في بعض الأخلاق والسجايا ".[٢]

وهذا القول هو قول مرفوض أصلاً؛ لأنه يصادم صحيح المنقول وصريح المعقول؛ لذا الأصل أن لا نبحث في هذا الموضوع، ونتعرض للآراء المخالفة لقواطع الأدلة في هذه المسألة. لولا أن أفكاراً سقيمة وآراء غريبة وغربية تسربت إلى عقول بعض الكتاب المسلمين خاصةً ممن يكتب في تفسير القرآن وقصصه كعبد الكريم الخطيب، ومحمد شحرور وغيرهما[٣]، ومن هنا كانت الحاجة لبيان خطأ هذا القول بأدوات العلم الحديث، وما يتعلق به من كشوفات أثرية ونقوش وأحافير حيوانية أو إنسانية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ينظر: ابن المَلك، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، د.م، إدارة الثقافة الإسلامية، ط١، ٢٠١٢، باب بدءِ الخَلقِ، وذكرِ الأَنبياءِ ،ج٦، ص١٥٠، حديث رقم(٤٤٢٦).

(٢) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م ، ج١، ص٢١٥.

(٣) ومن أنصار هذا القول العقاد، ومحمد إقبال، وبشير التركي في كتابه "آدم عليه الصلاة والسلام" ،وعبد الصبور شاهين في كتابه "أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة" ، وعمرو شريف في كتابه "أبي آدم... من الطين إلى الإنسان"، وسيد أحمد الكيلاني في كتابه "نظرية دارون بين التأييد والمعارضة" وكتاب "بين آدمين: آدم الإنسان وآدم الرسول" تأليف :قسم الدراسات والبحوث: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدعي أصحاب هذا القول بوجود آدم قبل آدم -عليه السلام- ويطلقون على الإنسان قبل آدم: بالإنسان الأول، أو الإنسان البدائي، أو الإنسان القديم، أو البشر، أو السلالات القديمة.[١]

أما استدلالاتهم فهي نوعان: الأول منها: التأويل المرفوض والمخالف للنصوص القرآنية. مدعيّن أن تفسيراتهم هي نظرة تجديدية للقرآن الكريم، يقول عبد الكريم الخطيب: "ونريد هنا أن نقف قليلاً مع قصة الخلق ـ خلق آدم ـ كما تحدث عنها القرآن، لا على ما جاءت به التفاسير من إسرائيليات وأساطير عن خلق آدم، فألقت بذلك ظلالا على آيات الله، وأخرجت منها مفهوما لخلق آدم يبعد كثيراً عمّا صرح به منطوق الآيات ومفهومها، ويصادم أيضا بعض حقائق العلم الحديث فيما كشف عنه علم الحياة وأصل الأنواع، بل ويصادر العقل الإسلامي الذي يفهم القرآن على ضوء هذه التفاسير، فلا يجد له سبيلاً إلى النظر والبحث عن أصل الإنسان، ومكانه في سلسلة التطور".[٢]

وقال غيره: "ولا يمكننا مجافاة العلم بزعم استهلال الوجود البشري بآدم وحواء، هذا خطأ وإزراء بنصوص الدين والعلم معاً، آدم ليس أبا البشر، بل أبُ الإنسانية اللاحقة "أب الناس" ولم يظهر الناس للوجود كذرية لآدم إلا قرابة خمسين ألف عام عن طريق التناسل، وليس من الأرض أو التراب كما قالته الأساطير والقرآن الكريم"[٣].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ينظر: شاهين، عبدالصبور، أبي آدم: قصة الخليقة بين الاسطورة والحقيقة، مصر، دار أخبار اليوم، ط٢، د.ت، ص ص١٠٤. وينظر: شحرور، محمد، الكتاب والقرآن: رؤية جديدة، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠١٣، ص٣٤٤. وينظر: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الخلق الأول: كما بدأكم تعودون، سلسلة عندما نطق السراة، دمشق، دار كيوان، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٧. وينظر: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، بين آدمين: آدم الإنسان وآدم الرسول، سلسلة عندما نطق السراة، دمشق، دار كيوان، ط١، ٢٠٠٩، ص١٢٨. وينظر: جبر، محمد أمين، الإنسان والخلافة في الارض، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩، ص٥٦.

(٢) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ط، د.ت، ج١، ص٥٩.

(٣) قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، بين آدميين: آدم الإنسان وآدم الرسول، مرجع سابق، ص١٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولتأييد فكرتهم ومقولتهم تلك قاموا بإخضاع وإخراج النصوص القرآنية الواضحة الدلالة على معانيها المحكمة، وقاموا بليّ أعناق الآية لتوافق ما ذهبوا إليه. وكان عبد الصبور شاهين من الذين اتخذوا هذا المنهج في إثبات أن آدم -عليه السلام- ليس أبا البشر، بل هو أب الإنسانية. حيث ألف كتاباً يقرب من مئتي صفحة يقوم على التأويل المرفوض لدعم رأيه متجاوزاً التفسيرات المعهودة، وما اتسم به التفكير الديني من جمود-على حد زعمه-.

ادعى عبد الصبور شاهين أن آدم -عليه السلام- لم يكن أول مخلوق عاقل على هذه الأرض، وأن الله تعالى خلق قبله من جنسه خلائق كثيرون، عاشوا قبله بملايين السنين، وكانوا في تلك السنين خاضعين لمراحل التسوية والتعديل والتهذيب. إلى أن انتخب الله تعالى من آخر أجيال البشر الأولين آدم -عليه السلام- حيثُ "عزل سبحانه السلالة الجديدة المنتقاة في الجنة؛ حتى تتم إبادة جماعات الهمج البشرية"[1]. وبهذا يكون لآدم وحواء أبوين من البشر.

والفروق بين لفظ "البشر" و "الإنسان" عند عبدالصبور شاهين، نوجزها كالآتي:

١. البشر أقوام همجيون لا سمع لهم، ولا بصر، ولا عقل "كانوا في بداية وجودهم وقبل رشدهم يتآكلون ويتفارسون"[2]، أما الإنسان الذي ينحدر من آدم -عليه السلام- فهو النوع المنتخب والمهذب، جعل الله لهم السمع والبصر وزودهم بالعقل، وبالعقل أصبح خليفة "بعد أن كان موجوداً دون خلافة"[3].

٢. البشر مخلوقون من تراب، والإنسان مخلوق من نطفة. حيثُ استدل بآية غافر التي ذكرت مرحلتا الخلق وهي: مرحلة الخلق من تراب ومرحلة الخلق من نطفة. واستدل على ذلك بأن الله صرح بأنه "خلق الإنسان من سلالة نسلت من

(١) شاهين، أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٠.

(٣) شحرور، الكتاب والقرآن: رؤية جديدة، مرجع سابق، ص٣١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طين، أي لم يخلق مباشرة من الطين، فأما ابن الطين مباشرة، فهو أول البشر"[1].

٣. زعم أن القرآن فصل بين مرحلتي الخلق بحرف "ثم" للتراخي للتعبير عن المسافة الزمنية بينهما، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ (غافر:٦٧). ووافقه محمد شحرور في تقدير المسافة الزمنية بين المرحلتين بملايين السنين، بل بمئات الملايين من السنين.![2]. واستدل شاهين كذلك بكلمة "أطوارا" ليدلل على أن البشر جاءوا بعد سلسلة طويلة من التطورات والتغيرات ترجع لملايين السنين، ففي هذه الفترة الطويلة كان يتقلب في أطوار التسوية والتصوير والنفخة.

ونناقشهم فيما يلي:

نقول: فهم عبدالصبور شاهين من قول الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (البقرة:٣٠). أن البشر مخلوقات همجية مجردة من كل سمع وبصر وعقل، وهي عنده كذلك مخلوقات متحركة حيوانية السلوك أفسدت في الأرض وسفكت الدماء... وهذا فهم خاطئ؛ إذ فيه جرأة واضحة على تأويل النصوص تأويلاً يصادم دلالات اللغة العربية التي نزل بها القرآن. حيثُ جاء النص القرآني بحرف "مَنْ" إذ فيه إشارة للعاقل، ولما كان الاستفهام هنا (استفهام الملائكة) عن الجنس العاقل، الجنس الذي يتميز عن البهائم والدواب، فإن الملائكة فهمت من معنى الخليفة معنى آخر غير الذي فهمه عبدالصبور، وهو الذي يحكم بين الناس بالحق والعدل[3].

---

(١) شاهين، أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، مرجع سابق، ص٩٥.

(٢) ينظر: شاهين، أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، مرجع سابق، ص١٠٩. وينظر: شحرور، الكتاب والقرآن: روية جديدة، مرجع سابق، ص٣٠٩.

(٣) وهو ما قررناه سابقاً، ينظر ص ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: وعلى فرض التسليم الجدلي لفهم عبدالصبور من أن البشر مخلوقات غير عاقلة، فكيف يؤاخذهم-ﷻ- بهمجيتهم وسفكهم للدماء و يُبيدهم ويستأصلهم؟! وهي عنده مخلوقات غير مكلفة، والله تعالى يقول في كتابه:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(الإسراء:١٥)، وأما بالنسبة لادعائه بأن الله أهلك البشر بسبب ما اقترفوه من فساد وسفك للدماء في الأرض. نقول له: إن الفساد في الأرض وسفك الدماء، ما يزالان موجودين منذ عهد ابني آدم[١] إلى اليوم، إذ نرى تفنناً في استحداث أنواع الفساد في الأرض وأدواته، وتفنناً - كذلك- في سفك الدماء أضعاف ما كانت عليه أحوال البشر.

أما التفريق بين خلق البشر من تراب، وخلق الإنسان من نطفة. فإن هذا التفريق لا دليل عليه، وهو يخالف ما جاء في كلام الله، قال تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾(الروم:٢٠). فالآية الكريمة تخاطب الإنسان الذي هو نفسه البشر "أنتم"، وفيها يمتن الله علينا بالبشرية، وأنه سبحانه خلقنا من تراب. والذي يظهر أنهم استندوا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون:١٢). بل ربما فهموا من أن السلالة تعني أن الإنسان انحدر من ذرية أولئك، والصواب غير ذلك؛ فالسلالة من الجذر اللغوي (سلّ)، وهي تعني بقية من طين. جاء في لسان العرب: "أن تلك السلالة تولدت من طين خلق منه آدم في الأصل. وقال قتادة: استل آدم من طين فسمي سلالة "[٢]، وهذا ما تؤكده آيات

(١) قصّ سبحانه وتعالى حادثة القتل التي قام بها أحد ابني آدم، قال تعالى عنهم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(المائدة،٢٧-٣٠).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، باب:سلل، ج١١، ص٣٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرى، منها: قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾ (الرحمن:١٤)، إذ إن الصلصال شكل من أشكال التراب.

أما الاستدلال بالأداة "ثم" و"إذا" للدلالة على طول المسافة الزمنية بين مرحلة خلق البشر، ومرحلة خلق الإنسان، فإنها أمور نسبية لا دليل عليها، ولا يقطع فيها برأي حاسم، وهذا ما أكده عبدالصبور نفسه، إذ قال: "لا بد أن نسلم بأن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة، بل هي رؤى نسبية، وأن العلم لم يستقر بعد على برِّ الحقيقة الكاملة، بل ما زال يدور في إطار النظريات الظنية الدلالة"[١]، فكيف يناقض نفسه بنفسه!.

تبين مما سبق أن نظرية شاهين في تطور الإنسان عن البشر لا دليل عليها، وأن ما جاء به من أدلة مخالف لصريح النص القرآني وصريح النص النبوي، فقد ورد في حديث الشفاعة، قوله :-ﷺ- **(فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ)**[٢]. وقال -ﷺ-: **(أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)**[٣].

وإن سياق القصص القرآني يؤكد على استغراب الشيطان من هذا المخلوق الجديد وهو "آدم"، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ ﴾ (الإسراء:٦٢).

وقال تعالى أيضاً: ﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾(الحجر:٣٣)

---

(١) شاهين، أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، مرجع سابق، ص٤٩،(بتصرف).

(٢) البخاري، ، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب: بدء الوحي، باب: قوله(وكلم الله موسى تكليما)، ج٩، ص١٨٢، رقم٧٥١٦.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، بَابٌ فِي التَّفَاخُرِ بِالْأَحْسَابِ، ج٤، ص٣٣١، رقم ٥١١٦، قال الشيخ الألباني: حسن.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الاستدلال الثاني وهو: الادعاء بوجود أحافير، وبقايا للكائنات الشبيهة بالبشر، إذ تأتي بعض النظريات العلمية لتقول بأن الإنسان وجد قبل المليون سنة تقريباً، حيث اكتشفت بقايا لكائنات شبيهة بالإنسان تعود إلى فترات عتيقة في الزمن، مثل: إنسان بكين، وإنسان جاوة، وإنسان نياندارتال[١]وغيرهما، وذلك باستخدام عنصر الكربون (١٤) الإشعاعي واستخدام عنصر البوتاسيوم أرغون لقياس وتحديد الزمن والعمر.[٢]

ويُردُ عليهم بأنه على الرغم من أن أدوات القياس هذه هي من التقنيات العلمية الحديثة، إلا أن نتائجها غير دقيقة خاصة طريقة الكربون المشع، وذلك بشهادة أهل العلم المتخصصين، حيثُ: "إن هذه الطريقة القياس فيها نسبي، وإن فترة الاشعاع الكربوني فترة قصيرة نسبياً لا يمكن قياس عمر الشيء الذي يزيد على (٥٠،٠٠٠) سنة بهذه الطريقة"[٣]. وبالتالي لم يستطع العلماء تأريخ بداية وجود الإنسان على الأرض، بشكل قاطع، وقد تكون أخطاؤها بآلاف السنين "فكل تاريخ يحصل بطريقة الإشعاع الكربوني ويدل على وجود على سطح هذه الأرض، هو تاريخ مشكوك فيه"[٤].

أما ما عثر على بعض المستحاثّات والأحافير الإنسانية التي تعود إلى ما قبل التاريخ وتنحدر منها السلالات الإنسانية الجديدة "الإنسان الحاضر" فهو أمر غير صحيح حيث قد "مضى وقت كان يظن فيه بأن الإنسان الحاضر منحدر مباشرة من إنسان جاوة وإنسان روديسيا والإنسان النياندرتالي، ولكن مع توفر الأدلة بدت استحالة هذا الأمر؛ إذ وجدت بقايا إنسان حقيقي قديم عاصر أجناساً أخرى. ومن هنا فليس هناك أي دليل يؤكد النظرية التي يراها بعض العلماء، القائلة بأن إنسان

---

(١) إذ يدّعون أن الانسان النياندرتالي هو أقدم مثال للإنسان العاقل، إذ سكن الأرض منذ حوالي ١٥٠ ألف سنة قبل أن يختفي تماماً بانقراضه منذ حوالي ٣٥ ألف سنة؛ ربما بسبب الإنسان الحديث وما كان بينهما من صراع وسفك الدماء. ينظر: شريف، عمرو، أبي آدم من الطين إلى الإنسان، د.م، مكتبة النافذة، د.ط، ٢٠٠٥، ص١٨٨.

(٢) لفهم المقصود بعنصر الكربون المشع والبوتاسيوم أرغون، ينظر: ص٢٤.

(٣) فريق من العلماء، خلق لا تطور: الإنسان ابن آدم وليس ابن قرد، تحقيق: إحسان حيقي، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٩٨٢، ص١١٨، (بتصرف يسير).

(٤) فريق من العلماء، خلق لا تطور: الإنسان ابن آدم وليس ابن قرد، مرجع سابق، ص١٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نياندارتال وإنسان بيكين وغيرهم يمثلون أجناساً منحطة انحدرت من الإنسان العاقل"[١]

والحق أن المعطيات العلمية الحديثة تكشف عمليات التزوير التي قام بها بعض المكتشفين لإثبات نظرياتهم الباطلة في تطور الإنسان، ومنها تزوير إنسان بيلتداون، إذ يعتقد بعض العلماء أن إنسان بيلتداون يرجع إلى نصف مليون سنة إلى الوراء، وبعد أخذ وردّ، ثبت أنه لم يكن إنساناً بدائيا قط، إلى أن تم الكشف عنها بواسطة "كنيث" عام (١٩٤٩) م، وذلك عندما أجرى اختبار الفلور على الجمجمة لتحديد عمرها، وكانت النتيجة أنها ليست قديمة كما ادعوا، إنما تعود لعصرنا الحالي"[٢].

وكذلك اعترافات الكثير من أصحاب الحفريات المكتشفة بعمليات التزوير التي قاموا بها لإثبات نظرياتهم ومنهم د."ديبوا" مكتشف حفرية "جاوا" فقد اعترف "ديبوا" قبيل وفاته بسنوات أن ما وجده في جاوا من حفريات أطلق عليها اسم "إنسان جاوا" لم تكن سوى جمجمة قرد كبير من نوع (APE) بينما كانت عظم الفخذ للإنسان العادي.[٣]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) فريق من العلماء، خلق لا تطور: الإنسان ابن آدم وليس ابن قرد، مرجع سابق، ص١٠٩،(بتصرف).

(٢) الشاعر، عمرو، نشأة الإنسان بين التوراة والقرآن ونظرية دارون، الجيزة، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠١٠، ص٦٠.

(٣) أبو غنيمة، زياد، العلم يتبرأ من نظرية دارون: أكبر جريمة تزوير علمي في التاريخ، الأردن، دار عمار، ط١، ١٩٨٩، ص٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : ردُّ القول بالتطور في الخِلقة " نظرية النشوء و الارتقاء"

يعرّف التطور بأنه تدرج وانتقال وترقٍ من حال إلى حال، أو من طور إلى طور آخر. والتطور عند من يقولون به قسمان: تطور عام يشمل الكون من مادة وقوة، وتطور خاص يختص بالكائنات الحية العضوية التي تشتمل على النبات والحيوان والإنسان.[١]

أما النوع الثاني من التطور الذي يختص بالكائنات الحية من النبات والحيوان والإنسان، فقد قال به تشارلز داروين في كتابيه: "أصل الأنواع"، و"نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي" .

تتلخص نظرية داروين في تبدل أشكال الكائنات الحية جيلاً بعد جيل متصفة بصفات جديدة غير صفات أسلافها، وأن جميع هذه الكائنات تنحدر من أصل واحد مشترك، وأن هذا التطور قديم وجد يوم وجدت الكائنات الحية التي تكونت تلقائياً (أي صدفة).[٢]

أما ما يختص بموضوع بحثي وهو الإنسان، فقد صرح داروين على التشابه الظاهري "البيولوجي" بين الإنسان وغيره من الحيوانات، فقال: إن الإنسان مشيد على نفس الطراز أو النمط العام مثل الحيوانات الثدية الأخرى، وأنه مرّ بأطوار خلقية أدنى ربما كانت ديداناً أو حشرات[٣] مروراً بالقردة العليا والشمبانزي.

وأن هذه الفكرة - التي قامت على أن الإنسان كان في أصل نشأته قرداً، تطور عبر ملايين السنين إلى شكله المألوف، من حيث إنه مستوي القامة وذو شكل جميل[٤]- كان لها أنصار من علماء المسلمين، آمنوا بها ودافعوا عنها وتبنوها. وممن صرح

---

(١) ينظر: العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ط. د.ت، ص٧٠.

(٢) ينظر: الشاعر، نشأة الإنسان بين التوراة والقرآن ونظرية دارون، مرجع سابق، ص٣٧.

(٣) جعل داروين الباب الأول من كتابه "نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي" : الدليل على انحدار الانسان من أحد الأشكال المتدنية. ينظر: داروين، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، مرجع سابق، ص٩١.

(٤) تنتمي القردة إلى عائلة واحدة مع الإنسان تسمى بالعائلة البشرية ويشتركان في عدد كبير من الصفات التشريحية (الظاهرية) ... وهذا يدل على أنهما من أصل واحد انحدروا من عصور جيولوجية سابقة، حتى انفصل الجنس البشري عن هذا الاصل المشترك وسار في طريق خاص تخصصت فيه بعض مميزاته التي ميزته عن اقربائه الآخرين. ينظر: غلاب، محمد السيد، تطور الجنس البشري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٠، ص٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودافع عن هذه الفكرة وبشدة عبد الكريم الخطيب، حيث قال في تفسيره: " وسنرى في قصة آدم، التي نحن بصددها، أنها تسبق ما يقرره "داروين" في نظرياته، عن التطور وأصل الأنواع... ثم إن النظر العابر في عالم الأحياء يعطى دلالة قاطعة على أن الإنسان هو من طينة الأسرة الحيوانية، فهذا التشابه الكبير في تركيب الأعضاء، والحواس، وعملية الهضم، والتنفس، ومجرى الدم في العروق، ثم في عملية التناسل في مراحلها المختلفة، كل هذا التشابه يقطع بأن الإنسان حيوان قبل أن يكون إنسانا. وإنك لتجد الإنسان كله في أدنى المخلوقات، وفى أرقاها من الدودة والحشرة، إلى القرد والغوريلا. وعلى هذا فإننا لا نستطيع أن نقبل أقوال المفسرين في خلق آدم، على تلك الصورة التي يرسمونها للأسلوب الذي ولد به "[1].

فما هو رأي العلم الحديث بالفكرة الداروينية، وكيف نقدها؟ والجواب على ذلك يكمن في أن الفكرة الداروينية ما زالت من لدن دارون إلى يومنا هذا مجرد نظرية لم تقرب من الحقيقة العلمية مهما كثُر أنصارها، وذلك بفضل مجموعة من العلماء الذين سارعوا إلى نقدها وبيان خطئها بأدوات العلم الحديث وقواعده. ومن هنا فقد اتجه قسمان من العلماء لنقد النظرية الداروينية: القسم الأول: يتمثل بعلماء الأديان وخاصة العلماء من أهل اللاهوت المسيحي، والقسم الثاني: يتمثل ببعض من علماء الطبيعة.

وقد نقدت النظرية الداروينية من قبل كثير من العلماء، وكان أول نقد موجه للنظرية ما يسمى بـ"الحلقة المفقودة" ويقصد بها "أن الحفريات والإحاثات إلى اليوم لم يعُثر فيها على إجابة أو متحجرة للكائن الذي كان موقعه في سلم التطور والنشوء الداروينى بين أعلى القردة الأذكياء وبين الإنسان المعتدل والذكي. فلم يعثر حتى الآن على متحجرة لذلك الإنسان الوسيط الذي جزء منه حيوان وجزء إنسان".[2] بل

([1]) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج١، ص٦٧-٦٨.

([2]) إمام، نظرية داروين في الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين في النشوء والارتقاء وبين تهافتها واسقاطاتها على الفكر الاجتماعي الإنساني، د.م، مطابع السودان للعملة المحدودة، د. ط ، د.ت، ص٤٠، (بتصرف).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أثبتت الأحفورات المكتشفة عكس ذلك تماماً، إذ إن الحياة قد ظهرت على الأرض فجأة وبدون تطور.

ونجد أيضاً اعترافات داروين نفسه في كتابه بوجود صعوبات كثيرة في الاستدلال على صحة نظريته سواء من علم الإحاثة أو الحفريات، يقول داروين: "إن السجل الجيولوجي إذا أخذ في مجموعه ظهر على جانب عظيم من النقص "[١].

وأشار كذلك إلى فقدان الحلقات الوسطى المسماه بـ (الضروب الانتقالية الوسطى) فقال: "بالرغم من أننا نجد في التكوينات الجيولوجية كثيراً من الحلقات بين الأنواع الموجودة الآن والتي وجدت من قبل. فإننا لا نقع على صور انتقالية دقيقة وفيرة العدد"[٢]. فلا يوجد إلى الآن حفرية واحدة تمثل مرحلة من مراحل التطور المزعوم. وأن هذه الحفريات عثر عليها في طبقات حجرية قديمة يعود تاريخها إلى العهد الكمبري[٣]، تعود لأشكال متعددة من الحيوانات الراقية كالمفصليات واللافقاريات البحرية، وهذه لا تحمل أية علاقة تشير إلى أنها كانت قد مرت بمراحل تطورية سابقة.[٤]

ومن العقبات التي تواجه النظرية كذلك، عقبة القول بظهور الحياة من المادة، أي الجماد، وهذا قول غير صحيح؛ لأن الجماد غير قادر على تحسين نفسه بنفسه "والباحثون لا يملكون أيّة آثار تعتبر بقايا حقيقية للمواد التي ظهرت منها الكائنات البدائية الأولى، بل ولا يملكون آثار هذه الكائنات الأولى نفسها"[٥] وقد كشف التشريح المقارن أن الأنواع التي يفترض أنها تطورت بعضها من بعض، تتسم

(١) داروين، تشارلز، أصل الأنواع ، ترجمة: إسماعيل مظهر، بيروت، منشورات مكتبة النهضة، د.ط، د.ت، ص٥٩٠.

(٢) داروين، أصل الأنواع، مرجع سابق، ص٥٨٩.

(٣) ويشمل الفترة الزمنية الممتدة من (٦٠٠) مليون سنة مضت تقريبا إلى (٥٠٠) مليون سنة مضت. النجار، زغلول راغب، وداوود، أحمد محمود، صور من حياة ما قبل التاريخ، الكويت، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٨، ص٥٤.

(٤) أبو غنيمة، العلم يتبرأ من نظرية دارون: أكبر جريمة تزوير علمي في التاريخ، مرجع سابق، ص٥٢.

(٥) توفيق، محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، القاهرة، دار السلام، ط٢، ١٩٩٨، ص٣١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسمات تشريحية مختلفة تماماً، وأنها من غير الممكن أن تكون أسلافاً أو خلفاء لبعضها البعض.[١]

جاءت بعض النظريات تدعي الموافقة والمشابهة بين جينات الشمبانزي والإنسان تصل إلى (٩٨,٧)[٢].إلا أن الفحوصات المخبرية عملت على حل رموز الخلية الحية، وأثبتت أن جميع البشر منذ خلق آدم -عليه السلام- حتى يومنا هذا هم من أصل واحد ومن خارطة الجينوم البشري وليس من خارطة جينوم القردة.[٣]

وإن تباعد الحفريات والمستحاثات المتحجرة عن بعضها البعض، يعدُّ من التحديات التي واجهت النظرية الداروينية؛ إذ لا يمكن بحال الاعتماد على ما وجد منها بأماكن متباعدة لدعم النظرية لأن هذا يعتبر من قبيل التزوير العلمي. وعلى الرغم مما عثر عليه من الأحافير، فهي كذلك لا تقوى على تأييد النظرية؛ وذلك لأنه لم يعثر على هيكل عظمي كامل لقرد ولا لإنسان، وأن ما عثر عليه هي بعض العظام المهشمة والمبتورة والأسنان المحطمة، وهذا ما أكد عليه أبو غنيمة إذ قال : "إن إحدى الصعاب الرئيسية تكمن في ندرة وجود جماجم إنسان في المستحاثات ذات دلالة حقيقية، وكل ما وجد من جماجم حتى الآن وجد في توابيت كبيرة وكل ما فيها من عظام لا علاقة له بالجمجمة"[٤]

خلاصة

تبين مما سبق أن موقف العلم الحديث من النظرية الداروينية هو الرفض لهذه النظرية، وبقاءها في حيز لا يمكن أن تصل فيه إلى الحقيقة العلمية؛ لما تعاني من ضعف وأخطاء ونقص واضح. وهذه النظرية تتصادم مع الحقيقة الشرعية، فقد ورد عن أبي هريرة، عن النبي-ﷺ- قال:(**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا...فَلَمْ يَزَلْ**

(١) يحيى، هارون، خديعة التطور: الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيدولوجية، ترجمة: سليمان بايبارا، ص٣٤

(٢) شريف، عمرو، أبي آدم من الطين إلى الإنسان، د.م، مكتبة النافذة ،د.ط، ٢٠٠٥، ص١٧٧.

(٣) ينظر: أبو الرب، محمود عبد المعطي، التكنولوجيا برهان على إعجاز القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ، ص٢٨.

(٤) أبو غنيمة، العلم يتبرأ من نظرية دارون: أكبر جريمة تزوير علمي في التاريخ، مرجع سابق، ص٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ)[1]. واختلف العلماء هنا على من يعود الضمير "الهاء" على قولين: الأول :عائد لآدم-عليه السلام- ، والثاني: عائد على الله، والذي أميل إليه أنه عائد إلى آدم -عليه السلام- فإنه سبحانه أوجد وأنشأ آدم -عليه السلام- على الهيئة التي خلقه عليها فهو "لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح"[2]. أي أن الله خلق آدم في الجنة على جسمه الذي حمله على الأرض وهيئته وصورته التي هو عليها على وجه الأرض، فهو لم يتطور في جسمه ولم تتغير صورته ولم تتبدل. وقد نص الحديث كذلك على أن طول آدم كان ستين ذراعاً، وأن طول الناس بعد آدم -عليه السلام- صار يتناقص فذريته أقصر منه.

المطلب الثالث: إسقاطات (تأثيرات) نظرية التطور

يقصد من هذه الإسقاطات أن: قبول هذه النظريات - أي ارتقاء الإنسان وتطوره سواء من البشر الهمج كما سبق في المطلب الأول، أو من الحيوان كالقردة كما في المطلب الثاني- والدفاع عنها وتأييدها يصاحبها نظريات أخرى تابعة لها وهي جزء من نظرية التطور، وهي نظرية التطور في الدين.

وقد اختلف الباحثون في تاريخ نشأة الأديان في بيان الأسبقية في الدين: الوحدانية أم الشرك، وذلك بحسب اختلاف أيديولوجياتهم الفكرية، فمن قال بتطور الإنسان بيولوجياً، فإنه قال كذلك بتطور الفكر الديني، وهؤلاء هم التطوريون وتسمى بالنظرية التطورية، أما من أثبتوا فكرة الخلق، فقد أثبتوا فطرية الدين، وأنه وجد منذ خلق الله آدم -عليه السلام-

---

(1) البخاري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ج٤، ص١٦٠، رقم٣٣٢٦.

(2) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩، باب: قوله باب خلق آدم وذريته، ج٦، ص٣٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تذهب النظرية التطورية إلى أن فكرة الله وجدت في المجتمعات الأولى بشكل عقائد انبثقت إما من الأفراد أو من الجماعة، وهي في تطور مع مراتب البشرية[١]، وتذهب النظرية الفطرية إلى أن الدين أوجده الله في عقل الإنسان وهي غريزة وفطرة أساسية لا مناص من الاعتقاد بها.[٢]

ومن هنا فإن الإنسان الأول -في نظر أصحاب النظرية التطورية- الذي يتصف بالهمجية وعدم المعرفة، فقد عاش لفترات بلا معرفة وتصور عن خالقه، ومن ثَمّ أجبرته الظروف المحيطة به لعبادة الطبيعة والظواهر الطبيعية، فعبد الشمس والقمر وعبد الحيوانات المتوحشة وعبد الزلازل البراكين وغيرها، "فكل تلك الظواهر هي التي ألهمته العاطفة الدينية! فهو نتيجة ضعفه وعدم استيعابه لما يجري حوله دَاخله الخوف منها، وبالتالي احتاج إلى الالتجاء إلى ركن وثيق فكانت هذه بداية نشوء العاطفة الدينية!! فكل ظاهرة لم يفهمها الإنسان البدائي وضع لها إلهاً وعبده"[٣] فنشأة الدين -على زعمهم- كانت بعد فترة من الإلحاد وذلك لأسباب متعددة منها:[٤]

- الخوف من الموت، وقد عزا البدائيون الموت إلى قوى خارقة.
- الدهشة من الأحداث المفاجئة والأجرام السماوية .
- اتقاء شر المعبودات والأمل في معونة الآلهة.

والعقيدة الدينية -على زعمهم- نتاج بشري تطورت بمرور الأزمان والأحوال، قال العقاد: "ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات ".[٥]

---

(١) نجيب، عمارة، الإنسان في ظل الأديان: المعتقدات والأديان القديمة، الرياض، مكتبة المعارف، د.ط، ١٩٧٩، ص٢٥.

(٢) النشار، علي سامي، نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة، حلب، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٥، ص٢٨،(بتصرف).

(٣) قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، التوحيد عقيدة الأمة منذ آدم، سلسلة عندما نطق السراة، سورية، دار كيوان، ط١، ٢٠٠٩، ص١٦.

(٤) ديورانت، ول، الوجيز في قصة الحضارة، أوجزه: غازي مختار طليمات، د.م، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٥، ص٤٣.

(٥) العقاد، عباس محمود، الله : كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، د.م، منشورات المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ص٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرت العقيدة الدينية بمراحل متعددة إلى أن وصلت إلى مرحلة الوحدانية التي تعتبر من أحدث المظاهر الدينية، وهي ثلاث مراحل أو أطوار ذكرها العقاد في كتابه[١] وهي: طور التعدد وهو أول طور مرت به الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة والأرباب، وذلك أن يكون لكل أسرة كبيرة رب تعبده، حتى تتخذ القبيلة لها آلهة بالعشرات وقد تتجاوزها إلى المئات، وفي هذا الطور أطلق مصطلح الطوطم أو التوتم، والتوتم: كلمة تنسب إليها العقيدة التوتمية أو النظام التوتمي على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رمزاً لها ولقباً لجميع أفرادها، وتنزل هذا التوتم وما يرمز إليه منزلة التقديس وتقدم جميع عقائدها وطقوسها الدينية على أساس من هذا التقديس.[٢]

ادعى "سيغموند فرويد" أن الأمم البدائية، كانت تعرف نظاماً مقدساً آخر يعرف بالتابو، وهو "أقدم مجموعة قوانين غير مكتوبة لدى البشرية، ومن المتعارف عليه أن التابو أقدم من الآلهة وأسبق من الأديان".[٣] و سيغموند فرويد يجعل هذه الأمم البدائية متوحشة وهمجية، فكيف يضعون هذه القواعد والقوانين ثم يلتزمون بها. !!

مناقشة المذهب التطوري

يستدل أصحاب المذهب التطوري على مذهبهم في تطور الأديان بما تبقى من آثار ونقوش وكتابات عن أديان الأمم القديمة، أو دراسة أديان الأمم البدائية المعاصرة التي تعيش في مجاهيل الصحاري والغابات.

(١) ينظر: العقاد، الله : كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، مرجع سابق، ص ٢٣، ص٢٤.

(٢) وافي، علي عبدالواحد، الطوطمية: أشهر الديانات البدائية، القاهرة، دار المعارف بمصر، د.ط، ١٩٥٩، ص٧، ص٨.

(٣) فرويد، سيغموند، الطوطم والتابو، ترجمة: بو علي ياسين، سورية، دار الحوار، ط١، ١٩٨٣، ص٤٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اعترف مؤرخو الأديان بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله لا تزال مجهولة جهلاً تاماً، فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب. أما الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة المعاصرة، فلا يمكن الوصول عن طريقها أبداً إلى معرفة الحالة الدينية للإنسان الأول؛ لأن هذه الأمم مهما كانت درجة توغلها في القدم أو البدائية هي كغيرها من الأمم مرت بمراحل متعاقبة من التحضر والتخلف، وتعاقبت عليها فترات الازدهار والركود كما هو الظاهر في الأمم الحاضرة.[١]

وفي استدلال العقاد على أن الطوطم من طلائع الأديان، وذلك بتحقق انتشار شعائر الطوطم بين مئات القبائل الهمجية[٢] فهو غير صحيح؛ وذلك لأن انتشار هذه الطواطم انتكاسة دينية وتحريف ديانة صحيحة وهي التوحيد إلى الشرك وعبادة غير الله.

وقاس العقاد - كما تقدم- الأديان على الفنون والصناعات ، وهذا قياس فاسد يرده واقع الأمم قديماً وحديثاً، فليس هناك تلازم أو علاقة بين رقي الأمم في صناعاتها وبين تطورها في دينها وصحة معتقدها، فكم من أمة بلغت مرحلة رفيعة في الحضارة والمدنية وهي في أحط حالاتها في الانحلال الديني والشرك بالله، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ (ق:٣٦).

نخلص إذاً إلى أن التوحيد هو أصل الديانات جميعها، وأن "عقائد الشرك والوثنية والفناء، إنما هي وليدة ضرب من الغفلة أو الكسل العقلي"[٣]، وأن العقيدة الدينية لم تتطور، وأن الشرك أمر طارئ محدث، وأن الناس بعد آدم -عليه السلام- كانوا موحدين، ومرت أجيال منهم على الإيمان حتى تمكّن الشيطان منهم فأبعدهم عن التوحيد وقادهم إلى الشرك والضلال، ثم حصل الانحراف بعد آدم -عليه السلام- بعشرة

---

(١) ينظر: دراز، محمد عبدالله، الدين :بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د.م، د.ن، د.ط، د.ت، ص١٠٨.

(٢) العقاد، الله : كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، مرجع سابق، ص١٥.

(٣) دراز، الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مرجع سابق، ص١٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرون، وكان من قومٍ بَعث الله إليهم نوح-عليه السلام- ليردهم إلى فطرتهم التي فطروا عليها، وفي الحديث الشريف عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: (**كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ فَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً**)[1]. وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم في خطبته:(**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**)[2].

ولقد خاطبت الآيات القرآنية الكريمة الفطرة الإنسانية، فطرة التوحيد والاسلام والاستسلام لله تعالى حنفاء، والحنف هو الميل إلى الاستقامة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠). ومن هنا فإن الدعوة في الآية الكريمة هي "دعوة إرشاد وتصحيح، دعوة توجيه إلى ذلك النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق لتتم برمجته، ومن ثم إعادته إلى أصل خلقته، وأصل الخلقة هو الإسلام"[3].

فإن الله تعالى خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة من الأديان الباطلة والعادات الذميمة، وأن ما يدخل عليهم من الضلالات ما هو إلا من جراء التلقي والتعود، وتطاول العهد بهم، ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس:١٩). وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (البقرة:٢١٣).

---

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق ، باب: تفسير سورة حم عسق، ج٢، ص٤٤٢، رقم٣٦٥٤. تعليق الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(2) مسلم، المسند الصحيح المختصر، مرجع سابق، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج٤، ص٢١٩٧، رقم ٦٣.

(3) الشرايري، نذير بن نبيل، الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم، السعودية، مركز الدراسات والبحوث، ط١، ٢٠١٣، ص٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يمكن أن نفهم من الآيات السابقة أن الأمة تكون واحدة وهي مشركة، فبالشرك تتعدد المعبودات وتتنوع، فهم كانوا على دين واحد وهو الإيمان والحق، وعند الاختلاف بعث الله تعالى الأنبياء "فالفاء في قوله : فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ، تقتضي أن يكون بعثهم بعد الاختلاف ولو كانوا قبل ذلك أمة واحدة في الكفر، لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى؛ لأنهم لما بعثوا عند ما كان بعضهم محقا وبعضهم مبطلا، فلأن يبعثوا حين ما كانوا كلهم مبطلين مصرين على الكفر كان أولى".[1]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٦، ص١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: دور المكتشفات الأثرية في فهم الحضارات ونشوئها بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

وفيه تمهيد ومطلبان: يأتي التمهيد لبيان مفهوم الحضارة، وعوامل قيامها، ويتناول المطلب الأول حضارة عاد "قوم هود عليه السلام"، بينما يتناول المطلب الثاني: حضارة ثمود "قوم صالح عليه السلام".

تمهيد في مفهوم الحضارة، وعوامل قيامها

أولاً: مفهوم الحضارة

ترجع كلمة الحضارة في اللغة إلى الأصل الثلاثي (حضر) الذي يأتي بمعنى الإقامة في الحضر؛ وهي المناطق المعمورة والمأهولة بالحياة. جاء في لسان العرب أن: "الحضور نقيض المغيب والغيبة، والحضر خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار"[١]. والبادية من بدا يبدو أي: "برز وظهر، ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه"[٢] .

تبين مما سبق أن الحضارة تقابل البداوة، والإقامة في الحضر تختلف عن الإقامة في البادية؛ ففي معنى الحضر تجد السكون والاستقرار الذي ينتج عنه قيام وازدهار الحضارة، فإن "الحضور الدائم في مكان والاستقرار فيه أمر ضروري لقيام الحضارة؛ لأن الاستقرار يهيئ لنشوء حركة تقدم ورقيّ، بحكم التجمع والاستقرار والتعاون بين الأفراد، واستفادة بعضهم من بعض، فلا حضارة لمن يتنقلون من مكان إلى آخر فهم في حل وترحال دائمين - بحثاً عن موارد الحياة - ومن ثم فإنهم لا يمكن أن يؤسسوا وينشئوا حضارة "[٣].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، باب: حضر، ج٤، ص١٩٦.

(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، باب: حضر، ج١١، ص٤٠.

(٣) علام، فرج أحمد سالم، التداول الحضاري في القرن الكريم: دراسة في عوامل قيام الحضارات وانهيارها، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٦، ص٢٠، (بتصرف بسيط).

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما تعريف الحضارة اصطلاحاً، فتعددت تعريفاته، وذلك حسب المنطلقات الفكرية التي تصدر عنها، وأكثر التعريفات قصرت على الجانب المادي، وهنا لن نستطرد في ذكر هذه التعريفات، وإنما يكفي أن نذكر نموذجاً منها. قال ابن خلدون الحضارة هي: " التفنن في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه"[١].

ترتكز الحضارة على جناحين: مادي ومعنوي، المادي كالحرف، والصناعات، وهو يقابل مصطلح المدنَّية، وإذا "كانت هذه تطلق على ما يرادف الحضارة أحياناً، فإن العُرف قد خصصها في النهاية بالجانب المادي للحضارة كتشييد المدارس، وإقامة المؤسسات"[٢]. ويقابل المعنوي مصطلح الثقافة، والذي يتمثل بالجانب الفكري والنشاط الإنساني والذوق الفني، وعليه فالحضارة هي: كل ما يشمل محصلة النشاط الإنساني، ومظاهرها التي تتجسد في النظام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والديني والفكري، والعلمي وغير ذلك[٣].

تبين مما سبق أن الحضارة هي ناتج الجهد الذي يبذله الإنسان، وهو "ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة "[٤].

ثانياً: مقومات الحضارة الإنسانية

لقيام أي حضارة لا بد من توفر جملة من العوامل والمقومات الأساسية، وهذه المقومات منها ما هو لازم لقيام الحضارة ونموها، ومنها ما هو شرط ضروري لازدهارها واستمرارها، وهي كالآتي:-

(١) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص٤٦٥.

(٢) سبع، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم: عالم ما قبل القرآن، القاهرة، دار المنار، د.ط، د.ت، ج١، ص٣٨.

(٣) العبيدي، خالد فائق، القوانين القرآنية للحضارات: دراسة قرآنية لأحداث التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥، ص١٥، (بتصرف).

(٤) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٢، ص١٩٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. **مقومات بيئية:** وهي مقومات لازمة لقيام الحضارة، فالبيئة الجغرافية لها تأثير على الحضارة تأثيراً قوياً، وتعكس أوضاعها على الناس، والموقع الجغرافي الملائم والممتاز من حيث الطبوغرافيا السهلة، والتربة الخصِبة، والتي تمتاز بجودتها وخصوبتها، واستقرار الحياة فيها مع توفر الموارد المائية اللازمة كالأنهار[١]، وبُعدها عن مناطق الاضطرابات الطبيعية: كالمناطق الزلزالية، والبركانية والانهيارات الجليدية.[٢]

وتتمثل البيئة المناخية في اعتدال كل من الحرارة والرطوبة، فكما أن الإنسان يتأثر بالبيئة المناخية المحيطة به، فهو كذلك يؤثر فيها من حيث التحضر والبداوة، وهذا ما أكده النجار في قوله: "إن حياة متحضرة للإنسان لا يمكن أن تنشأ أو تنمو إلا على مسرح بيئي مستجيب للاستعطاء في أرضه ومناخه"[٣].

٢. **مقومات اقتصادية:** ويعدُّ الاقتصاد قوة كبرى في دفع الحضارات إلى طريق الصعود، ومدِّها بأسباب الحياة، فبالاقتصاد تتحرك حضارات نحو القمة، وبأخرى نحو الهاوية. وتتمثل الحياة الاقتصادية: بالزراعة والصناعة والتجارة، وفي ظل النمو الاقتصادي وازدهاره ينهض الفن المعماري ويتقدم، وتندفع الحضارة قُدُما إلى الأمام؛ لأن ذلك لا يكون إلا في المدن، والتي تحمل في ثناياها الرخاء الاقتصادي والمعيشة الرافهة، وبالمقابل فإن حدوث الأزمات الاقتصادية وقلة الإنتاج والاعتماد على الغير لسد احتياجاتها، فإنه يؤثر سلباً في تدهور الحضارة وفي تأخر حركة العمران، مما يجعلها دول فقيرة نامية على هامش الدول المتحضرة.[٤]

---

(١) وقد أشار المؤرخون كثيراً إلى أن الحضارة لا تنشأ إلا على الشطآن والسواحل وبجوار الأنهار، ويؤيد ذلك الواقع التاريخي للحضارات القديمة كعاد وثمود. سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ج١، ص٢٤.

(٢) الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف، حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، د.م، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٩٦، ص٣١، (بتصرف).

(٣) النجَّار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، سلسلة الشهود الحضاري للأمة الإسلامية(١)، د.م، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩، ص٢٩.

(٤) ينظر: الصعيدي، حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، مرجع سابق، ص٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. **مقوم النظام السياسي**: إذ تقوم الحضارة عند مراعاتها لجانب الأمن والنظام السياسي العادل، فهو ذو "سلطان وتأثير في تنسيق فاعليات الأفراد وحمايتهم، وتدبير شؤونهم العامة وعلاقاتهم بالمجتمعات والدول الأخرى"[١].

٤. **مقومات معنوية**: إذ يملك المجتمع المتحضر معان قيمة تتمثل في الأخلاق والقيم والأعراف والتقاليد، تنعكس آثار هذه القيم في صور من التفاهم والأخوة، والتعاون والإتقان في العمل، ومن ثم توطيد هذه العلاقات بالمجتمعات المحيطة به.[٢]

٥. **مقومات علمية**: ويعدُّ المجتمع المتقدم علمياً وتكنلوجياً، والذي يمتلك من الوسائل العلمية التي تجعل من الصحراء الجرداء أرضاً وارفة الظلال، لكفيلة بتقدم الحضارة وازدهارها، إذ إن "العلم في الحضارة البناءة هو منهج وطريق تستشرف به غيوب المستقبل وأسلوب من أساليب التعامل مع الأشياء في البحث والنظر وربط النتيجة بالسبب...فالعلم يدفع إلى الإبداع والتفكر والتدبر وكل منهما ينبت حضارة وينشئ معرفة "[٣].

وأخيراً إذا ما توفرت للحضارة المقومات السابقة المتمثلة بمقومات النمو والنهوض والازدهار، فلا بد لها من عنصر آخر يضمن لها الاستقرار والاستمرار والثبات، وهو ارتباط المجتمع الحضاري بدين سماوي؛ وذلك لأن العامل الديني هو عامل أساسي لقيام الحضارة وبقاءها. وهذا ما أكد عليه ابن خلدون عندما فسر أثر الدين في قيام الحضارة واستمرارها، قال: " إن القلوب... إذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها، فذهب التنافس، وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة لذلك، فعظمت الدولة"[٤].

---

(١) زريق، قسطنطين، في معركة الحضارة: دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٣، ص٤٣،(بتصرف).

(٢) ينظر: الصعيدي، حضارات ورد ذكرها في القرن الكريم والسنة النبوية، ص٣٤.

(٣) بدوي: عمار توفيق أحمد، ٢٠٠٥، مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، ص٣٨.

(٤) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ج١، ص١٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا لم يرتبط المجتمع بدين سماوي، فإن حضارته حتماً ستزول مهما بلغت من الرقي والازدهار، ووقائع تاريخ الأمم السابقة التي ذكرها القرآن الكريم خير مثال، كحضارة عاد وثمود ومدين وسبأ، فهي حضارات بلغت درجة رفيعة من التطور ثم هي بعد تنكبها ورفضها للحق، انتكست وأبيدت، ولم يبق سوى بعض آثارٍ لها تدل عليها.

وخلاصة ما سبق يمكن القول: إن الحضارة مركوزة بعدة ركائز، فمتى توفرت هذه في أي مجتمع بقدر ما يكون هناك تطور وتحضر، ومتى اختل منها مقوم أو عامل يكون سببا في التوقف والانتكاس والانحدار، لذا فإن أي حضارة يجب أن لا تغفل عن الجانب المادي ولا عن الجانب الروحي.

المطلب الأول: حضارة عاد "قوم هود عليه السلام"

شيَّد قوم عاد حضارة زاهرة ومتميزة وصلت إلى درجة رفيعة من التحضر والرقي المادي، امتازت عن غيرها من الدول والمجتمعات المحيطة بها في عصرها، ومن العوامل التي ساعدت على قيام حضارة عاد، الآتي:

١) **مقوم جغرافي**: ويتمثل في البناء والعمران في الأمكنة المشرفة والمرتفعة من الأرض، وهذا يبدوا واضحاً من لفظ (ريع) في قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (الشعراء:١٢٨). قال الأصفهاني: "الريع: المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد، وريعان كل شيء أوائله التي تبدو منه، ومنه استعير الريع للزيادة والارتفاع الحاصل".[١]، ومما يدلل على أن الريع هو البناء العالي، أنه جاء بعد لفظ (ريع) لفظ (آية) والآية بمعنى العلامة والدلالة، ويقصد بها البناء المميز، فقد يكون هذا البناء عبارة عن حصن، أو قلعة، أو برج، أو قصر، المهم أن كلمة آية "تشير إلى مدى الرقي والازدهار في البناء، إذ لم يكن البناء عادياً في

(١) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، كتاب: الراء، ج١، ص٣٧٢،(بتصرف).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مظهره، بل كان يتم بشكل جمالي غير عادي... ولعل وصف القرآن للبناء بأنه آية خير دليل على روعة هذا البناء وجماله، ولعل وصفه بأنه آية للإشارة إلى أنه كان يوضع في مكان مرتفع، فيكون معلماً فيسهل الاهتداء اليه..."[١].

ومما يدلل على أهمية الموقع الجغرافي: أن علماء العرب في العصور الوسطى أطلقوا على منطقة الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية والتي تضم اليمن والجزء الأكبر من عُمان بـ (اليمن السعيد)، وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة كانوا أكثر من في عصرهم حظاً؛ والسبب في ذلك يرجع إلى موقعهم الاستراتيجي؛ حيث إنهم اعتُبروا وسطاء في تجارة التوابل بين بلاد الهند وبلاد شمال شبه الجزيرة العربية.[٢]

٢) **مقوم اقتصادي**: ومما تميزت به حضارة عاد كعنصر رفع اقتصادها الزراعة. إذ إنهم اعتنوا بها عناية كبيرة، فلم تكن زراعتهم محصورة بنوع واحد من الزروع، بل تعددت زراعتهم وتنوعت؛ لأن "بلادهم كانت أخصب بلاد"[٣]، وتربتهم كانت حسنة صالحة ومهيئة للزراعة، ومناخ بلادهم متميز باعتدال الحرارة، وتوفر الأمطار، ووجود مصدر مائي متمثل بالعيون، كل ذلك كفيل بقيام وازدهار الزراعة، إذ نفهم من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الشعراء:١٣٢-١٣٤). أن قوم عاد كانوا على معرفة وعناية بالريّ وأساليبه من سدود وقنوات وغيرها. كذلك فإن من مقومات الاقتصاد ما أمدّهم الله بـه من "أنعام وبنين" إذ تشير كلمة "الأنعام" أن القوم اعتمدوا كذلك على الرعي لرفع اقتصادهم، وهذا يحقق رخاء مادياً، واستقراراً نفسياً والاكتفاء بما عندهم. وقد تقدمت الصناعة تقدماً ملحوظاً، إذ نفهم من قوله

---

(١) علام، فرج أحمد سالم، التداول الحضاري في القرآن الكريم: دراسة في عوامل قيام الحضارات وانهيارها، القاهرة، مكتبة الآداب،ط١، ٢٠٠٦، ص١٢٦.

(٢) السعيدي: حسام، إرم (أسطورة الرمال) اليمنية الخرافية التي سكنها قوم عاد، على شبكة الإنترنت، ٢٠١٧/٧/٢، http://yemen-press.com

(٣) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج٥، ص٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ (الشعراء: ١٢٩)، أن القوم احرزوا صناعات، مهما "يكن من بساطتها فإن لها دلالة على عبقرية العقل الإنساني منذ فجر التاريخ".[١] وهذه الآية الكريمة ترد على أنصار المذهب التطوري، الذين يدعون بأن الإنسان الأول كان بدائياً ولم يعرف الصناعة.

أما المقصود بالمصانع التي اتخذوها، فقد عُبِّر بها بـ "الأمكنة الشّريفة"[٢]، وقيل : "هي مجاري الماء، وقيل: الأصناع، وأحدهما صنعٌ وقيل: المصانع: ما شيد من القصور وزخرف من الدور. والكل مراد، فإن القوم فعلوا كل ذلك"[٣].

وإن تطور علم الآثار وظهور المكتشفات الأثرية قد ساعد على توضيح كثيراً من الحقائق والإشارات التاريخية في القرآن الكريم، والمعروف أن بلاد عاد كانت تستعين بمياه السدود لريّ مزارعها، قال ابن عاشور: "واحتفروا وشيدوا مصانع للمياه وهي الصهاريج تجمع ماء المطر في الشتاء، ليشرب منها المسافرون، وينتفع بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار"[٤]، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث، فقد كشفت صور الأقمار عن نظام ري واسع في المدينة القديمة يتألف من قنوات وسدود قديمة، استخدمت لري مزارعهم[٥].

٣) **مقوم اجتماعي** ويتمثل في أن قوم عاد كانوا يعيشون حياة ترف وبذخ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾(المؤمنون:٣٣)، وهذا يرجع إلى ما امتلكوه من قوة اقتصادية وتقدم مادي كبير، فبازدهار الاقتصاد وحصولهم على وسائل الراحة والكماليات التي لا حاجة إليها، عاشوا في رفاهية ونعيم ،قال

---

(١) سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص١٥٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٤٩٣.

(٣) السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، د.م، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦، ج٢، ص٣٥٦.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٩، ص١٧٣.

(٥) هارون يحيى، الأمم البائدة، ترجمة: ميسون نحلاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤، ص٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى منكراً عليهم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (الشعراء: ١٢٨). وهذا يدل على أن القوم وصلوا إلى مرحلة متقدمة من التطور الحضاري، وهي مرحلة الترف.

٤) **مقوم النظام السياسي** ويتمثل في نظام قوي ظالم مستبد وصفهم الله تعالى به، قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ (الشعراء: ١٣٠)، والبطش وصف للقوة والغلظة والجبروت، وهذا يرجع إلى اغترارهم بما منحهم الله من قوة وضخامة في أجسامهم؛ فالله تعالى قد زادهم بسطة في الجسم، قال تعالى: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ (الأعراف: ٦٩)، إذ إن القوم كانوا "على بسطة خارقة في الجسم، ومع هذه البسطة الخارقة في الجسم قوة طاغية في الحرب والقتال، وتلك نعمة أساءوا استعمالها، فاستبدّوا بمن حولهم، وأزعجوا أمّن جيرانهم، بغياً وعدواناً في غير رحمة"[١].

ويجدر السؤال ها هنا: هل عُثر على مكتشفات أثرية لهياكل تبين ضخامة أجساد لقوم عاد؟ أقول: إن الله تعالى خلق آدم -عليه السلام- في الجنة وطوله ستون ذراعاً، ثم تدرج الخلق في النقص حتى استقر على ما هو عليه الآن، ودليل ذلك قوله -ﷺ-: **(خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا...فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ)**[٢]. إذ نجد في هذا الحديث إشارة واضحة على أن أجساد الأمم والأقوام السابقة هي أطول وأضخم مما هي عليه الآن[٣]، والكشف عن آثارهم وما خلفوه ورائهم من دور وقصور يؤكد على ذلك، فقد يكون الوصف بالطول عائد على منازلهم -أيضاً- ولا مانع من حمل معنى الآية ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ (الفجر:٧)، على القولين، لعدم التعارض، أما القول بوجود هياكل عظمية ضخمة تنسب لقوم عاد، فإن كثيراً من مواقع الإنترنت تدّعي

---

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج١٠، ص١٤٦.

(٢) تم تخريجه في ص٩٤.

(٣) وقد فهم البعض من المفسرين أن المقصود ب"إرم ذات العماد" أي: ذات الطول، إشارة إلى طول أجسامهم، قاله ابن عباس ومجاهد. ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج٢٤، ص٤٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك، ولكنّ جهات عديدة أكدت على أنه لا صحة لوجود آثار لهيكل عظمي ينسب لأحد أفراد قوم عاد، وأن ما تداولته المواقع من صور جماجم كبيرة وهياكل ضخمة هي مزورة ولا دليل عليها.[١]

ثانياً: قصة قوم عاد مثبتة تاريخياً

وصفَ القرآن الكريم حضارة عاد بأنها: ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وهذا الوصف وغيره مما تقدم، أثار فضول الكثيرين- لمعرفة أخبارها وتحديد ديارها- من المؤرخين، والمفسرين، والرحالة، وعلماء الآثار والمستشرقين. إلا أن البعض من المستشرقين شككوا في القصة القرآنية، وعدّوها من القصص الخيالية والأساطير الدينية، قال أحد المؤرخين: "ولعل هذا - أن قصة عاد قصة قرآنية صرفة- هو السبب في أن كثيراً من المستشرقين قد تعجلوا الأمر، فأنكروا عادا وثمودا، وأنكروا الكوارث التي أصابتهم بغير حجة"[٢]، وقالوا: "إنه لا مدينة ولا فساد ولا أنبياء، وإن الأمر كله حديث خرافة أو تلفيق خيال".[٣]

وهذه الشبهة من بين شبهات كثيرة ادعاها المستشرقون حول القرآن الكريم وقصصه، هي زائفة وغير مجدية أمام الحقائق الكثيرة التي تثبت صدق القرآن فيما أخبر به من قصص الأمم وأنها واقعة بالفعل.

ولذا تأتي الحقائق التاريخية والمكتشفات الأثرية لتبرز صدق القرآن فيما أخبر به، وتردُّ على الذين لا يؤمنون إلا بما هو محسوس ومشاهد. حيثُ تأتي أقوال المؤرخين القدامى بوصف هذه القبائل القديمة وإثبات وجودها تاريخياً، وذلك أن "اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهما زيارة مملكة عاد في أواخر حكمها، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة زاهرة، والأنهار فيها متدفقة بالماء، والبحيرات

---

(١) https://news.nationalgeographic.com/news

(٢) مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٣، (بتصرف).

(٣) العقاد، عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء، د.م، نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص١٠٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زاخرة بالحياة، والأرض مكسوة بالخضرة... وكان أحد هؤلاء هو بليني الكبير[١]. والآخر كان هو الفلكي والجغرافي بطليموس السكندري الذي كان أمينا لمكتبة الإسكندرية.[٢]

قسم بطليموس " شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام طبيعية: بلاد العرب الصحراوية، وبلاد العرب الصخرية، وبلاد العرب السعيدة، وهذا القسم الأخير قد أطلق عليها أسماء أخرى، كلها تدل على ظروف جغرافية مواتية سمحت بمعيشة أفضل لسكانها من معيشة سكان القسمين السابقين، ومن هذه الأسماء الميمونة والمباركة".[٣]

وفي قسم بلاد العرب السعيدة قام برسم خريطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة، وطرقاتها المتشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سماها باسم (سوق عُمان)"[٤]. وأشار كذلك إلى اسم قوم عاد، وأطلق عليها اسم "Oaditae"

ينظر في الملحق خريطة رقم[١]

كذلك فقد عُثر في منطقة إبلا على ألواح صلصاليه ذكر فيها أسماء ثلاثة هي: (شاموتو أو ثمود)، (عاد)، (إرم) ، وأطلق اسم إرم على أنه اسم لمدينة غير معروفة.[٥] وقد قرنت كتب اليونان اسم "عاد" باسم إرم، فهم يكتبونها أدراميت **"Adramitae"** ويؤيدون تسمية القرآن الكريم لها بعاد إرم ذات العماد.[٦] وقد

---

(١) هو گايوس پلينيوس سِكوندوس (٢٣ - ٧٩م)، اشتهر باسم پليني الأكبر، كتب الكثير من الأعمال التاريخية والفنية، من علماء الحضارة الرومانية، كانت كتاباته الجغرافية والتاريخية والطبيعية لها حيّز كبير في إثراء الثقافة الرومانيّة في تلك الحقبة. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org

(٢) هو رياضي وجغرافيّ وعالم فلك يُونانِيّ من أهل القرن الثاني للميلاد، (٨٧- ١٥٠ م) ، صاحِب كتاب المَجَسْطي، موقع ويكيبيديا.

(٣) محمد، محمد الفتحي بكير، الجغرافيا التاريخية: دراسة أصولية تطبيقية، د.م، دار المعرفة الجامعية، د.ط، ٢٠٠٠، ص٤١٥.

(٤) ينظر: النجار، زغلول، من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت، ج١، ص٢٢١.

(٥) النجار، من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم ،مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٦) ينظر: العقاد، عباس محمود، مطلع النور، القاهرة، هنداوي، د.ط، ٢٠١٢، ص٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصبحت كلمة إرم في مخيلة الأدباء والصوفية تستعمل كرمز للدلالة على الوصول إلى الحقيقة وإلى الصدق، وأنها مدينة حقيقية كائنة .[١]

ثالثاً: مساكن عاد في القرآن الكريم

نصّ القرآن الكريم على المكان الذي سكنه قوم عاد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ (الأحقاف:٢١). فما المقصود بالأحقاف، وأين تقع؟

الأحقاف جمع مفرده حُقف، والحقفُ: يدل على ميل الشيء وعوجه: يقال احقوقف الشيء، إذا مال، واحقوقف الرمل والهلال، أي اعوج، والحقفُ: المعوج من الرمل[٢]. والأحقاف هو: ما استطال من الرمل العظيم واعوج ولم يبلغ أن يكون جبلاً[٣]. والحقف بهذا المعنى موجود في أكثر من مكان في شبه الجزيرة العربية، فهي منطقة جغرافية واسعة تمتاز بالكثبان الرملية المتحركة، والتي تنتقل بفعل العواصف الرملية شديدة الهبوب.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(١) صحراوي: عبدالسلام، الرحلة إلى (إرم ذات العماد) المدينة المحجوبة: بين جبران ونسيب عريضة، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، مجلد(أ)، عدد٣٢، ٢٠٠٩، ص١٥٥- ١٧٠.

(٢) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج ٢، ص٩٠. والجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين ،ط٤، ١٩٨٧،ج٤، ص١٣٤٥.

(٣) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٥، ج٧، ص١٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر المفسرون أقوالاً في تحديد موقع الأحقاف، كالآتي:[١]

القول الأول : قاله ابن عباس والضحاك، الأحقاف جبل بالشام.[٢]

القول الثاني: قاله قتادة، الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر[٣] في اليمن.

القول الثالث: قاله ابن عباس، الأحقاف وادٍ بين عُمان ومهرة.[٤]

القول الرابع: قاله مجاهد، الأحقاف أرض من حِسمى.[٥]

القول الخامس: قاله ابن اسحاق، الأحقاف الرمل بين عُمان إلى حضرموت[٦] فاليمن كله. واختاره صاحب المنار، وابن عطية، والرازي.

ويظهر من معنى الأحقاف الذي اعتمدناه وهو "ما استطال وأعوج من الجبال الرملية"[٧] أن منطقة الأحقاف لا يمكن أن تكون في الشام كما في القول الأول والرابع؛ وذلك لخلوها من مثل هذه الجبال والكثبان الرملية المستطيلة والمعوجة، وفي الأقوال الثلاثة الأخرى يلاحظ أن فيها إجماع على أنها في جنوب

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج٢٢، ص١٢٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١٦، ص٢٠٤.

(٣) وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، الحموي، ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان ،بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج٣، ص ٣٢٧.

(٤) من بلاد اليمن، تلامس الحدود الغربية لسلطنة عمان، أما من ناحية الغرب فتحدها محافظة حضرموت ومن الناحية الشمالية الربع الخالي وجنوباً بحر العرب. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٥) حسمى (بكسر الحاء)، أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان...وهي أرض غليظة وماؤها كذلك لا خير فيها... ويقال آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هو أخبث ماء. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٨.

(٦) حضرموت ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف وبها قبر هود عليه السلام وبقربها بئر برهوت . ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ، صورة الأرض، بيروت، دار صادر، د.ط، ١٩٣٨هـ، ج١، ٣٨.

(٧) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج٥، ص٢٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجزيرة العربية، وإن اختلف في تحديدها، إلا أنها مناطق متقاربة ومتجاورة جغرافياً. فقد كانت ظفار ومهرة والشحر من مقاطعات بلدة حضرموت.[١]

أما المؤرخون المحدثون [٢]، فقد جعل البعض منهم الأحقاف "مساكن قوم عاد" في شمال الجزيرة العربية وليس في جنوبها.[٣] وقد جعل البعض الآخر منهم الأحقاف جزءاً من منطقة الدهناء، والدهناء: "مساحات من الأرضين تعلوها رمال حمر في الغالب، تمتد من النفود في الشمال إلى حضرموت ومهرة في الجنوب، واليمن في الغرب، وعمان في الشرق، وفيها سلاسل من التلال الرملية ذات ارتفاعات مختلفة، تنتقل في الغالب مع الرياح، وتغطي مساحات واسعة من الأرض، ويمكن العثور على المياه في قيعانها إذا حفرت فيها الآبار، أما الأقسام الجنوبية من الدهناء فيسميها الجغرافيون المحدثون بالربع الخالي"[٤].

والربع الخالي: ثاني أكبر صحراء في العالم، وتحتل الثلث الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، ويتجزء الربع الخالي حالياً بين أربع دول هي السعودية واليمن وعمان والإمارات، ويقع الجزء الأعظم منه داخل الأراضي السعودية، وترتفع فيها كثبان رملية ثلاث مائة متر وتتحرك باستمرار جاعلة الربع الخالي منعدم المعالم الثابتة. ينظر في الملحق خريطة رقم[٢]

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(١) البلادي الحربي، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة، دار مكة، ط١، ١٩٨٢، ص١٠١.

(٢) يدّعي الباحث المصري محمد سمير عطا في كتابه الفراعنة لصوص حضارة، بأن الفراعنة ليسوا بناة الأهرام الحقيقيين، ويعتقد أن بناتها هم قوم عاد الذين شيدوا عمادا، ووفقا لذلك فإن قوم عاد كانوا يسكنون منطقة خارج شبه الجزيرة العربية، في بلاد مصر، وقد اعتمد على دلائل قرآنية وهندسية وتاريخية وجغرافية، قال: إن البلد الذي كان يقطنه قوم عاد به ثلاث صفات، لا تجتمع إلا بمصر من دون كل دول العالم، وهي: وجود الكثبان الرملية، ووجود وادي نهري، ووجود آثار عملاقة فريدة. ويُردُ عليه بأن هذه الصفات وجدت كذلك في المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وكشف التنقيب الأثري تحت الكثبان الرملية عن أودية وممرات، وعن بعض الأعمدة الأثرية، والتي ما زال التنقيب الأثري يبحث وينقب. ينظر: قوم عاد هم بناة الأهرام الحقيقيون. موقع المكتبة الشاملة.

(٣) مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: في بلاد العرب، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٧.

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.م، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١، ج١، ص١٥٠، (بتصرف).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أكد الكشف التاريخي الحديث أن الأحقاف هي: جزء من جنوب شرقي الربع الخالي بين حضرموت جنوباً، ومعظم الربع الخالي شمالاً، وعُمان شرقاً.[١] وتم هذا الكشف بواسطة العديد من التقنيات العلمية الحديثة مثل: تقنية الاستشعار عن بعد، وصور الأقمار الصناعية وغيرها.

أظهرت صور الأقمار الصناعية في المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وجود ممرات قوافل وخطوط تجارية، تتقاطع في نقطة واحدة بين الكثبان الرملية التي يصل ارتفاعها إلى (200)م في جنوب غرب سلطنة عُمان.[٢] ينظر في الملحق صورة رقم[٣]

وقد تطابقت صور الأقمار الصناعية التي أظهرت المسارات والطرق القديمة - في منطقة ما بين اليمن وعمان تسمى "الشيصار"- مع الخرائط الرومانية القديمة، والسجلات التاريخية التي جمعها الرحالة "توماس" في تتبعه لآثار المدينة عن طريق أخبار البدو وذلك عام (1932)م، في كتابه "أرابيا فليكس".[٣]

وعلى إثر ذلك تشكل فريق من الباحثين والمنقبين برئاسة "رونالد بلوم"، و "إيلاتشي" في سنة (1990)م للكشف عن مدينة عاد. وقد رافق الفريق "قائد ديني إسلامي من إحدى المدن"، وفي سنة (1991)م بدأت عمليات الحفر في منطقة الشيصار للكشف عن الآثار التي حددتها الصور الفضائية. وخلال ذلك تم الكشف عن قلعة ثمانية الأضلاع، سميكة الجدران، وأبراج متعددة منحوتة بشكل مدهش، وقطع فخار تعود إلى سنة (2000) ق.م. وشبكة من غرف التخزين.[٤]

---

(١) النجار، من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ج١، ص٢١٩.

(٢) الباز: فاروق، علم الآثار في عصر الفضاء، مجلة العلوم، د.م، مجلد١٤، ١٩٨٨.

http://www.oloommagazine.com

(٣) ينظر: هارون يحيى، الأمم البائدة، ص٧٥.

(٤) Aspaturlan; hoidi,Ubar, California institute of technology, volume 26,no 2, 1992.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن الكشف عن أبراج ذات أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى (٩) أمتار وقطرها إلى (٣) أمتار،[١] يعدُّ مصداقاً لقوله تعالى عن مدينة عاد: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ (الفجر: ٧- ٨). وذات العماد أي ذات الطول، وهذا الوصف لقبيلة عاد قد يكون عائداً على القوم أنفسهم؛ فقد كانوا أصحاب قامات طويلة شبهت بالأعمدة، وفي الحديث الشريف ما يصدق ذلك، عن النبي -ﷺ- قال: (**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا... فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن**).[٢] وقد يكون هذا الوصف عائداً على مساكنهم؛ فقد كانت بيوتهم ترفع بالأعمدة الطويلة، ولا تعارض بين القولين.

المطلب الثاني : حضارة ثمود (قوم صالح عليه السلام)

أولاً: مقومات حضارة ثمود

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:٧٤).

وقال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (الشعراء: ١٤٦- ١٥٠).

(١) النجار، من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٣.

(٢) تم تخريجه في ص ٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر:٨٢)، وقال تعالى: ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ (الفجر:٩).

يبدو من الآيات الكريمة السابقة أن الله تعالى مكّن لقوم ثمود في الأرض فبنوا وشيدوا حضارة زاهرة ومتميزة عن غيرها من الحضارات بطابع خاص بها، وهذا يرجع إلى ما امتلكوه من مقومات حضارية ساعدت على قيام حضارتهم ونموها، إذ تتمثل المقومات الحضارية لقوم ثمود بالآتي:

١. **المقوم الجغرافي**: ويبدو واضحاً من حيث طبيعة المكان الذي يعيشون فيه، فقد كانوا يتخيرون المواضع في العمران لأسباب بيئية ومناخية، أثبتت مهارتهم وحذقهم وجدارتهم في ذلك، فقد كانوا يبنون القصور العالية المشيدة في الأراضي السهلة وينحتون البيوت والمنازل من الجبال الصلبة؛ وذلك أنهم "كانوا يسكنون الجبال في الشتاء لما في البيوت المنحوتة فيها من القوة التي لا تؤثر فيها الأمطار والعواصف، ويسكنون السهول في سائر الفصول لأجل الزراعة والعمل"[١]

ويشير قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر:٨٢). إلى كون الجبال مصدر أمن وأمان لقوم ثمود، فنحتوا من الجبال قصوراً وحصوناً تمنعهم من غدر الأعداء؛ ولذا "سميت ديارهم بالحِجر؛ لأنها تحجرهم عن أي عدو ينالهم".[٢]

(١) رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، ج٨، ص٤٤٨.

(٢) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج٧، ص٢٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتميز العمران الثمودي كذلك بنحت النقوش المزينة على الأبنية، والنحت: أسلوب من أساليب العمران امتازت حضارتهم به[١]، قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ (الشعراء:١٤٩). والنحت بمعنى: النشر، والبري، والقشر. ونجَرَ الشيء الصلب أي تسويته بحديدة، ونحت الجبل ينحته أي قطعه[٢]. والنحت اليوم علم قائم بذاته له أدواته وقواعده، وهذا يعني أنه لا يمكن تشكيل الصخور ونحتها بالحفر اليدوي فقط، مما يعني أن الحضارة الثمودية وصلت إلى درجة كبيرة من المعرفة بفنون الصناعة والتقنيات المتطورة المعروفة اليوم بهندسة البناء وفن النحت، وهذا ما أكده الكشف الأثري الحديث، إذ عثر على أعمدة وواجهات قصور مزدانة بأدق النقوش والزخارف. ومما يدل ويثبت أن قوم ثمود كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً، العثور على نقش **(ح ت)**، وتحليله كالآتي: فعل ماض على وزن فعل، بمعنى "نحت، رسم".[٣]

٢. **المقوم الاقتصادي**: فقد تميزت ثمود بازدهار اقتصادها، إذ كانت تعتمد على الزراعة كمقوم أساسي في حياتها الاقتصادية. فقد اعتنى الثموديون بالزراعة عنايةً كبيرةً، قال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ (الشعراء: ١٤٦- ١٤٨). إذ كانت أرض ثمود كثيرة البساتين والماء والنخل[٤]. توحي كلمة "جنات" بوجود مساحات زراعية ممتدة، شملت مختلف أنواع الزروع والثمار ما يؤكل منها وما لا يؤكل ومختلفة الألوان. وهذا يدل

---

(١) وقد قيل بأن أول من نحت الجبال والصور والرخام: ثمود. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٢٠، ص٤٨.

(٢) ينظر: مختار الصحاح، مرجع سابق، باب النون، ج١، ص٦٨٨، وابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، باب نحت، ج٢، ص٩٧.

(٣) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، نقوش ثمودية من سكاكا: قاع فريحة، والطوير، والقدير، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، ٢٠٠٢، ص٦٠.

(٤) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج٨، ص١٨١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على نوع من الرخاء المادي الذي وصل له قوم ثمود؛ وذلك بسبب جودة التربة والمناخ الجيد.

ومن ثم جاء بتفصيل نوع من هذه الجنات والزروع التي تميزت به البيئة الثمودية، وهو النخل الذي يمتاز بأن طلعه لين وناضج، قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قال ونخل بعد قوله: في جنات، والجنة تتناول النخل أول شيء... قلتُ: فيه وجهان: أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر، تنبيهاً على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات: غيرها من الشجر، لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل"[١].

وتعدُ زراعة النخيل من أهم موارد الثروة الاقتصادية في معظم أرجاء الجزيرة العربية، إذ إنه من المنتجات التجارية المهمة، وهو عامل قوي في دفع الاقتصاد الثمودي. وتُظهر النقوش الثمودية أهمية الزراعة بالنسبة إليهم، فقد وجد نقش يصور عملية حرث الأرض، وهو عمل كثيراً ما تتحدث عنه النقوش، "فهناك رسم لمنظر زراعي عبارة عن رجل مع محراث يجره حيوانان ... وورت كلمات تدل على العمل بالزراعة ،مثل (اكار) بمعنى فلاح ،وكلمة (عيان) بمعنى سكة المحراث و (زرأ) بمعنى بذر"[٢].

ومن النقوش التي عُثر عليها ،النقش رقم (٢٨) وهو (**ل هـ ل م و ز ب ل**) ، وتحليله في علم النقوش كالآتي: بواسطة هلم (الذي) زبَلَ (سَمَدَ الأرض)، وهو من النقوش الثمودية القليلة، التي تدل على امتهان قبائل ثمود للزراعة، وهو ما يعني أن بعضها كان مستقرا ومتمدناً.[٣]

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مرجع سابق، ج٣، ص٣٢٨.

(٢) الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ط١، ١٩٨٧، ص١٤٠، ١٤١.

(٣) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، نقوش ثمودية من سكاكا: قاع فريحة، والطوير، والقدير، مرجع سابق، ص٤٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. **المقوم الاجتماعي**: ويتمثل في حياة الثموديين أنهم كانوا منعّمين ومترفين وذلك بما أمدهم الله من النعم الوفيرة، قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ (الشعراء:١٤٩)، فبناؤهم للقصور المزينة والبيوت المزخرفة يدل على أنهم وصلوا إلى درجة كبيرة من الاستقرار والرخاء المادي والترف والبذخ. وهذا يشعرنا بأن المجتمع الثمودي قائم على نظام طبقي ضمَّ أحراراً وعبيداً، ومصداق ذلك نجده في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٧٥-٧٦)

ويدل على ذلك وجود بعض النقوش التي تسمي صاحب السلطة بـ(مرأ) أي الأمير والسيد، وكذلك مجيء الفظ (القن) بمعنى العبد ولفظ (القنت) بمعنى الأمة والعبده.[١]

ثانياً: ثمود مثبتةٌ تاريخياً

ورد ذكر ثمود في المصادر القديمة، وهذا ينفي ما ادعاه البعض من المستشرقين من أن قصة ثمود قصة أسطورية خرافية لا أصل لها، كما ادعى "بيتر كرو" في كتابه عندما سرد قصة ثمود مع نبيهم صالح -عليه السلام- ،فقال: "وهكذا ولدت أسطورة ثمود".[٢]

ومن المصادر الموثوقة التي جاء ذكر للثموديين فيها، ما ورد في كتابات الملوك الآشوريين، ومنه نقش للملك الآشوري "سرجون الثاني"[٣]، إذ سجل فيه

---

(١) ينظر: الروسان، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٢) كرو بيتر، رحلة إلى مدائن صالح، ترجمة: محمد زياد كبة، الرياض، دار الملك عبد العزيز، د.ط، ١٤٣٤هـ ، ص١٤.

(٣) ملك أشور من ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتصاراته على "قبائل ثمودي، وابابديدي، ومرسمان، ثم أخذ من بقي منهم حياً وأجلاهم من مواطنهم إلى السامرة".[١]

كما أنه تم العثور على نقوش ثمودية جاءت من شمال شبه الجزيرة العربية، من تبوك وتيماء والعلا ومدائن صالح... ومن وسط الجزيرة العربية وجنوبها كذلك.[٢] ورد في النقوش الثمودية اسم ثمود ليدل على اسم قوم أو شعب، ومن هذه النقوش (احسدت هثمد)، (احساده الثمودي)، ونقش (ست هثمد)(سيده ثمود).([٣])

ومما يدلل كذلك على وجودهم وصف بطليموس الإسكندري في جغرافيته، حيث جعل مساكنهم في الجزء الشمالي الغربي لبلاد العرب، وأعالي الحجاز في هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية التي توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن.[٤]

ومن أهم الوثائق الثابتة التي تؤكد وجود قوم ثمود في الحجر، ما ورد في صحيح البخاري من أن رسول الله-ﷺ- **(لما نزل الحجر في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء)**[٥].

ثالثاً: تحديد موقع ثمود

أشار القرآن الكريم إلى مساكن قوم ثمود، وأنها كانت في واد من منطقة الحِجر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الحجر:٨٠). وقال تعالى: ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ (الفجر:٩). فأين تقع مساكنهم؟

---

(١) الروسان، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص٤.

(٢) مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(٣) الروسان، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص٨.

(٤) مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٥.

(٥) البخاري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب: قول الله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحا)، ج٤، ص١٨١، رقم٣٣٧٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحجر في اللغة مطلق المنع والإحاطة على الشيء، فمن أحاط على شيء فقد منع الآخرين من الولوج إليه، نقول: حوطت المزرعة إذا جعلت حولها السياج لمنع الدخول إليها، ويقال حجَرَ الحاكم على السفيه حجراً؛ وذلك منعه إياه من التصرف في ماله. والعقل يسمى حجراً لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي... والحجر: الحرام. وكان الرجل يلقى الرجل يخافه في الأشهر الحرم، فيقول: حجرا؛ أي حراماً...[١]

ووجه تسمية مسكنهم بالحجر يكون من المنع وإحاطتها بالحجارة، ولمناسبة كون تلك الأراضي محدودة بالجبال وحافظة. ويقصد بالواد، في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾، وادي القرى، جاء في تفسير الطبري، أن منازل قوم ثمود "كانت الحجر إلى قرح، وهو وادي القرى، وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام"[٢].

ومن المتعارف عليه أن الوادي يكون بين جبلين، وغالباً ما يكون الواد ضيقاً، إلا أن الناظر لوادي القرى يرى مدى اتساع الواد، إذ إنه وادٍ يحتوي على سهول، وفي هذه السهول بنيت القصور، قال تعالى:﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾(الأعراف:٧٤).

ونجد في الآيات الكريمة السابقة إشارة قرآنية إلى امتداد مساكن قوم ثمود، لتشمل مساحات واسعة ما بين المدينة وتبوك، والتي كانت مركزها منطقة الحجر، ويؤيد ذلك "ما كشفت عن الحفريات الأثرية عن كتابات حجرية وصور ثمودية ومخطوطات في جبل أثلب وفي وسط الجزيرة العربية"[٣]

---

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، باب حجر، ج٢، ص١٣٩.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١٢، ص٥٢٧. والقرح :سوق في وادي القرى.

(٣) هارون يحيى، الأمم البائدة، مرجع سابق، ص٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقوال المفسرين في تحديد موقع الحجر

ذكر المفسرون أقوالاً في تحديد موقع أصحاب الحجر، وهي كالآتي:

القول الأول: أرض بين الحجاز والشام، عند وادي القرى.[١]

القول الثاني: أرض بين المدينة والشام.[٢]

القول الثالث: أرض ما بين مكة وتبوك.[٣]

القول الرابع: أنه في أرض الحجاز.[٤]

القول الخامس: أرض ما بين المدينة وتبوك.[٥]

يلاحظ من الأقوال السابقة أنها تجمع على أن منطقة الحجر تقع في شمال شبه الجزيرة العربية. وأن بين الأقوال تقارب وعموم وخصوص، وأقرب الأقوال هو القول الأخير، كما أكد عليه الكشف التاريخي الحديث.

الكشف التاريخي الحديث

أكد الكشف التاريخي الحديث وقوع مساكن ثمود في منطقة الحجر شمال محافظة العلا، جنوب شرق أرض مَدين، على الطريق القديم بين المدينة المنورة ومدينة تبوك.[٦]

ينظر في الملحق خريطة رقم[٤]

يتفق المعنى اللغوي لـ **الحِجر** مع ما تم اكتشافه في منطقة مدائن صالح، المعروفة بالحجر، حيث عُثر على مجموعة كبيرة من الواجهات الصخرية المنحوتة في الصخر، قال تعالى :﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴾ ، والجوب من :جاب يجوب

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١٢، ص٥٢٤. وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٣، ص٤٣٩. وينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، ج٨، ص٤٤٦. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ج٥، ص٩٠.

(٢) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج٤، ص٣٨٩. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٣، ص٥٨.

(٣) قاله قتادة، ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١٠، ص٤٦،

(٤) ينظر: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٩٤.

(٥) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ج٣، ص٣٧٢ .

(٦) ينظر: أبو خليل، شوقي، أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط٨، ٢٠٠٧، ص٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جوباً، والجوب من القطع وخرق الشيء[1]، بمعنى تجويف الشيء أي نحته، فقد كان قوم ثمود ينحتون من الصخور الكبيرة القصور والمساكن والمقابر، وقد أبدعوا في تزيينها وزخرفتها من نقوش ورسوم. قال زغلول النجار: "تؤكد الدراسات الأثرية أن منطقة الحجر، تكونت من جبال مفرغة من الداخل تفريغاً هندسياً رائعاً يجعل منها السكن والستر والحصن والوقاية ومناطق الدفاع عن المدينة...، وكذلك تؤكد هذه الدراسات وتميز بين النحت في الجبال والنحت في الكتل الصخرية المجلوبة إلى بطن الوادي...".[2]

وهنا يتبادر سؤال وهو: كيف جلبت القطع الصخرية الهائلة الحجم إلى بطن الوادي؟؟

تشير آيات القرآن الكريم إلى أن قوم ثمود نحتوا السلاسل الجبلية، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:٧٤). وقال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ (الشعراء:١٤٦-١٤٩).

ويلحظ أن في الآية الأولى قال: (وتنحتون الجبال بيوتا)، وفي الآية الثانية قال: (وتنحتون من الجبال بيوتا)، و "من" تبعيضيه أي بعض الجبال لا كلها، وقد جاء في معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، أن "الأصل في هذا التركيب استعمال حرف الجر "من" الدالة على ابتداء الغاية والتبعيض معاً، أما آية الأعراف فقد تقدم فيها حرف الجر (من سهولها)، فاكتفى بذكرها في الموضع الأول؛ لتؤكد

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج١، ص٤٩١.

(2) النجار، من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على تمكينهم واستخلافهم في الأرض، وعبِّر عن ذلك بقدرتهم على نحت الجبال لا بعض الجبال"[1].

وحسب ما ينظر في الملحق صورة رقم [٥]، نجد أن جبلاً بأكمله نحت منه بيتاً واحداً، وأن عدة جبال "سلسلة الجبال المتصلة" نحتت منه عدة بيوت.

أخلص إلى أن: القرآن الكريم وصف الحضارتين - أقصد حضارة عاد وحضارة ثمود- وصفاً ميز فيه بين خصائص كلٍّ منهما وبين القدر المشترك بينهما كذلك. أما القدر المشترك فهو: يتمثل بالجانب الزراعي، وهذا ربما كان ذلك عائداً لطبيعة البيئة المناخية والجغرافية المتشابهة في كلتيهما، حيث التربة الخصبة والمناخ الملائم والمساحات الشاسعة والممتدة... وهذا يؤكد على أن شبه الجزيرة العربية كانت في الماضي بساتين وأنهارا، قال -ﷺ-: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)**[2]. والكشف عن حضارة عاد وحضارة ثمود في شبه الجزيرة العربية يؤكد على أنها كانت منطقة جذب للسكان، وأن طبيعتها الصحراوية هي حالة طارئة.

وأما الناحية العمرانية، فقد تميزت حضارة ثمود بضخامة العمران ومراعاة الجانب الترفي في تزيين القصور ونحت البيوت، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾، أما في حق قوم عاد، قال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾، نلاحظ من الآيتين أن النحت خاصٌ بقوم ثمود، والقرآن أكد على أن بيوتهم كلها منحوتة، في السهول وفي الجبال، بينما قوم عاد فبنوا بيوتهم بناءً. وهذا يدل على ارتقاء مادي وتطور حضاري كبير لقوم ثمود،

([1]) داود، محمد محمد، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، القاهرة، دار غريب، د.ط، ٢٠٠٨، ص٦٠٥.

([2]) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، باب: مسند أبي هريرة، ج٢، ص٣٧٠، رقم ٨٨١٩، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذ إنهم وصلوا إلى مرحلة متقدمة من الترف، قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾(الشعراء:١٤٩).

وإن الآثار والنقوش تميز حضارة ثمود عن حضارة عاد في هذا الجانب، حيثُ تم الكشف عن العديد من البيوت والقصور المزينة والمزخرفة التي وجدت في مدينة الحجر، بينما حضارة عاد وإن تم إثبات وجودها التاريخي وتم الكشف عن موقعها الجغرافي، إلا أن الكشف لم يظهر لنا مدينة مكونة من دور وقصور واضحة المعالم كما هو الحال في العمران الثمودي، وهذا يصدقه قوله تعالى في حق قوم عاد: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ (الحاقة: ٨). إذ إن الله أهلكهم بعاصفة رملية طمرت المدينة وآثارها، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾(الحاقة:٦). بينما قال في حق قوم ثمود:﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾(النمل:٥٢).

المبحث الثالث: دور المكتشفات الأثرية في السنن الإلهية في الأمم السابقة بين المفسرين والكشف التاريخي الحديث

يأتي هذا المبحث ليكشف عن دور المكتشفات الأثرية والعلمية الحديثة في تحديد مكان وقوع سنة الله في الأمم السابقة، وفيه تمهيد ومطلبان: يأتي التمهيد بياناً لمفهوم السنن الإلهية وخصائصها وعوامل وقوعها، بينما يتناول المطلب الأول: سنة الله في قوم نوح -عليه السلام-، ويتناول المطلب الثاني: سنة الله في قوم لوط عليه السلام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد: مفهوم السنن الإلهية وخصائصها وعوامل وقوعها

تقسم السنن الإلهية إلى جانبين: جانب مادي يتعلق بالكون، يسمى بالسنن الكونية. وجانب معنوي أو روحي يسمى بالسنن الإنسانية.[١] وهي عبارة عن: "القوانين المنتزعة من حركة وفعل الإنسان في الطبيعة.[٢]

أما خصائصها فتتمثل بالآتي:

١) الثبات والاطراد: ويعنى بها أن هذه السنن سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتأثر بعوامل الزمان والمكان، ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ (الأحزاب:٦٢).ولثبات هذه السنن حكمة واضحة؛ فبثباتها تثبت النفس وتطمئن ويحيطها الاستقرار الذي يكون توطئة لمعرفة ما لكل امرئ وما عليه فيعتبر المبصر ويحذر المخطئ، فيسخرها للاستفادة منها[٣].وفي هذا يقول ابن تيمية: "ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها".[٤]

٢) الشمول والعموم: ذلك أنها لا تحابي ولا تميز أمة على أمة لأي سبب كان، قال تعالى:﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ (النساء: ١٢٣).

---

(١) ينظر: الشريف، عبدالسلام بن نصر الله، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم ، الرياض، دار المعراج الدولية، ط١، ١٩٩٤، ص٥.

(٢) الركابي، إياد بن إبراهيم، السنن التاريخية في القرآن المجيد، بيروت، د.ن، ط١، ١٩٩٦، ص١٠.

(٣) ينظر: المغربي: أيمن بن نبيه بن غنام، السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم: جمعاً ودراسة ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٨هـ، ص٣٥.

(٤) ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار العطاء، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣) أنها خاصة بالأمم والمجتمعات لا الأفراد، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الإسراء:٥٨). فنهايات الأفراد وعقوبات الله لهم مختلفة وليس لها شيء محدد مطرد؛ وذلك لأن حياة الأفراد قصيرة قياساً إلى حياة الأمم. أما نهايات الأمم فلها سنة ثابتة [١]. قال صاحب المنار: "وما كل فرد يعاقب على ذنوبه في الدنيا، ولكن كل أمة تعاقب على ذنبها في الدنيا "[٢].

٤) أنها تعمل مجتمعة لا متفرقة ذلك "أنه لا توجد سنة إلا ولها تداخل مع الأخرى، فسنن النصر مرتبطة بسنن التغيير، وسنن التغيير مقدمة لسنن النصر..."[٣]. ومن هنا فإننا نجد جواباً على السؤال الذي شغل أذهاننا: لماذا ازدهرت الحضارة الغربية على الرغم من أنها لم تقم على شيء من دعامة التبصرة القرآنية؟ والجواب على ذلك: أن الحضارة الغربية قامت على سنة أخرى من سنن الله وهي التي جعلتها فتية حتى وقتنا الحاضر، وهي سنة الأخذ بالأسباب، ومنها: القوة المادية، والعدل، واحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون، وهذه كلها كافية في النهوض والتقدم الحضاري.[٤]

ثانياً: عوامل قيام السنن الإنسانية

ويقصد بذلك الأسباب التي أدت إلى وقوع سنة الله في عقاب الأمم، وذلك بحسب ما عملوا واقترفوا، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(آل عمران:١٨٢). وإذا ما قامت سنن الله في حضارة ما فإن هذا يعني

---

(١) ينظر: الشريف ، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص٢٠.

(٢) رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، ج١٢، ص١٩٨.

(٣) شهوان: راشد سعيد. تأصيل علم السنن الربانية، مجلة القسم العربي، العدد: الخامس عشر، ٢٠٠٨، كلية أصول الدين الجامعية، عمان ،الاردن، جامعة البلقاء التطبيقية، ص٥٨.

(٤) ينظر: الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد ، مرجع سابق، ص٦١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانهيار والسقوط الحضاري لها، وهو "الانهيار الداخلي للمجتمعات وذهاب قوة الأمم وعزّتها وهوانها على الأمم الأخرى...وغياب تأثيرها المباشر في مسرح الحياة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي"[١]

من هنا تبين لنا أن الانهيار الحضاري في القرآن الكريم لحضارة ما، على نوعين: الأول: انهيار كلي (عقاب الاستئصال): وهو زوال وذهاب الحضارة كلها، بحيث يهلك أفرادها جميعاً بعذاب الله ولا يبقى منهم أحد، كما حدث لقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. والثاني: انهيار جزئي (عقاب دون الاستئصال): وهو العقاب الذي لا يؤدي إلى زوال الأمة، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴾ (الإسراء:٥٨).[٢]

تتعدد الأسباب التي تؤدي إلى وقوع سنة الله في عقاب الأمم من منظور القرآن الكريم إلى أسباب كثيرة، منها:

١) الكفر والشرك: ويُعد الكفر المعول الأول في هدم الحضارات وزوالها أو ضعفها، فكما أن الإيمان أساس الصلاح فالكفر أس الفساد، وهو تمرد على الفطرة الإنسانية التي جبل الإنسان عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠). فإن اتباع الدين والمنهج الذي أراده الله مع نبذ الكفر لهو ضمان واضح للمجتمعات البشرية وحضاراتها من الزوال والانهيار، وإن "بقاء المجتمعات واستمرار الحضارات منوط بمدى التزام الناس بدين الله

(١) هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط١، ١٩٩٦م، ص٢١٩.

(٢) ينظر: الشريف، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، مرجع سابق، .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشرعه. ولو أن أصحاب الحضارات البائدة والأمم الهالكة استجابوا لدعوة أنبيائهم، ما حل بهم الهلاك والدمار"[1].

٢) التكذيب: وهو من أكثر الاسباب الموجبة لوقوع سنة الله في البشر، وهو كذلك من أكثر الأسباب وروداً في القرآن الكريم. وقد جعل سبحانه سبب هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحج: ٤٢- ٤٤).

٣) الظلم: ويعرّف الظلم بأنه وضع الشيء في غير موضعه، وهو الميل عن القصد.[2] والظلم إنما هو من كسب الإنسان، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨٢).إذ إن "هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم، حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل"[3].

٤) المعاصي والفساد الاجتماعي: وتعدُ من أقوى أسباب عقاب الله للأمم وهلاكها وسقوط حضاراتها، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (آل عمران:١١). فالذنوب تهلك الأمم وتجعلها في دائرة السخط الرباني؛ إذ إن انتشار الفواحش والمعاصي والفجور بها، وعدم وجود من يردهم عن عصيانهم ويأخذ

---

(١) طهماز، عبدالحميد محمود، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٢، ص٩٤.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي ،التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ، باب: الظاء، ج١، ص١٨٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مرجع سابق، ج٣، ص٤٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على أيديهم وينهاهم عمّا يفعلوه، ظهر حينئذ ضرر المعصية إلى العامة والخاصة ولم يبق وبالها مقصوراً على مرتكبيها[1].

٥) الفساد الاقتصادي: ويعد من المظالم المنتشرة في واقعنا الذي نعيشه، فضياع الحقوق المالية وأكل الربا و أكل أموال الناس بالباطل هي من الأسباب الموجبة لإنزال سنة الله في الظالمين، قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ (النساء: ١٦٠-١٦١).

٦) الاستكبار وغرور القوة وهو على أنواع: أعظمه الاستكبار عن عبادة الله وادعاء الربوبية، كما قال فرعون: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات:٢٤). والاستكبار عن الانقياد لما جاء به الرسل، قال تعالى عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾(التغابن:٦). والاستكبار على سائر الخلق باحتقارهم والترفع عليهم ورفض اتباعهم، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧). إن الاستكبار والاعتداء على الناس بالبطش فيهم وطغيانهم واستبدادهم لهو مظهر من مظاهر الفساد السياسي؛ إذ إن مثل هذه القوة مآلها الضعف والانهيار، إذ القوة "مالم تهتد بهدي الإيمان بالله، فإنها تتحول إلى طغيان واستكبار يشقي الحضارة "[2].

---

(1) ينظر: هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، مرجع سابق، ص٢٦١.

(2) بدوي، مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم ،مرجع سابق، ص١٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: سنة الله في قوم نوح

أولاً : نوح -عليه السلام- وقومه في القرآن الكريم

جاء ذكر نوح -عليه السلام- وقصته مع قومه في القرآن الكريم في مواضع عدة، فقد جاء ذكره في سورة "الأعراف" وسورة "يونس" بإرساله إلى قومه ليدعوهم ويذكرهم بآيات الله، ولكنهم سرعان ما أعرضوا وتنكبوا للحق وكذبوه، فجاء الأمر الإلهي بصناعة السفينة لينجي الله نوحاً ومن آمن معه. وكذلك مجيء العقوبة وهي "الغرق" وإنزالها على المكذبين من قومه. وهذا يبدو واضحاً في كل من سورة: يونس، وهود، والأنبياء، والمؤمنون، والفرقان، والشعراء، والصافات والقمر. ونجد كذلك سورة بأكملها سردت قصة نوح كاملةً، و سميت باسمه -عليه السلام- وهي سورة نوح[1]؛ وهذا يرجع إلى أن نوح -عليه السلام- هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض بدلالة ما ورد في حديث الشفاعة. قال فيه -صلى الله عليه وسلم- عن نوح: (**ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**)[2]، وهو الأب الثاني للبشرية بعد آدم -عليه السلام- إذ منه انحدرت السلالات البشرية. وهو من أولي العزم من الرسل الذين جاهدوا وصبروا على أذى قومهم وتحملوا في سبيل إيصال الدعوة الكرب العظيم، قال تعالى عن نوح -عليه السلام-: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الأنبياء: ٧٦). وهو من رسل الميثاق الغليظ[3]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب:٧).

([1]) مكية وآياتها ثمان وعشرون، ترتيبها في المصحف ٧١.

([2]) البخاري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، باب: كتاب بدء الوحي، باب قول الله {وعلم آدم الأسماء كلها}، ج٦، ص٢١، رقم: ٤٤٧٦.

([3]) وهي المواثيق التي لا تنفصم عُراها ولا تُنقض عهودها . ينظر: عقيل، عقيل حسين، نوح من وحي القرآن، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ٢٠١١، ص١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من قيام نبي الله نوح -عليه السلام- بتبليغ الدعوة على أحسن وجه إلا أن قومه أصروا على عنادهم وكفرهم، فلمّا لم يحدث التغيير أو الإصلاح جاءت إرادته سبحانه وتعالى وسنته بإنزال العقاب عليهم، وذلك للأسباب الآتية:

١) **الكفر بالدعوة والشرك بالله:** وهذان السببان من الأسباب العقدية التي ينزل الله لأجلهما عقابه وهلاكه. قال تعالى عن كفرهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (هود: ٢٥ – ٢٧).

٢) **التكذيب:** تعددت صور التكذيب عند قوم نوح -عليه السلام- فهم كذبوا بآيات الله المرسلة إليهم، ولم يكتفوا بتكذيبه حتى رموه بالجنون، قال تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ (القمر:٩). ومن صور التكذيب كذلك الاستهزاء والسخرية بنبيهم نوح، قال تعالى عنهم: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ (هود: ٣٨).

والغالب أن المكذِب لا يترك وسيلة يمكن من خلالها الاستهزاء بالمكذَب إلا ويسلكها، فتجده يسخر منه ومن أفعاله وأقواله وأفكاره وممن يوافقه في مذهبه"[١].

(١) طهماز، أسباب هلاك الامم السالفة كما ودرت في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٣١٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣) **الفساد الاجتماعي**: والمتمثل بالطبقية، فمجتمع قوم نوح مجتمع طبقي يقوم على تفاضل طبقات أفراده، وهو مجتمع سيطرت عليه نزعة التعالي والتمييز.

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾(هود: ٢٧). ويتمثل المجتمع بـــ: طبقة الملأ وهم الذين يمثلون كبراء قوم نوح، وهم "الاشراف والقادة والرؤساء"، أو ممن يملؤون الأبصار بما عندهم من خدم وزينة وأعوان. ويقابل طبقة الملأ طبقة أخرى وصفوها بالأراذل ويعنون بهم من دون طبقة الأشراف والأكابر كالزراع والصناع والعمال، وهم الذين يقبلون الحق إذا فهموه لعدم استكبارهم عن اتباع غيرهم.

٤) **الاستكبار**: وقد كان قوم نوح مستكبرين متجاوزين الحدّ في الاستكبار، قال تعالى على لسان نوح -عليه السلام- عنهم: ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح: ٧). والإصرار هو العزم على تحقيق الشيء، ثم تكبروا على غيرهم من الرسل وسائر الخلق، فرفض القوم دعوة نوح ورفضوا كذلك اتباع الملأ ممن آمن مع نوح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتهاء معاناة نوح -عليه السلام- مع قومه

وبعدما لبث نوح في قومه﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت:١٤). وقيامه بأداء الدعوة بأمانة وإخلاص لله عزّ وجل لعلهم يؤمنون فينجون من عذابه، وإصرارهم بالمقابل على رفض دعوته، ولما يئس منهم. أوحى الله سبحانه بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، قال تعالى:﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (هود:٣٦)، هنالك دعا نوح ربه على قومه بالهلاك: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦). فجاء العقاب الإلهي بإغراق الكافرين من قومه، وكان العقاب بالطوفان؛ لذلك أمر سبحانه وتعالى نوحاً -عليه السلام- بصنع السفينة: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (هود: ٣٧). فتم صنع السفينة لأول مرة بوحي من الله.

ثانياً: سنة الله في إهلاك قوم نوح

وقعت سنة الله ومشيئته في إهلاك قوم نوح بعدما تكاتفت الأسباب والعوامل الموجبة لإهلاك الأمم وزوال حضاراتها، فكان عقاب قوم نوح الغرق. قال سبحانه: ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (نوح:٢٥)وقال:﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود:٤٠).وأمر الله هو: "العذاب الموعد به".[1] وفوران الماء من التنور هو علامة بين نوح -عليه السلام- وربه، وهي أنه إذا ما فار التنور فعَلَى نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين.

([1]) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج١٧، ص١٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حادثة الطوفان

كان قوم نوح يسكنون أرض العراق، تحديداً في منطقة بلاد الرافدين، بين نهري دجلة والفرات، والتي تميزت في بيئتها الجغرافية في شدة الحرارة صيفاً، وكثيرة سقوط الأمطار شتاءً مصاحبةً حدوث الفيضانات المدمرة. وتتشكل "الفيضانات عند هطول الأمطار على الحوض بشكل مستمر ودائم خلال فترة طويلة، حيث تكون شدة المطر قليلة جداً إلا أنه ينتج عن ذلك تشبع التربة وبدء الجريان في الأودية الموسمية... وكذلك فإن هطول الأمطار بشدة كبيرة عبر فترة زمنية قصيرة ... بدرجة لا تتمكن التربة استيعاب الكثير منها... يزداد شيئاً فشيئاً حتى تصبح المياه متدفقة على شكل فيضانات..."[1]. وهذا فعلياً ما أدى إلى الفيضان المعروف بطوفان قوم نوح. وإن هذا الطوفان تشكل من حركتين متعاكستين للماء: من الأعلى إلى الأسفل ويتمثل في الماء المنهمر من السماء الغاضبة. ومن الأسفل إلى الأعلى ويتمثل في تفجر العيون من الأرض الثائرة. قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾(القمر: ١١ – ١٢). ويبدو أن فوران التنور صاحبه زلزال عنيف قام بدفع تيارات الماء إلى ارتفاعات هائلة تتمثل بحركة السفينة، وهو ما نفهمه من قوله تعالى:﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾(هود: ٤٢).

والموج جمعها أمواج: وهو ما ارتفع من جملة الماء الكثير "أي تجري في أثناء موج يشبه الجبال في علوه وارتفاعه وامتداده، وهو ما يحدث في ظاهر البحر عند اضطرابه من التموج والارتفاع بفعل الرياح"[2]

([1]) النصيرات، إبراهيم حسن شحادة، ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم، الأردن، فتحي نصيرات، ط١، ١٩٨٠، ص١٩٢.

([2]) رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، ج١٢، ص٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كشفت الحفريات الأثرية أن الطوفان كارثة محلية وليس كارثة عالمية أصاب منطقة معينة وهي منطقة وادي الرافدين، وما حولها من المدن التي تعرضت للطوفان، وهي: مدينة أور[١]، إيريك (تل الورقة)، كيش[٢] وشورباك[٣]. ينظر في الملحق رقم [٧]

وفي منطقة أور حفر "ليونارد وولي" بعمق يتجاوز(2.5)م، حيث "عُثر على الآت وأدوات مصنوعة من حجر الصوان تعود إلى أصحاب العصر الحجري الأخير. وبعد إتمام عملية تنظيف الطين تبين وجود مدينة مدفونة في الأعماق، كما أن التحليلات المجهرية أشارت إلى وجود طبقة سميكة من الصلصال النقي التي حُملت مع مياه الطوفان، وهذه الطبقة لا يوجد مثلها في العالم إلا تحت سهول وادي الرافدين"[٤] وهذا يؤكد على أن الطوفان كان بالماء العذب.

وأظهرت الحفريات في مدينة شورباك، ميلاد مدينة قبل (3000-2000) سنة ق.م، حيث وجد آثار لهذه المدينة تحت طبقات مختلفة من الحفريات، وكان أكثر المكتشفات وضوحاً أنقاض منازل مبنية بشكل متين مع ألواح سومرية تحمل سجلات إدارية تشير إلى مجتمع متطور جداً. وعثر كذلك في مدينة كيش و إيريك على آثار تظهر فيها طبقة من طين الطوفان.[٥]

ثم جاء الأمر الإلهي بإنهاء الطوفان، وذلك بحدوث ثلاثة متغيرات، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ (هود:٤٤). فأمر الله السماء أن تمسك الماء، وأمر الأرض بابتلاع الماء ونقُص الماء بتشبع التربة له،

(١) أور : مدينة ومملكة سومرية قديمة، تقع خرائبها اليوم عند تل المقيّر في العراق إلى الغرب من المجرى الأسفل لنهر الفرات في منطقة صحراوية بالقرب من موقع العُبيد المشهور. موقوع الموسوعة العربية، https://www.arab-ency.com

(٢) وهي المعروفة الآن بتل الأحيمر هي منطقة أثرية في العراق كانت في السابق احدى المدن الرئيسية للسومريين. موقع ويكيبيديا.

(٣) مدينة سومرية مطلة على نهر الفرات تسمى حاليا بتل فارا ، موقع ويكيبيديا.

(٤) هارون يحيى، الأمم البائدة، ترجمة: ميسون نحلاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٩-٣٠،(بتصرف).

(٥) هارون يحيى، الأمم البائدة، مرجع سابق، ص٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد ذلك استقرت السفينة على جبل الجودي، وبدأ هبوط أهل السفينة إلى الأرض، قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ (هود: ٤٨).

ثالثاً: رسو سفينة نوح -عليه السلام-

استوت سفينة نوح-عليه السلام-على جبل الجودي بصريح لفظ القرآن، قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾ (هود: ٤٤). والجودي اسم يدل على مكانٍ مبهم، لم يقطع القرآن الكريم في تعيينه. وللمبهم طرق ثلاث يُعرف بها: إما عن طريق القرآن الكريم، أو عن طريق السنة النبوية الصحيحة، أو عن طريق أثر صحيح من أقوال الصحابة والتابعين.

وهذه الطرق لم توضح وتبين المبهم هنا وهو الجودي. والبحث في تحديد مكان الجودي من الغيب المرحلي أي يمكن معرفته بتقدم الأزمان وتطور العلوم والمعارف، فإن الدراسات العلمية الحديثة توضح المعنى القرآني وتبرزه. ومن هنا فإنه يمكن القول بأن هناك طريقٌ رابع في تعيين المبهم وهو ما تعين من الحقائق العلمية القاطعة، وما توصل إليه الكشف التاريخي الحديث من مكتشفات أثرية لا شك فيها.

خاض المفسرون في تعيين جبل الجودي في محاولة منهم لبيان هذا المكان المبهم، واختلفوا في تحديد جبل الجودي على أقوال ثمانية، وهي كالآتي:

- **القول الأول** : أنه اسم لكل جبل. ذكره القرطبي[١]
- **القول الثاني** : أنه من جبال الجنة. ذكره القرطبي[٢]
- **القول الثالث** : أنه الطور. ذكره ابن كثير[٣]
- **القول الرابع** : أنه بناحية الموصل. روي عن الضحاك[٤]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٩، ص٤٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٩، ص٤٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٤، ص٣٢٤.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **القول الخامس**: أنه بأرض الجزيرة.[١] روي عن مجاهد وسفيان[٢]
- **القول السادس**: أنه بباقردى.[٣] روي عن قتادة[٤]
- **القول السابع**: أنه بناحية نصيبين.[٥] روي عن الفراء[٦]
- **القول الثامن:** أنه بناحية آمد.[٧] روي عن الزجاج[٨]

وكما هو ملحوظ، فالأقوال الثلاثة الأولى مرجوحة. وأما الأقوال الأخرى فإنه لا تعارض بينها؛ فأقوالهم تلك هي لأماكن متقاربة. فهي كلها من أرض الجزيرة فبلدة نصيبين وآمد و باقردى من بلاد الجزيرة المعروفة بجزيرة ابن عمر، وأرض الجزيرة هذه تقع فوق الموصل. ورد في معجم البلدان أن الجودي "جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب الماء"[٩].

والسؤال هنا: كيف حدد الكشف الأثري مكان الجودي ؟

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(١) المقصود بها جزيرة ابن عمر ، بلدة فوق الموصل، تشتمل على ديار بكر، وهي ما بين دجلة والفرات وكلها تسمى بالجزيرة، تدور دجلة حولها كالهلال. ينظر: الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٨.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٣٧.

(٣) قردى بالفتح ثم السكون ثم دال مهملة والقصر قردى وبازبدى قريتان قريبتان من جبل الجودي بالجزيرة وبقربها قرية الثمانين قرب جزيرة ابن عمر. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٤، ص ٣٢٢.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج٢٢، ص٥٨٢.

(٥) من بلاد الجزيرة بقرب سنجار وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٥، ص٢٨٨، ج٢، ص٤٣٢.

(٦) السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس، الرياض، دار الوطن، د.ط، ١٩٩٧م،

(٧) أعظم مدن ديار بكر وهي مدينة حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة على نشز من الأرض، ودجلة محيطة بها من جوانبها إلا من جهة واحدة على شكل الهلال. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج١، ص٥٦.

(٨) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ج٣، ص١٧٦.

(٩) الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: النظريات والأقوال في مكان رسو سفينة نوح -عليه السلام-

١) رست السفينة فوق جبال أراراط

ترى التوراة أن سفينة نوح-عليه السلام- استقرت على جبال أراراط ، جاء في سفر التكوين أن الفلك "استقر فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ"[١]. ويلاحظ أن الصيغة التي جاء النص بها هي صيغة الجمع "جبال أراراط". ومن المعلوم أنه ليس هناك جبال أراراط في شمال تركيا، إنما هو جبل أرارات واحد له قمتان "أراراط الكبير و أراراط الصغير".[٢]

وقد أثارت النصوص الدينية، وأسفار الكتاب المقدس همم الباحثين والمستكشفين وعلماء الآثار للبحث عن تأييدات تدعم نصوص التوراة في رسو سفينة نوح -عليه السلام- فوق جبال أراراط.

فخرجت استكشافات وفرق علمية وبحثية إلى جبال أراراط بحثاً عن بقايا سفينة نوح. وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها المستكشفون للعثور على مرسى سفينة نوح -عليه السلام- فوق جبل أراراط إلا إنها باءت بالفشل.

يعد "باروت" أول من تسلق جبل أرارات باحثاً عن السفينة عام(1928)م ،ولكنه لم يعثر على أي أثر منها، واقترح "باروت" أن السفينة قد تكون تحت طبقات الجليد في قمة الجبل.[٣]

وهنا يتقدم سؤال، وهو: هل وجدت آثار لسفينة نوح -عليه السلام- تحت ركام الجليد في قمة الجبل؟ أعلن المؤرخ "جيمس برايس" أنه وجد قطعة من الخشب في قمة الجبل، ويصرح موقع "البحث عن سفينة نوح" أن لدى جيمس فكرة خاصة حول وصول تلك القطعة الخشبية إلى الجبل[٤]. وكأنه يريد أن يشير إلى التدليس والتزوير العلمي في وضع القطعة الخشبية على قمة جبل أرارات. وقد

---

(١) .....، الكتاب المقدس: العهد العتيق، بيروت، دار المشرق، د.ط، ١٩٨٦، سفر التكوين، الفصل الثامن، ج١، ص١٦.

(٢) الراوي، عبدالوهاب عبدالرزاق، طوفان نوح بين الأساطير والآثار والقرآن، دمشق، دار سعد الدين، ط١، ٢٠١١، ص١٧.

(٣) من ملخص كتاب Friedrich Parrot . **Journey to Ararat,:**

موقع: www.ebay.com

(٤) من موقع: www.noahsarksearch.com

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثّقت الحكومة التركية حالات من الحملات التي جلبت الأخشاب إلى جبل أرارات[١].

والأمر الآخر هو: استحالة العثور على بقايا من السفينة فوق قمة إحدى جبال أرارات؛ ذلك لأن جبل أرارات من الناحية الجغرافية عُهد بأنه جبل بركاني خامد[٢].وإذا كان كذلك فمن المستحيل بقاء السفينة، أو ما يدل عليها من أحافير، وأن ما ظُن أنه أخشاب متحجرة تعود إلى السفينة، لم يكن سوى نباتات متحجرة بفعل ثورة البركان.

وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي قام بها "تشارلز ويلز" لاستكشاف جبل أرارات، مستعيناً بخبراء وأجهزة رادار مخترق للأرض ليكشف عن الآثار المتبقية، إلا أن نتائج رحلاته أظهرت أن هذا الجبل ليس الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح -عليه السلام- وقال: "إن الذين يواصلون البحث عن السفينة في أرارات يبحثون في المكان الخطأ "[٣].

٢) رست سفينة نوح في البحر الأسود

أما محاولات البحث عن آثار لسفينة نوح-عليه السلام- في البحر الأسود، فقد كانت من قبل عالم متمرس في علوم المحيطات يدعى "روبرت داون بالارد"، حيث جاء بحقيقة علمية وذلك أن الطبقة العلوية من مياه البحر الأسود وجدت من أنهار عذبة، في حين أن الطبقات التحتية هي مياه مالحة وتخلو من الأكسجين، مما يجعل من الصعب لمخلوقات كالبكتريا التي تسبب التآكل للمعدن والتهرؤ للخشب العيش فيها. وعلى هذا الأساس اعتقد بوجود آثار لسفينة نوح-عليه السلام- في قيعان البحر الأسود. لذا قام فريقه بعمليات الغوص في أعماق البحر الأسود إلى أن تمكن الفريق من جلب

---

(١) من موقع: https://news.nationalgeographic.com

(٢) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) ينظر: مقالة بعنوان: Gary A. Byers. **Is this the tomb of Noah?**

موقع: http://www.galaxie.com

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كمية من الخشب وأجروا عليه اختبارات علمية تبين أن الخشب يعود إلى سفينة قديمة لأكثر من(2300)سنة في القدم ولكنها لم تكن بقدم سفينة نوح-عليه السلام-[١]

٣) سفينة نوح-عليه السلام- فوق جبل الجودي

جاءت غالب المكتشفات الأثرية لتؤكد رسو سفينة نوح فوق قمة جبل الجودي، إذ يقع هذا الجبل في جنوب شرق تركيا "في بلاد الأكراد على بعد(8) كم من حدود العراق[٢]. وإلى الشمال من مدينة الموصل .

يقع جبل الجودي على بعد حوالي (٣٢٠) كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من جبل أراراط.[٣] وفي هذا رد على محاولات التوفيق التي قام بها بعضهم بادعائهم أن جبل الجودي أحد جبال أرارات، وأن المسافة بينهما قليلة مقدرة ب(20) ميل أو أقل، جاء في أحد المواقع أن سفينة نوح-عليه السلام- "ليست مدفونة في جليد جبل أرارات كما يدعي البعض...يمكنك زيارة بقايا سفينة نوح الآن في تركيا في جبال أراراط، على بعد (17) ميل جنوب أراراط في قاعدة جبل الجودي... إذ إن جبال أراراط تشير إلى مكان وليس جبلاً معيناً "[٤] ينظر في الملحق خريطة رقم [٧]

عثر عالم الجيولوجيا " فريدريش بندر" على قطع خشبية فوق قمة جبل الجودي تحتوي على الأسفلت، وذلك عام (1953)م، وتم فحصها بواسطة الكربون المشع الذي قدّر عمرها إلى (6500) ق.م. وهذا يؤكد على أنها من بقايا سفينة نوح.[٥]

---

(١) ينظر: الراوي، طوفان نوح بين الأساطير والآثار والقرآن، مرجع سابق، ص٢١٢ وص٢١٣.

(٢) جعفر: علي طلب، سفينة نوح (كارثة الطوفان العالمية)، مجلة ديالى، جامعة دالي، عدد:٥٨، ٢٠١٣ ، ص٥٢٩- ٥٧٧. وهنا ننبه على أننا لا نتفق مع صاحب الكتاب الذي يرى بأن طوفان نوح عالمي، إنما الطوفان كان محلياً.

(٣) http://www.cudi.info/html

(٤) مقالة بعنوان: has Noah ark been found in turkey? .

موقع: www.trustbible.com

(٥) موقع: http://noahsarksearch.com/cudi.htm

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقامت البعثة العلمية الأمريكية برئاسة "رونالد وايت" بتصوير طبعة السفينة كاملة وهي محفوظة في رسوبيات للمياه العذبة. ينظر في الملحق صورة رقم[٨]

خلُص "رونالد وايت" إلى أن طبعة الشكل أشبه بمركب تبعد حوالي (300) ميل من أقرب كتلة مياه، وأنها اكتشفت في منطقة ليست تلك التي تذكرها التوراة أي في جبال أراراط[١]. وبناءً عليه فإن الشكل أشبه بمركب موجود بالقرب من جبل الجودي.

تبين لنا مما سبق أن المكتشفات الأثرية توضح وتبين ما ذكره القرآن من أن سفينة نوح رست فوق الجوديّ، وإن هذا التطابق بين المعلومات القرآنية مع كشوفات علم الآثار يأتي تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود:٤٩).

المطلب الثاني: سنة الله في قوم لوط

أولاً: لوط -عليه السلام- وقومه في ضوء القرآن الكريم

آمن لوط -عليه السلام- واهتدى بهدي إبراهيم-عليه السلام-، قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت: ٢٦). وكانوا في أرض العراق ثم هاجروا إلى بلاد فلسطين. قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٧١). ثم انفصلا فبقي إبراهيم -عليه السلام- في فلسطين واتجه لوط -عليه السلام- إلى سدوم في منطقة جنوب غور الأردن.

(١) الراوي، طوفان نوح بين الأساطير والآثار والقرآن، مرجع سابق، ص٢٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء ذِكر القرآن الكريم لقصة لوط -عليه السلام- مع قومه في سياق مختلف عما ذكر من قصص لسائر الرسل. فيلاحظ من خلال الآيات الكريمة أنه تم التركيز على قضية أخلاقية كانت سبب هلاكهم وزوالهم. في حين أن قصص عامة الرسل كانت تركز بدايةً على قضية التوحيد ونبذ الشرك. قال ابن تيمية: "وقوم لوط ذُكر عنهم استحلال الفاحشة، ولم يذكروا بالتوحيد، بخلاف سائر الأمم، وهذا يدلّ على أنّهم لم يكونوا مشركين، وإنما ذنبهم استحلال الفاحشة، وتوابع ذلك ولذا كانت عقوبتهم أشد"[1].

فإنهم -قوم لوط- أول من مارس الشذوذ الجنسي وابتدعوه لأنفسهم، قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأعراف:٨٠). وحين أسرفوا وتجاوزوا الحدود الفطرية التي جبل عليها الإنسان، ورفضوا دعوة لوط -عليه السلام- جاءت سنته تعالى في إهلاك قومه.

ومن أسباب قيام سنة الله في عقاب قوم لوط عليه السلام، الآتي:

١) تكذيبهم لنبيهم لوط -عليه السلام- فقد ورد تكذيبهم لوطاً في عدة آيات من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ (الحج: ٤٢-٤٣). وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء:١٦٠). وغيرها من الآيات.

٢) الإصرار على موقفهم من تكذيب نبيهم لوط-عليه السلام- ومن صور تكذيبهم ما ورد في آيات القرآن الكريم من أنهم طلبوا منه الإتيان بعذاب الله، إن كان صادقاً فيما

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٠، ج٨ ، ص١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدّعي أنه رسول من رب العالمين، قال تعالى:﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩)

٣) الاستكبار وعدم قبول الحق ويتمثل ذلك بتهديدهم بإخراج نبيهم لوط -عليه السلام- من قريتهم، قال تعالى:﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ (الشعراء:١٦٧)

٤) مصادمتهم للفطرة الإنسانية التي جبلوا عليها، وقلبهم للمعايير الصحيحة وللموازين الاجتماعية؛ وذلك لإتيانهم الرجال من دون النساء، فقد " وقفت الآيات عند هذا المجتمع البشري لتبين سبباً من أكبر أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات، وهو الخروج عن سنن الفطرة التي فطر الناس عليها في شأن تكاثرهم وتناسلهم ،وتلبية رغباتهم الجنسية"[١]

٥) عدم التناهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ (العنكبوت: ٢٩). فأعمالهم تلك جعلت من قراهم رمزاً للخبث الذي اقترفوه، وجعلوا الشذوذ هو الأصل في حياتهم، بينما جعلوا المصلح الذي يطالبهم بالتنزه عنها إنساناً غير سويّ يستحق الطرد من قريتهم.

٦) الترف : حيثُ إنه ساعد أولئك القوم على الشذوذ والشرور. قال سيد قطب: "والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها."[٢]

---

(١) طهماز، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف، مرجع سابق، ص٨٢.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : سنة الله في إهلاك قوم لوط

وقعت سنة الله ومشيئته في إهلاك قوم لوط بعدما تكاتفت الأسباب والعوامل الموجبة لإهلاك الأمم وزوال حضاراتها، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ (العنكبوت:٣١).

ومن ثم فإن موعد هلاكهم كان وقت الصبح. قال سبحانه:﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود: ٨١).

والمتأمل في آيات القرآن التي تسرد قصة قوم لوط، يجد أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل صنوفاً وأنواعاً للعقاب والهلاك لاستئصال أولئك القوم الخاطئين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (العنكبوت:٣٤)، وهي كالآتي:

- طمس العيون: حيثُ بدأ عذاب قوم لوط بطمس عيونهم عن ضيوف لوط -عليه السلام- قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ (القمر: ٣٧).
- أخذهم بالصيحة. قال تعالى:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ (الحجر:٧٣).

والصيحة: هي الصوت الشديد المرتفع[1] بمعنى الصاعقة. عند سماعها يموت الإنسان.

([1]) ينظر: الراغب، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٤٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قلب ديارهم وتدميرها. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ (هود: ٨٢)، وقال في موضع آخر: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ (الحجر: ٧٤)، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾ (النجم: ٥٣).

- إمطارهم بحجارة من سجيل[1]. قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ (الأعراف: ٨٤)، ووصف تعالى بأن هذا المطر من طين فقال: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ (الذاريات: ٣٣)، وقال في موضع آخر: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود: ٨٢-٨٣).

والمَّنْضُودٍ يعني أنه نضد بعضه فوق بعض، وقيل: بعضه في أثر بعض، بمعنى الترتيب والتراكم، والمسوّمة أي: المعلمة[2]، ثم وصف تعالى الحجارة التي أرسلها عليهم بالحاصب، والحاصب: الحصى الصغيرة من الحجارة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ (القمر: ٣٤).

([1]) والسجيل: الطين المتحجر بطبخ أو غيره، أي الشديد الصلب من الحجارة. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤ هـ ، ج٦، ص٢٨٨٩.

([2]) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق ، ج٤، ص١٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: قرى قوم لوط بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

لم يأت القرآن الكريم بنص صريح يعين موقع قرى قوم لوط، وإنما جاء ببعض الإشارات والدلالات التي يُفهم منها أن قرى قوم لوط كانت في مكان معروف ومعهود للعرب. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا ﴾ (الصافات: ١٣٧-١٣٨). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَل كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان:٤٠). وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الحجر:٧٦).

تشير الآيات الكريمة إلى حقيقة جغرافية تتعلق بموقع قرى قوم لوط. وذلك أنها كانت تقع على طريق ثابتة يسلكها الناس ويرون آثارها. ولقد كان ممراً في طريق القوافل التجارية لقريش من الحجاز إلى الشام والتي كانوا يسلكونها ذهاباً وإياباً. قال الرازي: إن "هذه القرى وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف، والذين يمرون من الحجاز إلى الشام يشاهدونها"[١].

ومما يدلل على أن قرى قوم لوط تقع في طريق رئيسي وثابت يسلكه السالكين ويعرفه كل من تردد على تلك الديار، مجيء الفعل في "لَتَمُرُّونَ" بصيغة المضارع إيذاناً بتجدد المرور وتكرره. فإن ديارهم في طريق ثابت ومعروف، كذلك مجيء الصفة وهي هنا: "مقيم" في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾،ومقيم على وزن فعيل بمعنى مفعول. إذ إن هذه الصيغة تدل على أن الوصف ملازم لصاحبه بحيث أصبح سجيةً له[٢]، وهو ما التفت إليه ابن عاشور حيثُ جعل أصل الإقامة في: "الشخص

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج١٩، ص١٦٢.

(٢) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، عمّان، دار عمّار، ط١، ٢٠٠٥، ص٥٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستقر في مكانه غير مرتحل. وهو هنا مستعار لآثار المدينة الباقية في المكان بتشبيهه بالشخص المقيم."[١] وآثار المدينة هنا هي طرقها.

إن قرى قوم لوط كانت بناحية الأردن على شاطئ البحر الميت، قال ابن عاشور: "وكان أهل مكة إذا سافروا في تجارتهم إلى الشام يمرون ببلاد فلسطين فيمرون بأرض لوط على شاطئ البحر الميت المسمى بحيرة لوط"[٢]. ومزيداً من التوضيح لمسارات رحلة قريش، فإن طرق التجارة كانت "تمر من العقبة ووادي عربة والبحر الميت والأغوار ثم السيرُ شمالاً نحو دمشق الشام"[٣]

وهذا ما أكدته الكشوف العلمية الحديثة في تحديد الطرق التجارية المعروفة قديماً. فقد أجرى أستاذ علم الآثار "محمد وهيب" بحثاً بالتعاون مع عمادة البحث العلمي في الجامعة الهاشمية في الأردن، وأكدت نتائج هذا البحث المستندة على نتائج التنقيبات الأثرية "وجود طرق وممرات على طول امتداد الشاطئ الشرقي للبحر الميت، مما يدل على أن وادي الأردن كان طريقاً مسلوكاً في كافة الاتجاهات"[٤]

بات من المؤكد توافق روايات المفسرين والمؤرخين، مع الكشف التاريخي الحديث في إثبات أن ديار قوم لوط تقع على طريق رئيسي مسلوك لكافة السالكين والتجار. وأن هذه القرى تقع في منطقة غور الأردن "جنوبي البحر الميت"[٥].

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٣، ص٥٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٣، ص٨٢.

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٨٨،ج١، ص٥٢٣.

(٤) جبارة: ماجد، **اكتشاف المدن الغارقة في البحر الميت**، على شبكة الإنترنت، ٢٠١٧/٩/٢٥

موقع صحيفة الرأي: www.alrai.com

(٥) أبو ريدة: يوسف أحمد علي، ٢٠٠٨، أعلام المكان في القرآن الكريم: دراسة دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، اللغة العربية، الدراسات العليا، جامعة الخليل، ص١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما هذه القرى فقد أشار النص القرآني إلى تعددها، حين جاء بلفظ "المؤتفكات" بمعنى "المنقلبات". قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴾ (الحاقة:٩). ومع ذلك اختلف المفسرون في عدّها. فقيل : ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل سبع. والمشهور أنها خمس ، وهذه الأسماء مختلف في ضبطها، وهي: سدوم، و عامورا أو عامورة، و دومة، و ساعورا، وصوعر أو صغر أو زُغر[١].

تقع هذه القرى في غور الأردن، حيثُ كانت تتبع سدوم التي كانت قصبتها العظمى في الفساد. ومن هنا يلحظ أن القرآن الكريم عبّر عن هذه القرى بالقرية الواحدة[٢]؛ إذ فيها دلالة على أنها أم القرى في الفساد والإفساد، وأن فعلهم واحد متشابه. وأما مجيء لفظ المؤتفكة[٣]في صيغة الإفراد فإنه قد وجه الأنظار على وحدة مصيرهم، ووحدة المكان المتمثل في مركزية مدينة سدوم التي كانت قصبة قراهم. إذ تقع قرية سدوم بغور زُغر[٤]، وزُغر أو صوغر أو صوعر: "طرف البحرية المنتنة"[٥] بناحية الغور.

ينظر في الملحق خريطة رقم[٩]

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١٥، ص٤٤٣. وينظر: رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، ج٨، ص٤٥٣.

(٢) ورد لفظ القرية إشارة إلى قرى قوم لوط لاتفاق أهلها - في معظمها -على الفاحشة، ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (الأعراف:٨٢)، ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (النمل:٥٦)، ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۗ ﴾ (الأنبياء:٧٤)، ﴿ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ ﴾ (العنكبوت:٣١)، ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴾ (الفرقان:٤٠).

(٣) المؤتفكة من الإفك، وهو قلب الحقائق وتحويل الحق إلى باطل... ولقد قلب الله بيوت قوم لوط لمّا دمرها قلباً، فجعل عاليها سافلها. والعذاب والعقاب من جنس العمل فهم لمّا قلبوا الحقائق والقيم وقلبوا الفطرة قلب الله بيوتهم. ينظر: الخالدي، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، ص٥٢٠.

(٤) ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، د.م، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨، ج١، ص١٧٦.

(٥) الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٣.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسألة: البحر الميت وعلاقته بحادثة الخسف[١]

نشأ البحر الميت قبل زمن طويل من سكنى لوط -عليه السلام- في منطقة سدوم. إذ يتكون البحر الميت من حوض شمالي وآخر جنوبي يفصل بينهما شبه جزيرة اللسان. والحوض الشمالي هو البحر الميت الفعلي الذي لم تجف ماؤه ولم يسكنه أحد منذ نشأته أي قبل (11) ألف سنة من الآن، أما الحوض الجنوبي فهو الذي يتعرض للجفاف في كل حين، ولذلك فإن المدن الخمس - قرى قوم لوط- كانت حول هذه المنطقة .[٢]

وقد سكن لوط -عليه السلام- منطقة الحوض الجنوبي للبحر الميت، وكان يمتاز بخصوبة التربة وكثرة المياه التي ترفده بالحياة، ثمَّ بدأت الأمطار تزداد وبدأ الحوض الجنوبي ينغمر بالماء حتى غمر المدن الخربة في ذلك المكان.[٣] بأمر من الله لعقاب أولئك الآثمين.

إذن تبين مما سبق أنه لا علاقة بين وجود البحر الميت، وحادثة خسف قرى قوم لوط -عليه السلام- إذ إن البحر الميت موجود قبل زمن طويل من سكنى لوط -عليه السلام- في الجنوب منه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ذكر البعض أن البحر الميت والمعروف الآن ببحيرة لوط لم يكن موجوداً، وإنما تكون بعد حادثة الخسف وقلب الله قرى قوم لوط. عبد العظيم، سعيد، قصص الأنبياء: عظات وعبر، القاهرة، دار العقيدة، ط١، د.ت، ص٨١.

(٢) ينظر: عابد، عبد القادر، جيولوجية البحر الميت: نشأته ومياهه وأملاحه وقناة البحرين، عمان، دار الأرقم ، ط١، ١٩٨٥، ص ١٧ و ص ٣٢.

(٣) ينظر: عابد، جيولوجية البحر الميت: نشأته ومياهه وأملاحه وقناة البحرين، مرجع سابق، ص٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكتشفات الأثرية التي تشير إلى قرى قوم لوط -عليه السلام-

بات من المؤكد أن موقع قرى قوم لوط -عليه السلام- كان بالقرب من البحر الميت في حوضه الجنوبي، أما ما يثبت وجود آثار تدل عليهم في تلك المنطقة ،فإن القرآن أكد على وجود أدلة واضحة تركها سبحانه وتعالى في المنطقة المدمرة لتؤكد صدق ما حل بالقوم من عذاب، ولتكون عبرة لمن يأتي من بعدهم من أقوام. قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت:٣٥).

اختلف المفسرون في تحديد الآية والعلامة الدالة على قرى قوم لوط على أقوال، فقد تكون آثار منازلهم الخربة[١]. أو تكون الحجارة التي أمطرت عليهم[٢]. أو يكون الماء الأسود[٣]. أو بمعنى شهرتها بين الناس وشيوعها.[٤] وهذه الأقوال لا تعارض بينها. فقد تكون العلامة معنوية باشتهار حكايتها على الألسنة، وتكون حسية بإبقاء شيء من القرى يعتبرُ بها أو يدل عليها.

١) الماء الأسود

أشار المفسرون والمؤرخون إلى أن مناطق قرى قوم لوط معروفة بالماء الأسود. قال الرازي: "فإن القرية معلومة وفيها الماء الأسود، وهي بين القدس والكرك، وقال: هو ماء أسود منتن انشقت أرضهم وخرج منها ذلك"[٥]. وعرف الجيولوجيون الماء الأسود بأنه عبارة عن" كتل بترولية من الأسفلت كانت تخرج على شكل كتل ضخمة على سطح البحر الميت وانقطع خروجها قبل سنين قليلة، وآخر مرة رؤي فيها هذا الإسفلت كان عام (1936) م "[٦]

---

(١) هذا القول مروي عن ابن عباس.

(٢) وهذا القول مروي عن قتادة.

(٣) وهذا القول مروي عن مجاهد.

(٤) البيضاوي، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي ، بيروت ، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج٤، ص٣١٥.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ٢٥، ص٥٦. وينظر: ج٢٨، ص١٨٨.

(٦) ينظر: عابد، جيولوجية البحر الميت، مرجع سابق، ص٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجدر السؤال ها هنا: هل خروج الإسفلت من البحر الميت له علاقة بجغرافية المنطقة؟ والجواب هو: نعم، إن لخروج البترول أو الإسفلت على سطح البحر له علاقة مع منطقة البحر الميت، حيث تعتبر منطقة زلزالية نشطة. والزلازل هي حركات تحدث فجأة بسبب اضطرابات باطنية سواء في القشرة الأرضية نفسها أو في التكوينات التي ترتكز عليها، والذي يسبب هذا النوع من الزلازل هي :

أ- حركات الصدوع وما يصاحبها من انزلاقات في التراكيب السطحية تحت سطح الأرض.[١] وهذا ما يؤكده العلم الجيولوجي حيث إنه يقع في صدع تكتوني متجذر "إن صدع البحر الميت ما يزال نشطاً؛ لأنه يكّون حدوداً صفيحيه، فهو يفصل بين الصفيحة العربية في الشرق وصفيحة فلسطين وسيناء في الغرب. وصدع البحر الميت يمتد طوله نحو (1100) كم، وعرف هذا الصدع بانهدام البحر الميت، أو انهدام وادي عربة"[٢].

ب- وهناك نوع آخر من الزلازل يرتبط حدوثها بالثورات البركانية، وما يصاحبها من حركات عنيفة تؤدي إلى اندفاع المواد المنصهرة أو الغازية بقوة بين طبقات الصخور ويطلق عليها تعبير الزلازل البركانية.[٣]

وهنا نسأل: هل من الممكن وقوع الزلزالين- يعني حدوث الصدوع "الخسف" وثوران البراكين- في المنطقة في الوقت نفسه؟

يقول تعالى في كتابه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (هود:٨٢).

---

(١) ينظر: النصيرات، إبراهيم حسن شحادة، ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم، الأردن، د.ن، ط١، ١٩٨٠، ص٢٣٥.

(٢) عابد، عبدالقادر، جيولوجية الأردن وبيئته ومياهه، عمّان، نقابة الجيولوجيين الأردنيين، ط٢، ٢٠٠٩، ص ٣٥٨.

(٣) النصيرات، ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٢٣٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشير الآية الكريمة إلى أن المنطقة تعرضت لزلزال عنيف صاحبه حدوث انفجار بركاني على ضفتي بحيرة لوط، فقد "حدث هذا الدمار بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبتها عدة انفجارات، وأضواء نتج عنها غاز طبيعي وحريق شامل، تحررت القوى البركانية التي كانت هامدة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور. ولا تزال فوهات البراكين الخامدة تبدو ظاهرة في الوادي العلوي من الأردن قرب باشان، بينما تترسب الحمم البركانية وتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح الكلسي، تدل هذه الحمم المتحجرة وطبقات البازلت على تعرض هذه المنطقة إلى هزة عنيفة وبركان ثائر في زمن من الأزمنة"[١]

٢) الحجارة المسوّمة

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴾ (هود:٨٢-٨٣).

والمنضود صفة لسجيل وهو "الطين المتحجر" وذلك أنه نضد بعضه إلى بعض، قال الرازي: "إن كل حجر ما فيه من الأجزاء منضود بعضها ببعض ، وملتصق بعضها ببعض"[٢]. والمسومة بمعنى المعلّمة، أي التي عليها علامة تميزها عن غيرها من حجارة الأرض المعهودة. وقد ذكر المفسرون عدة علامات تميزها عن غيرها، منها[٣]: أنها مطوقة بها نضحٌ من حمرة. وقيل: عليها سيما خطوط. وقيل: المسومة: المخّتمة، أي عليها ختم فقد روي عن ابن عباس أن الحجارة المختومة "يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء "[٤].

(١) هارون يحيى، الأمم البائدة، مرجع سابق، ص٦١.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج١٨، ص٣٢.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج١٥، ص٤٣٨.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج٢٢، ص٤٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصف المؤرخون كالاصطرخي: الحجارة بأنها كانت متقاربة في حجمها قال: "وديار قوم لوط هي أرض تسمى الأرض المقلوبة، وليس بها زرع ولا ضرع ولا حشيش، وهي بقعة سوداء قد فرشت بحجارة كلها متقاربة في الكبر، ويروى أنها الحجارة المسومة التي رُمي بها قوم لوط، وعلى عامة تلك الحجارة كالطابع"[١]. ووافق ابن حوقل الاصطرخي في وصفه للحجارة المسومة، فقال: "وعلى جميع تلك الحجارة كالطابع من وجهيها، وهي شيء كقوالب الجبن المستديرة هيآتها وخلقها ، فلا يرى فيها ما يخالف شيئاً من أشكالها"[٢].

المكتشفات الأثرية ودورها في تعيين صفة الحجارة المنضودة والمسوّمة

عثر بعض المستكشفين في المنطقة الجنوبية الغربية للبحر الميت، وما حولها من منطقة البحر الميت على حجارة صغيرة ذات تراكيب عجيبة. قد تكون هي الحجارة المسومة التي أُرسلت إلى قوم لوط الآثمين. وهذه الكشوفات تؤكد صدق ما جاء في القرآن من وصف دقيق لهذه الحجارة، ذلك أنها كانت صغيرة الحجم؛ ولذلك قال عنها حاصب. ينظر في الملحق صور رقم[١٠]

وجدوا أن لها شكل كروي وأن بعضها مكون من قلب من الكبريت أبيض اللون مغلف بطبقات حجرية تميل إلى الحمرة. ومن العجيب أن تتفق الأوصاف التي أعطاها المفسرون لهذه الحجارة مع المواصفات التي اكتشفها الباحثون فهي حجارة مكونة من طبقات منضودة[٣]

---

(١) الاصطرخي، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، د.ط، د.ت، ص٤٨.

(٢) ابن حوقل، صورة الارض، مرجع سابق ،ج١، ص١٨٥.

(٣) العبادي: منصور أبو شريعة، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على شبكة الإنترنت، ٢٠١٧/١٠/٧.
http://quran-m.com/quran/article/2670

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣) بقايا آثار قرى قوم لوط

قال تعالى:﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾(النجم: ٥٣). وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (هود: ٨٢)، وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ (الحجر: ٧٤).

تشير الآيات الكريمة إلى أن الله قلب قرى قوم لوط وجعل عاليها سافلها، يقال أهوى: بمعنى ألقاه في هوّة و" الهُوّة كلّ وَهْدَة عميقة"[١]. ويأتي الإهواء في معنيين:

- إن الله أمر جبريل برفع القرى في الجو ثم أسقطها.
- الإسقاط في باطن الأرض، وذلك من أثر زلازل وانفجارات أرضية بركانية.[٢]

والقول الثاني يؤيده كما قلنا سابقاً من أن منطقة البحر الميت منطقة زلزالية نشطة.

ومن الدلائل اللغوية التي تؤكد على قلب قرى قوم لوط. ما يفهم من أن قرى قوم لوط أصبحت بعد حادثة الخسف تحت سطح الأرض بدلالة الحرف "على" قال تعالى:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾ (الصافات:١٣٧). وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ﴾ (الفرقان:٤٠). ففي الآيتين لطيفة لغوية تدل على أن القرى بعد القلب أو الزلزلة أصبحت أسفل من الطريق المسلوكة؛ وذلك لأنها مقلوبة، قال ابن عاشور: "يقال: مر عليه ومر به، وتعديته بحرف "على" تفيد تمكن المرور أشد من تعديته بالباء، وكانوا يمرون بديار لوط بجانبها لأن قراهم غمرها البحر الميت و آثارها باقية تحت الماء"[٣].

ينظر في الملحق صورة رقم[١١]

(١) الفراهيدي، كتاب العين، مرجع سابق ، ج٤، ص١٠٥.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٧، ص١٥٣.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٣، ص٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تم الكشف جزئياً عن عدد من القرى والمدن المتهدمة على الشاطئ الشرقي من البحر الميت، تعود إلى ما يقارب (3000)عام قبل الميلاد، ثم تم الكشف عن قرية "باب الذراع"[١]، والتي تعود إلى ما يقارب (2800)عام قبل الميلاد، كما كشف عن مقبرة ضخمة على الشاطئ الشرقي تحتوي حوالي أربعين ألف قبر، كما كشف عن مقبرة جديدة أيضاً قرب المقبرة الأولى وتحوي عشرات الآلاف من المدافن وأرخت إلى حوالي ٢٥٠٠ – ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد.[٢]

ومن المؤكد أنه يلزم من الكشف عن هذه المقابر وجود مدن وقرى بجوارها، إلا أنه لم يتم العثور عليها، وهذا ما يتطابق ومصير قوم قرى قوم لوط إذ قلب الله عليهم قراهم. وإن الكشوف المقبلة سوف تكون أكثر إيضاحاً وأكثر بياناً. ولذلك فنحن ما زلنا بحاجة إلى دراسات علمية تدرس جيولوجية الأرض وتتابع طبقات الصخور في منطقة جنوب البحر الميت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) باب الذراع هي مقبرة أثرية تقع في منطقة غور الذراع، على بعد ٧كم شرق منطقة اللسان على شاطئ البحر الميت، جنوب غور الحديثة وترتفع ٧٠ م فوق سطح البحر. موقع ويكيبيديا.

(٢) السعايدة، جميل، البحر الميت: واحد من أصل (٢٨) موقعا لترشيحه كإحدى عجائب الدنيا السبع، الدستور، تاريخ النشر ٢٠١١/٨/٢٧، http://addustour.com/articles/747111

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: دور المكتشفات الأثرية في وصف الأشخاص بين أقوال المفسرين والكشف التاريخي الحديث

تمهيد

يقصد بالأشخاص في هذا المبحث : الشخصيات التاريخية البشرية[١] التي وردت في سياق القصص القرآني. وإن العامل الأساسي في تقسيم الشخصية في القرآن الكريم، هو العامل الديني (العقيدة والتقوى) ومن أحوال هذه الشخصيات تؤخذ العظة والعبرة، فهناك "الشخصية الصالحة والشخصية المفسدة، وهناك شخصية الرجل وشخصية المرأة،... وهناك شخصية النبي وشخصية الحاكم إلى غير ذلك من الشخصيات"[٢]

والشخصية في القرآن الكريم واقعية لها وجودها، فهي ليست مُختلقة ولا ملفقة ، كما يدعي بعض المستشرقين والمشككين منذ زمن.

فهم يشككون في أن القرآن الكريم وحياً من عند الله تعالى، بل نسبوه إلى أن النبي محمد -ﷺ- أخذه من كتب اليهود والنصارى، ومن ثم كان يخطئ -ﷺ- في نقلها، ويقع القرآن الكريم في زعمهم في خطأ تاريخي كبير.! ومن هنا كان علينا أن نعتمد على دلالات الآيات القرآنية التي تشير إلى المضامين التاريخية وأهمها الشخصيات، مع تدعيم الاستنباطات والترجيحات بالاكتشافات العلمية والأثرية الحديثة.

---

(١) قلت البشرية لأن هناك شخصيات غير بشرية كالملائكة، والحيوانات التي ذكرت في القرآن مثل الغراب ،والهدهد، والذئب وغيرها.

(٢) الدقور، سليمان محمد ،المنهج في القصص القرآني، عمان، دار القطوف، ط٢، ٢٠١٢، ص٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : شخصية هامان في القرآن

تُمثل شخصية هامان نموذجاً للشخصية الكافرة المتعالية على الحق، وكان من الشخصيات الأساسية السلبية التي وقفت في وجه الدعوة والاصلاح، وقد ورد اسم هامان في القرآن الكريم في ستة مواضع، كالآتي:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: ٦).
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ (القصص: ٨).
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨).
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٩).
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٤).
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾ (غافر: ٣٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نلاحظ من الآيات السابقة أن هامان كان من أحد أركان الثالوث الباغي الذي كان يحكم مصر زمن موسى -عليه السلام- ففرعون هو: حاكم مصر المستبد المتجبر بقوته العسكرية، وهامان: مساعد "حاكم مصر" والذراع الأيمن له في تنفيذ رغباته وأوامره، وقارون: أحد أغنياء بني إسرائيل.

تأتي الآيات القرآنية لتؤكد أن هامان كان في الفترة الزمنية التي أرسل فيها موسى -عليه السلام- إلى فرعون وهامان وقارون، وأنه كان يشغل منصباً كبيراً في مصر، هذا المنصب باتفاق المفسرين جميعهم أنه كان وزيراً لفرعون حاكم مصر، قال ابن كثير في تفسيره: "أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين، ليتخذ له آجُرّا لبناء الصرح".[1] أما تحديد وظيفته فإن القرآن الكريم حوى إشارات تاريخية تكشف عن حقيقة عمل هامان ووظيفته.

يأتي هامان في القرآن كقائد للجيش، أو مسؤولاً عن قطاع منه، فمثلاً تشير آيتا سورة القصص (٦) و (٨) إلى أن فرعون وهامان لهما أتباع وهم الجنود، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا ﴾ وهذا فيه دلالة على أن "هامان متمكن وله سلطة قوية تدعمه الجنود لا تقل أهمية عن سلطة فرعون"[2]، وأنه من الأشخاص المقربين من فرعون في دعمه له في مواجهته مع موسى-عليه السلام-

وتشير آية القصص (٣٨) وآية غافر(٣٦) كذلك إلى أن هامان شخص مسؤول عن أعمال البناء، قال تعالى عن فرعون في أمره لهامان: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَامَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا ﴾ ،والصرح: من صرح الشيء وصرحه: إذا بينه وأظهره، ومنه قيل للبناء العالي والمرتفع الصرح؛ لظهوره وتميزه [3].

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٦، ص٢٣٨.

([2]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج١٧، ص ١٠٨٧٧، (بتصرف يسير).

([3]) ينظر: مختار الصحاح، مرجع سابق، ج١، ص٣٧٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمرَ فرعون هامان أن يبني له بناء عالياً، كالبرج، ليصعد إلى إله موسى، وهذا الأمر ينسجم مع المعتقد المصري حول "السلم المؤدي إلى السماء الذي كان أصلاً أحد عناصر الإيمان بالشمس"[١].

وهامان من الشخصيات التاريخية التي اعترض بها المستشرقون وجعلوها من ضمن شبهات كثيرة للتشكيك بصحة القرآن الكريم ، فادعوا أنه لم يكن معاصراً لفرعون، بل لم يكن من قوم فرعون أصلاً، إذ يقولون: "جاء في القرآن أن هامان كان وزيراً لفرعون وهذا خطأ تاريخي؛ لأن هامان كان وزيراً لأحشويروش ملك الفرس في مدينة بابل، وبين فرعون و أحشويروش زهاء ألف سنة"[٢] - كما جاء في سفر أستير التوراتي- الذي عاش بعد موسى بـ (١١٠٠) سنة والذي ظلم اليهود ظلماً كثيرا بعد الأسر البابلي "بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ عَظَّمَ الْمَلِكُ أَحَشْوِيرُوشُ هَامَانَ بْنَ هَمَدَاثَا الأَجَاجِيَّ وَرَقَّاهُ، وَجَعَلَ كُرْسِيَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ. فَكَانَ كُلُّ عَبِيدِ الْمَلِكِ الَّذِينَ بِبَابِ الْمَلِكِ يَجْثُونَ وَيَسْجُدُونَ لِهَامَانَ، لأَنَّهُ هكَذَا أَوْصَى بِهِ الْمَلِكُ. وَأَمَّا مُرْدَخَايُ فَلَمْ يَجْثُ وَلَمْ يَسْجُدْ.... وَلَمَّا رَأَى هَامَانُ أَنَّ مُرْدَخَايَ لاَ يَجْثُو وَلاَ يَسْجُدُ لَهُ، امْتَلأَ هَامَانُ غَضَبًا. وَازْدُرِيَ فِي عَيْنَيْهِ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى مُرْدَخَايَ وَحْدَهُ، لأَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ عَنْ شَعْبِ مُرْدَخَايَ. فَطَلَبَ هَامَانُ أَنْ يُهْلِكَ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي كُلِّ مَمْلَكَةِ أَحَشْوِيرُوشَ، شَعْبَ مُرْدَخَايَ "[٣]

وكما هو ملحوظ فالروايتين - القرآنية والتوراتية - متضاربتين، ومن هنا زعم بعض المستشرقين بأن الرسول محمد - ﷺ- كتب القرآن نقلاً عن التوراة والإنجيل، وأنه أخطأ عند نقل بعض المرويات من هذين الكتابين، وأن هذا هو السبب في وجود بعض الاختلافات بين القرآن والكتب الأخرى.

(١) فتوحي، لؤي والدركزلي، شذى، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم: تاريخ بني إسرائيل المبكر، لندن، دار الحكمة، ط١، ٢٠٠٢، ص١٣٣.

(٢) مرزوق، عبدالصبور والمطعني، عبد العظيم و آخرون، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، القاهرة، د.ن، ط٦، ٢٠١٠، ص٤٦١.

(٣) الكتاب المقدس: العهد العتيق، سفر أستير، ج٢، الفصل الثالث، ص٨٨٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويردُ على هذه الشبهة وتلك الرواية -التوراتية- بأن قصة هامان وزير الملك أحشويروش لا تثبت تاريخياً بشهادة علماء التوراة، فإن الإشكالات التاريخية في سفر أستير كبيرة جداً، حيثُ تقول إحدى الدراسات النقدية الحديثة: "من الأفضل النظر إلى سفر أستير على أنه أقصوصة خيالية تاريخية تجري أحداثها داخل الإمبراطورية الفارسية".[1]

ويجدر السؤال هنا: ما دور المكتشفات الأثرية والتنقيبية في رد هذه الادعاءات، وهل تثبت ما أشار إليه القرآن الكريم من أن هامان كان وزيراً لفرعون مصر زمن موسى -عليه السلام-؟ هذا ما سأحاول بيانه في هذا المطلب.

جاء الكشف التاريخي الحديث ليكشف عن معلومات مهمة جداً حول ورود اسم هامان في الكتابات المصرية القديمة، تأكيداً لقوله تعالى:﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص: ٨٨). وكان هذا الكشف نتيجة لحل رموز اللغة الهيروغليفية، وهي لغة مصر القديمة، وتم ذلك عام ١٧٩٩م زمن دخول الحملة الفرنسية على مصر، وذلك عند اكتشاف حجر رشيد الذي اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل. وجد على هذا الحجر - المتكون من البازلت الأسود- ثلاث كتابات مختلفة، وهي: اللغة الهيروغليفية، واللغة الديموطيقية واللغة اليونانية التي كتبت بالأحرف الكبيرة، وكانت هذه اللغات غير مقروءة ومنسية.[2]

وقد تبين للعلماء فيما بعد أن " نقش الحجر عبارة عن قرار أصدره المجمع العام لكهنة مدينة منف بمناسبة الاحتفال بالذكرى الأولى لجلوس الملك "بطليموس الخامس" على عرش مصر في ربيع عام ١٩٦ ق.م، وقد كان القرار باللغة

(١) فتوحي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم: تاريخ بني إسرائيل المبكر، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٢) ينظر: كمال، أحمد عادل، حجر رشيد والهيروغليفية ، د.م، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٩٣، ص٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليونانية، ولإصباغ القدسية عليه ترجم إلى الهيروغليفية والديموطيقية حتى يفهمه عامة الشعب المصري".[١]

والخط الهيروغليفي يعني "النقوش المقدسة" وهو أقدم الخطوط المصرية وأطولها عمراً وهي عبارة عن كلمات صورية[٢] أي في صيغة صور وعلامات ورموز" حتى لجأ المصري إلى تبسيط هذا الخط ، والذي تمثل في الخط الهيراطيقي ، ثم لجأ إلى تبسيط آخر تمثل في الخط الديموطيقي"[٣]

وأولى الخطوات لفهم النقش الهيروغليفي كانت من قبل الإنجليزي " توماس يونج" عام ١٨١٤م، حيث وجد أسماء ملكية قام بترجمتها، إلى أن تمّ حلّ جميع رموز اللغة الهيروغليفية بشكل كامل من قبل العالم الفرنسي "شامبليون" عام ١٨٢٢م حيثُ "توصل شامبليون إلى قائمة هيروغليفية مرتبة وقد حدد أسماء عديد من الملوك المصريين واستنبط نظاماً لقواعد اللغة وفك طلاسمها "[٤]

وقد أسهمت اللغة اليونانية في فهم وحلّ رموز الخط الهيروغليفي "وبمساعدة المتن باللغة اليونانية تيسر حل رموز اللغة المصرية القديمة... وبذلك تم تسليط الأضواء على لغة قديمة منسية وعلى المعلومات التاريخية المسجلة بهذه اللغة"[٥].

جاءت الكشوف الحديثة في علم الآثار - متمثلة بحجر رشيد- لتظهر صدق ما جاء في القرآن الكريم، والتي ورد فيها ذكر شخصية هامان وطبيعة عمله، في متحف "هوف" في فيينا، وظهر في كتاب بعنوان الأشخاص في المملكة الجديدة [٦] (Dictionary of Personal names of the New kingdom).

---

(١) الشريف، علي أحمد، لسان المصريين القدماء وعقيدتهم ، د.م، د.ن، د.ط، د.ت، ص٥.

(٢) روبالكابا، جيل، تاريخ مصر القديمة: علم الآثار يكشف أسرار ماضي مصر، ترجمة: ابراهيم محمد ابراهيم، مصر سلسلة ناشيونال جيوغرافيك، د.م، شركة نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص١٥.

(٣) نور الدين، عبدالحليم، اللغة المصرية القديمة، د.م، د.ن، ط٢، ١٩٩٨، ص١٠.

(٤) كمال، حجر رشيد والهيروغليفية، مرجع سابق، ص٥٧.

(٥) يحيى، هارون، المعجزات القرآنية، مؤسسة الرسالة، ناشرون، ط١، ٢٠٠٣، ص٧٥.

(٦) يحيى، المعجزات القرآنية، مرجع سابق، ص٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيثُ أظهر هذا الكتاب طبيعة عمل هامان، وهو أنه كان رئيس عمال الحجارة، تماماً كما صرح القرآن عن وظيفته، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾ (غافر:٣٦)، إن ذلك يدل على أن القرآن من عند الله ولم تنله أيدي التحريف.

ثانياً : هامان اسم أم لقب تاريخي

وهنا تساؤل هل (هامان) اسم خاص أو هو لقب يشترك معه آخرون كلفظ حاكم وملك وفرعون؟ وللجواب على هذا السؤال، يجدر التنبيه على أن المفسرين لم يلتفتوا إلى هذه المسألة، إلا أن ابن عاشور جعله لقباً حيثُ قال: "فالظاهر أن هامان لقب وزير الملك في مصر في ذلك العصر. وجاء في كتاب (أستير) من كتب اليهود الملحقة بالتوراة تسمية وزير(أحشويروش) ملك الفرس (هامان) فظنوه علماً، فزعموا أنه لم يكن لفرعون وزير اسمه هامان واتخذوا هذا الظن مطعناً في هذه الآية"[١]

وللأمانة العلمية أقول: وجدت إشارة إلى أن هامان لقب لوزير فرعون موسى -عليه السلام- هذا إن ثبت تاريخياً أن فرعون موسى هو "رمسيس الثاني" إذ إن هذا الأخير "استعان بهيئة من وزراء الدولة يرأسهم حسب العرف وزيرا الجنوب بطيبة والشمال بمنف"[٢] وكان باسر (هامان القرآن) كوزير للجنوب بطيبة، وقد كان مخلِصاً ووفياً لفرعون؛ ولأنه كان مقرباً من الفرعون، فقد قضى جل وقته في الشمال قريباً منه، وكان من أعماله الاهتمام بالعمال وأحوالهم، وأنه تميز وعماله في أعمال البناء والزخارف الفنية البديعة على المقابر في مدينة طيبة، والاهتمام

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٥.

(٢) كتشن، كنت، فرعون المجد والانتصار: رمسيس الثاني ملك مصر، ترجمة: أحمد زهير أمين، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٧، ص١٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأعياد آمون، وعُيين أخيراً كبيراً لكهنة آمون بالكرنك.[١] وهذا المنصب لا يمنح إلا لشخصية بارزة وقوية، ومن هنا نفهم العلاقة بين أمر فرعون هامان بأن يبني له صرحاً ليصعد إلى إله موسى وتنصيبه رئيس وكبير كهنة الإله "آمون". ولذا قيل بأن هامان "تعريب لاسم الإله الفرعوني القديم آمون أو عمون أو هامون"[٢] ،وعلى هذا فإننا إذا سلمنا جدلاً بالأمور الآتية :

- صحة سفر أستير وخلوه من التناقضات التاريخية.
- أن باسر هو هامان.

فيتعين أن هامان لقب أطلق على أكثر من شخص. وعليه سواء أكان هامان اسم خاص بمساعد حاكم مصر فرعون موسى-عليه السلام- أو كان لقب يشترك معه هامان وزير ملك الفرس وغيره، فقد أثبتت المكتشفات الأثرية "الفرعونية" -المتمثلة بالنقوش الهيروغليفية- وأوضحت الحقيقة القرآنية في الإخبار عن شخصية هامان فرعون، وأنه كان وزيراً لفرعون مصر أيام موسى -عليه السلام- وكان مسؤولاً عن أعمال البناء والحجارة وكان رئيساً للعمال، وهذا إعجاز تاريخي أظهر سبق القرآن في ذكره للحقائق التاريخية والتي صدقتها المكتشفات الحديثة.

(١) ينظر: كتشن، فرعون المجد والانتصار، مرجع سابق، ص١٧٨ و١٧٩.

(٢) الوردي، بهاء الدين، حول رموز القرآن الكريم، د.م، دار الرشاد الحديثة ، د.ط، د.ت، ج١، ص١٠٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: لقب (الملك) في القرآن.

يظن البعض بأن لقب: الملك، والعزيز ،والحاكم ،والعاهل وفرعون ألفاظ مترادفة تؤدي معنى واحداً، والصحيح أنه لا ترادف في لغة العرب، فإن كل كلمة في اللغة لها دلالة معينة ومعنى خاص بها، لا يمكن للفظ المرادف له أن يؤدي نفس المعنى.

ولذلك حين نتأمل ما في القرآن الكريم، نرى أنه عندما كان يتحدث عن الحاكم في زمن سيدنا يوسف -عليه السلام- يقول الملك[١]، وعندما كان يتحدث عن الحاكم في زمن سيدنا موسى -عليه السلام- يقول فرعون[٢]. بينما لم يفرق كُتّاب التوراة بين إطلاق لقب حاكم مصر في الزمنين، فمن زمن نبينا يوسف -عليه السلام- إلى زمن نبينا موسى -عليه السلام- أُطلق لقب فرعون ولم يُطلق لقب الملك، جاء في سفر التكوين "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ... فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: حَلُمْتُ حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ..."[٣] فما السرُّ الدقيق وراء هذا التفريق القرآني الجليل؟ مع العلم أن أحداث قصة سيدنا يوسف وموسى -عليهما السلام- وقعت على أرضٍ واحدة وهي أرض مصر .

اختلف المفسرون في فرعون موسى ،هل هو اسم خاص به، أو هو علم على كل من ملك مصر من ملوك العمالقة[٤]؟ ذهب ابن كثير والرازي إلى أن فرعون علم على كل من ملك مصر[٥]، ويستوي في هذا تسمية الحاكم في عصر النبي يوسف والحاكم في عصر النبي موسى بأنه فرعون. إلا إن ابن عاشور صرح في التفريق بين اللقبين استدلالاً بظاهر الآيات الكريمة، حيث فرق بين استعمال لقب فرعون والملك، فجعل فرعون: "علم جنس لملك مصر في القديم، أي: قبل أن

---

(١) ورد لقب الملك في سورة يوسف في خمس مواضع، آية ٤٣ و ٥٠ و٥٤ و ٧٢ و ٧٦.

(٢) ورد لقب فرعون في سور القرآن الكريم أكثر من ستين مرة.

(٣) سفر التكوين ٤١، https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٣.

(٥) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٥. وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣، ص٥٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يملكها اليونان، وهو اسم من لغة القبط..."[١]، و قال: " والتعريف في {الْمَلِكُ} للعهد، أي ملك مصر. وسماه القرآن هنا ملكا، ولم يسمه فرعون؛ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكاً لمصر أيام حَكمها "الهكسوس"، وهم العمالقة، أو هم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة، أي البدو..."[٢]

هل ما علل به ابن عاشور ثابت فعلاً عند علماء التاريخ والآثار؟

تأتي السجلات والكتابات التاريخية القديمة عن مصر لتوضح السبب في اختلاف اللقب بين هذين الحاكمين في مصر، وبما توصل إليه الكشف التاريخي الحديث من فك رموز الخط الهيروغليفي، حيث فتح هذا الاكتشاف الباب واسعاً للتعرف على حياة الفراعنة والمصريين القدماء.

جاء في العبرانية لفظ "فرعو" وفي العربية "فرعون" ولم يكن هذا اللفظ سوى تصحيف للفظين المصريين القديمة (الهيروغليفية) "برعو" أو "برعا" بمعنى البيت العظيم أو العالي أو بيت الحاكم.[٣] وللفظ مدلول تاريخي واضح حيث كانت في الأصل تطلق على القصر الملكي في تاريخ مصر القديم - فإن تاريخ مصر ينقسم إلى ممالك قديمة وممالك حديثة[٤]- ثم سرعان ما تغيرت وعدت تعبيراً محترماً ، يقصد به الملك نفسه " وأما استعمال فرعون كلقب بدأ في العهد الملكي الجديد وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة وحتى عهد الأسرة العشرين ".[٥]

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٨، ص٢٢٢.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، مرجع سابق، ج١٢، ص٦٨.

(٣) يوسف، أحمد عبدالحميد، مصر في القرآن والسنة، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩، ص١٧٤.

(٤) الممالك القديمة تبدأ من الأسرة (٣: ٨) ، والممالك الحديثة تبدأ من الأسرة (١٨ :٢٠) حيث جاء عصر الإمبراطورية الحديثة بعد فترة مضطربة عمتها الفوضى؛ حيث تعرضت مصر لسيل من الغزوات الخارجية الطامعة فيما يعرف باسم الهكسوس.

عبد الحميد، نور جلال، آثار وحضارة الدولة الحديثة في العصور المصرية القديمة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠١٠، ص١٩.

(٥) هارون يحيى، المعجزات القرآنية، مرجع سابق، ص٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذا فقد أثبتت الأبحاث التاريخية المستندة إلى النقوش والوثائق الأثرية المصرية القديمة أن لقب فرعون لم يكن يطلق على ملوك مصر بشكل دائم ومستمر في جميع الأوقات والفترات التاريخية المختلفة.

وقعت أحداث قصة يوسف-عليه السلام- مع إخوته في أرض مصر زمن الهكسوس، حيث احتل الهكسوس منطقة سيناء والدلتا واتخذوا عاصمة جديدة لهم عرفت باسم مدينة "أفاريس" عام ١٦٥٢ ق.م وبقي "حكم الهكسوس لمدة مائة عام ...وتوارثوا حكم البلاد منهم ستة ملوك"[١]، حتى جاء أحمس وقضى عليهم .[٢]

ومن ثم فقد اختلف في سبب تسميتهم بالهكسوس على أقوال ، منها : أنه بمعنى "ملوك الرعاة، أو بمعنى ملوك الأسرى، وأرجح الآراء أن كلمة الهكسوس مشتقة من اصطلاح (حقا- خست) بمعنى رئيس البلد الأجنبية .[٣]

بات من المؤكد أن القرآن الكريم يصدق التفريق الذي عرفه المصريون القدامى بين الملوك الذين كانوا يحكمونهم فيها إذا كانوا مصريين محليين أو لا، فإذا كان الحاكم غير مصري الأصل، قالوا عنه الملك، وإذا كان الحاكم مصري الأصل قالوا عنه فرعون.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) شحاته، مصطفى أحمد، كتاب لا تنقضي عجائبه، الإسكندرية، د.ن، د.ط، ٢٠٠١، ص١٧.

(٢) أحمس هو مؤسس الدولة الحديثة التي تبدأ بالأسرة الثامنة عشرة وهو أول ملوكها والذي تولى الحكم بعد وفاة شقيقه أثناء الحرب ضد الهكسوس. رويز، آنا، روح مصر القديمة، ترجمة: إكرام يوسف، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، د.ط، ٢٠٠٦، ص٢٠٣.

(٣) مهران، محمد بيومي، مصر: منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط٤، ١٩٨٨، ج٢، ص٤٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

فأحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة، والتي عنيت بالمكتشفات الأثرية وأثرها في الترجيح بين أقوال المفسرين، إذ خلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. المكتشفات الأثرية مصطلح حديث، وهو: ما يكتشف من بقايا ومخلفات مادية ومعنوية لحضارة من الحضارات السابقة والأمم البائدة ونتاج مجتمع من المجتمعات التي صنعها واستعملها في مختلف الأغراض.
٢. الإعجاز التاريخي هو: سبق القرآن الكريم في عرضه لحقائق تاريخية كانت مجهولة في عصر النبوة وما بعده، وموافقتها للحقائق العلمية والتنقيبات والمكتشفات الأثرية، والتي تُوصل إليها من خلال العديد من الأدوات والإجراءات التقنية والدراسات العلمية. وأن الإعجاز التاريخي جزء من الإعجاز العلمي، وفي قبوله ينجم عن فوائد متعددة، منها: إبراز صدق القرآن، وإبراز عالمية القرآن.
٣. إن من القواعد والضوابط اللازمة للتوفيق بين المكتشفات الأثرية الحديثة والنص القرآني: أن القرآن أصل الأصول جميعاً، وأنه لا تعارض بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.
٤. اتخذ القرآن الكريم أسلوبين للتنبيه على المكتشفات الأثرية، هما: أسلوب الدعوة الصريحة من خلال آيات السير في الأرض، وأسلوب الإشارة والتنبيه العام من خلا آيات التفكر وغيرها.
٥. يقصد بالخليفة: آدم -عليه السلام- وهو أول الجنس البشري، لم يتطور عن البشر الهمج، ولم يتطور عن فصائل القردة.
٦. وافقت المكتشفات الأثرية الحديثة ما ذهب إليه المفسرون من أن حضارة عاد كانت في جنوب شبه الجزيرة العربية، وأن حضارة ثمود كانت في شمال شبه الجزيرة العربية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. أوضحت المكتشفات الأثرية ما ذهب إليه المفسرون من أن سفينة نوح-عليه السلام- استقرت على جبل الجودي، وأن قرى قوم لوط تقع في غور الأردن، جنوب البحر الميت.

٨. بينت المكتشفات الأثرية الحديثة متمثلة بالنقوش الهيروغليفية، ما ذهب إليه المفسرون من أن هامان كان وزيراً لفرعون مصر زمن النبي موسى -عليه السلام- وأن إطلاق لقب الملك كان وقت حكم الهكسوس مصر.

التوصيات:

توصي الباحثة حول موضوع الرسالة بالآتي:

١) أن تتوجه عناية الباحثين إلى دراسة الأحداث التاريخية التي جاء ذكرها في القصص القرآني، دراسة أثرية معاصرة، فقد ظهر للباحثة عند استقراء آيات القرآن الكريم الكثير من النصوص التي تعالج هذا الأمر.

٢) العمل على توطيد وتقوية العلاقات بين علماء التفسير وعلماء الآثار، لفهم أحداث القصص القرآني، وللخروج بنتائج غير مصادمة للدين.

٣) أوصي الجهات المسؤولة بفتح قسم متخصص في مجال الإعجاز العلمي والتاريخي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **قائمة المصادر والمراجع:**
- **أولاً: المصادر**

- الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط ، ١٤١٥ هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط١، ١٩٨٧.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش، د.م، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧.
- البيضاوي، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين ،ط٤، ١٩٨٧.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠.
- ابن حبان، محمد ابن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٩٣.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، بيروت، دار العلم، د.ط، ١٤١٢هـ.
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط،١٩٩٠م.
- رضا، أحمد، معجم متن اللغة ، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٩٥٨
- الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، د.م، دار الهداية، ، د.ط ، د.ت.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط ، ٢٠٠٠.
- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، د.م، دار الكتب، ط٢، ١٩٧٣.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠٧هـ.
- سيد قطب ،إبراهيم، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، د.ط، د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث، د.ط، ٢٠٠٦.
- السيوطي، أبي الفضل جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية ، د.ط، د.ت.
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، د.م، مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت.
- الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن، القاهرة، المختار الإسلامي، ط١، ١٩٧٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٩٩٥.
- ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي، تفسير اللباب لابن عادل، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠٠٠.
- أبو عبدالله الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د.ط، د.ت.
- الغزالي، محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت ، دار المعرفة ، د.ط، د.ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.م، دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت ،مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٩٥م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.
- الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي والسامرائي، د.م، دار ومكتبة الهلال، ، د.ط، د. ت.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤.
- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، د.م، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، د.م، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.
- مصطفى، إبراهيم، والزيات ، أحمد، و النجار، محمد، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، د.م، دار الدعوة، د.ط ، د.ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت.

ثانياً: المراجع:

- الإسكافي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، د.م، دار الفتح، ط١، ٢٠١٠.
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٥.
- البلادي الحربي، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة، دار مكة، ط١، ١٩٨٢.
- بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، القرآن وقضية الإنسان ، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨١.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٢.
- بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : دراسةُ الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية، ط٨، ١٩٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- البيانوني، محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٥.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣.
- البيّني، عدنان، التنقيب الأثري الحديث، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٩٧٦.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار العطاء، ط١، ٢٠٠١م.
- ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار الكنوز الأدبية، د.ط، ١٣٩١هـ.
- ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٠.
- تيلوين، مصطفى، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا** ،بيروت، دار الفارابي، ط١، ٢٠١١.
- جبر، محمد أمين، الإنسان والخلافة في الارض، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان ،بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤ هـ.
- ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ، صورة الأرض، بيروت، دار صادر، د.ط، ١٩٣٨هـ،
- الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ط، د.ت.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر،ط٢، ١٩٨٨م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥١.
- أبو خليل، شوقي، أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط٨، ٢٠٠٧.
- الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، د.م، دار المعرفة، ط١، ١٩٦١.
- داروين، تشارلس، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، ترجمة: مجدي محمود المليجي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٥.
- داروين، تشارلز، أصل الأنواع ، ترجمة: إسماعيل مظهر، بيروت، منشورات مكتبة النهضة، د.ط، د.ت.
- داود، محمد محمد، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، القاهرة، دار غريب، د.ط، ٢٠٠٨.
- الدباغ، تقي، مقدمة في علم الآثار، العراق، منشورات دار الجاحظ، د.ط، ١٩٨١م.
- دراز، محمد عبدالله، الدين :بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.
- الدقور، سليمان محمد ،المنهج في القصص القرآني، عمان، دار القطوف، ط٢، ٢٠١٢م.
- ديل، بيرخينيا باخه، علم الآثار وصيانة الأدوات والمواقع الأثرية وترميمها، تعريب: خالد غنيم، بيروت، بيسان للنشر،ط١، ٢٠٠٢.
- ديورانت، ول، الوجيز في قصة الحضارة، أوجزه: غازي مختار طليمات، د.م، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٥.
- أبو ذياب، خليل إبراهيم، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم ، عمان، دار عمّار، ط١، ١٩٩٩.
- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، دار الحديث، د.ط، ٢٠٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، نقوش ثمودية من سكاكا: قاع فريحة، والطوير، والقدير، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، ٢٠٠٢.
- الراوي، عبدالوهاب عبدالرزاق، طوفان نوح بين الأساطير والآثار والقرآن، دمشق، دار سعد الدين، ط١، ٢٠١١.
- أبو الرب، محمود عبد المعطي، التكنولوجيا برهان على إعجاز القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.
- رحماني، أحمد، نظريات الإعجاز القرآني، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٨.
- رزق، عاصم محمد، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، د.م، مكتبة مدبولي، د.ط، ١٩٩٦.
- رشوان، حسين عبدالحميد أحمد، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، ٢٠٠٣.
- الركابي، إياد بن إبراهيم، السنن التاريخية في القرآن المجيد، بيروت، د.ن، ط١، ١٩٩٦.
- روبالكابا، جيل، تاريخ مصر القديمة: علم الآثار يكشف أسرار ماضي مصر، ترجمة: ابراهيم محمد ابراهيم، مصر سلسلة ناشيونال جيوغرافيك، د.م، شركة نهضة مصر، د.ط، د.ت.
- الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ط١، ١٩٨٧.
- الرومي، فهد بن عبدالرحمن، خصائص القرآن الكريم، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٩، ١٩٩٧.
- رويز، آنا، روح مصر القديمة، ترجمة: إكرام يوسف، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، د.ط، ٢٠٠٦.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، د.م، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- زريق، قسطنطين، في معركة الحضارة: دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٣.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، عمّان، دار عمّار، ط١، ٢٠٠٥.
- سبع، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم: عالم ما قبل القرآن، القاهرة، دار المنار، د.ط، د.ت
- سعفان، حسن شحاته، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، بيروت، منشورات مكتبة العرفان، د.ط، ١٩٧٩.
- سليم، شاكر مصطفى، قاموس الأنثروبولوجيا، د.م، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، د.م، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧.
- الشاعر، عمرو، نشأة الإنسان بين التوراة والقرآن ونظرية دارون، الجيزة، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠١٠.
- شاهين، عبدالصبور، أبي آدم: قصة الخليقة بين الاسطورة والحقيقة، مصر، دار أخبار اليوم، ط٢، د.ت.
- شحرور، محمد، الكتاب والقرآن: رؤية جديدة، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠١٣.
- الشريف، عبدالسلام بن نصر الله، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم ، الرياض، دار المعراج الدولية، ط١، ١٩٩٤.
- الشريف، علي أحمد، لسان المصريين القدماء وعقيدتهم ، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.
- شريف، عمرو، أبي آدم من الطين إلى الإنسان، د.م، مكتبة النافذة، د.ط، ٢٠٠٥.
- الشوكي، أحمد، علم الحفائر الأثرية، تحقيق: أحمد عبد الرازق أحمد ، القاهرة، د.ن، د.ط، ٢٠١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- صالح، سعد الدين السيد، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣.
- الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف، حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، د.م، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٩٦.
- طبّاره، عفيف عبدالفتاح، روح الدين الإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢٦، ١٩٨٥.
- طهماز، عبدالحميد محمود، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩٢.
- الظواهري، محمد كرم، مقدمة في علم الجيولوجيا ، د.م، د.ن، د.ط، ١٩٨٣.
- عابد، عبدالقادر، جيولوجية الأردن وبيئته ومياهه، عمّان، نقابة الجيولوجيين الأردنيين، ط٢، ٢٠٠٩.
- عابد، عبد القادر، جيولوجية البحر الميت: نشأته ومياهه وأملاحه وقناة البحرين، عمان، دار الأرقم ، ط١، ١٩٨٥.
- عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن، عمان، جامعة القدس المفتوحة، ط٢، ١٩٩٧.
- عبد الحميد، نور جلال، آثار وحضارة الدولة الحديثة في العصور المصرية القديمة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠١٠.
- عبود، عبد الغني، الإسلام والكون، د.م، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٧.
- العبيدي، خالد فائق، القوانين القرآنية للحضارات: دراسة قرآنية لأحداث التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥.
- العجل، فؤاد والخيمي، محمد نصوح، علم المستحاثات ، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.
- عرفه، تغريد فوزي عبدالخالق، العمارة الدينية في مصر الوسطى في العصريين اليوناني والروماني ، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠١١.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، الفروق اللغوية، علقّ عليه: محمد باسل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- العقاد، عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء، د.م، نهضة مصر، د.ط، د.ت.
- العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ط. د.ت.
- العقاد، عباس محمود، الفلسفة القرآنية ، د.م، دار الهلال، د.ط، ٢٠٠٤.
- العقاد، عباس محمود، مطلع النور، القاهرة، هنداوي، د.ط، ٢٠١٢.
- عقيل، عقيل حسين، نوح من وحي القرآن، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ٢٠١١.
- علام، فرج أحمد سالم، التداول الحضاري في القرن الكريم: دراسة في عوامل قيام الحضارات وانهيارها، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٦.
- علي، أحمد، لسان المصريين القدماء وعقيدتهم ، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.
- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة ،عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨.
- غلاب، محمد السيد، تطور الجنس البشري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٠.
- الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، إعداد: أحمد الكرداني، د.م، مطبعة السعادة ، ط١، ١٩٧٣.
- أبو غنيمة، زياد، العلم يتبرأ من نظرية دارون: أكبر جريمة تزوير علمي في التاريخ، الأردن، دار عمار، ط١، ١٩٨٩.
- فارس، نايف، علماء ومشاهير أسلموا، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٠.
- فتوحي، لؤي والدركزلي، شذى، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم: تاريخ بني إسرائيل المبكر، لندن، دار الحكمة، ط١، ٢٠٠٢.
- فرويد، سيغموند، الطوطم والتابو، ترجمة: بو علي ياسين، سورية، دار الحوار، ط١، ١٩٨٣.
- فريق من العلماء، خلق لا تطور: الإنسان ابن آدم وليس ابن قرد، تحقيق: إحسان حيقي، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٩٨٢.
- قادوس، عزت زكي حامد، علم الحفائر وفن المتاحف، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ط. ٢٠٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، بين آدمين: آدم الإنسان وآدم الرسول، سلسلة عندما نطق السراة، دمشق، دار كيوان، ط١، ٢٠٠٩.
- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، التوحيد عقيدة الأمة منذ آدم، سلسلة عندما نطق السراة، سورية، دار كيوان، ط١، ٢٠٠٩.
- قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، القاهرة، دار الشروق، ط١٠، ٢٠٠٨.
- كتشن، كنت، فرعون المجد والانتصار: رمسيس الثاني ملك مصر، ترجمة: أحمد زهير أمين، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٧.
- كرو بيتر، رحلة إلى مدائن صالح، ترجمة: محمد زياد كبة، الرياض، دار الملك عبد العزيز، د.ط، ١٤٣٤هـ.
- كفافي، زيدان عبد الكافي، المدخل إلى علم الآثار، اربد، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، د.ط، ٢٠٠٤.
- محمد، محمد الفتحي بكير، الجغرافيا التاريخية: دراسة أصولية تطبيقية، د.م، دار المعرفة الجامعية، د.ط، ٢٠٠٠.
- مرزوق، عبدالصبور والمطعني، عبد العظيم و آخرون، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، القاهرة، د.ن، ط٦، ٢٠١٠.
- المطرودي، عبدالرحمن بن إبراهيم، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٠.
- المغلوث، سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٣، ٢٠٠١.
- مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: في بلاد العرب، بيروت، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٨.
- مهران، محمد بيومي، مصر: منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط٤، ١٩٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن نبي، مالك، مشكلات الحضارة: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.م، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- النجار، زغلول راغب، وداوود، أحمد محمود، صور من حياة ما قبل التاريخ، الكويت، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٨.
- النجار، زغلول راغب، قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيد والمعارض ، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠٠٦.
- النجار، زغلول راغب محمد، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ٢٠١٢.
- النجار، زغلول، من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت.
- النجَّار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، سلسلة الشهود الحضاري للأمة الإسلامية(١)، د.م، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩.
- نجيب، عمارة، الإنسان في ظل الأديان: المعتقدات والأديان القديمة، الرياض، مكتبة المعارف، د.ط، ١٩٧٩.
- نخلة، منى يوسف، علم الآثار في الوطن العربي، لبنان، منشورات جروس برس، د.ط، ١٩٩٥.
- النشار، علي سامي، نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة، حلب، مركز الانماء الحضاري، ط١، ١٩٩٥.
- النصيرات، إبراهيم حسن شحادة، ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم، الأردن، فتحي نصيرات، ط١، ١٩٨٠.
- نور الدين، عبدالحليم، اللغة المصرية القديمة، د.م، د.ن، ط٢، ١٩٩٨.
- هارون يحيى، الأمم البائدة، ترجمة: ميسون نحلاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤.
- هارون يحيى، المعجزات القرآنية، مؤسسة الرسالة، ناشرون، ط١، ٢٠٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- هولتكرانس ،إيكه ، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري و حسن الشامي، د.م، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، د.ت.
- هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط١، ١٩٩٦م.
- وافي، علي عبدالواحد، الطوطمية: أشهر الديانات البدائية، القاهرة، دار المعارف بمصر، د.ط، ١٩٥٩.

ثالثاً: الرسائل والأبحاث العلمية

- بني أحمد: خالد والزقيلي، علي، آثار الأمم السابقة وحكم المحافظة عليها في ضوء الشريعة الإسلامية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، د.ت، المجلد السابع، العدد٣، ٢٠١٠.
- بدوي: عمار توفيق أحمد، ٢٠٠٥، مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين.
- أبو ريدة: يوسف أحمد علي، ٢٠٠٨، أعلام المكان في القرآن الكريم: دراسة دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، اللغة العربية، الدراسات العليا، جامعة الخليل.
- زرمان: محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم ، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية، مكتبة البنين، العدد السادس عشر، ١٩٩٨.
- الزيوت: يوسف، مدى صحة القول بأن الإنسان خليفة الله في الأرض، مجلة جامعة دمشق، د.م، المجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٠١.
- شهوان: راشد سعيد. تأصيل علم السنن الربانية، مجلة القسم العربي، العدد: الخامس عشر، ٢٠٠٨، كلية أصول الدين الجامعية، عمان ،الاردن، جامعة البلقاء التطبيقية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- عباس، فضل حسن، المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز، مجلة الجامعة الأردنية، المجلد١١، عدد٤، ١٩٨٤.
- أبو غزلة: محمد عقلة ، منظومة التعقل من خلال التفكر في الكون: دراسة في أساليب الدعوة من خلال القرآن الكريم ، مجلة جامعة الشارقة، د.م، مجلد ١٣، عدد ٢، ٢٠١٦.
- صحراوي: عبدالسلام، الرحلة إلى (إرم ذات العماد) المدينة المحجوبة: بين جبران ونسيب عريضة، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، مجلد(أ)، عدد٣٢، ٢٠٠٩.
- المغربي: أيمن بن نبيه بن غنام، السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم: جمعاً ودراسة ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٨هـ.
- فؤاد، يوسف بيهقي، الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠٠٣م.
- الهلالي: صادق واللبيدي، حسين، الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم، بحث محكم، ط٣، ٢٠٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: المواقع الإلكترونية

1- http://www.galaxie.com

2-https://news.nationalgeographic.com

3- sarksearch.com

4- www.ebay.com

5- http://noahsarksearch.com

6-http://www.eltwhed.com

7- http://www.oloommagazine.com

8-http://st-takla.orj/Bibles/BibleSearch

9- http://yemen-press.com

10- http://addustour.com

11- http://www.enjeel.com

12- https://news.nationalgeographic.com/news

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الملاحق

ملحق رقم[١]

خريطة لشبه الجزير العربية القديمة، نشرت في عام (1720)م، وهي تظهر العربية السعيدة، وذكر اسم (Oaditae)

ملحق رقم[٢]

خريطة توضح منطقة الربع الخالي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم[٣]

صورة فضائية توضح طرق صحراوية أو مدقات، وقد التقطها جهاز التصوير الراداري SIR-C من مكوك الفضاء.

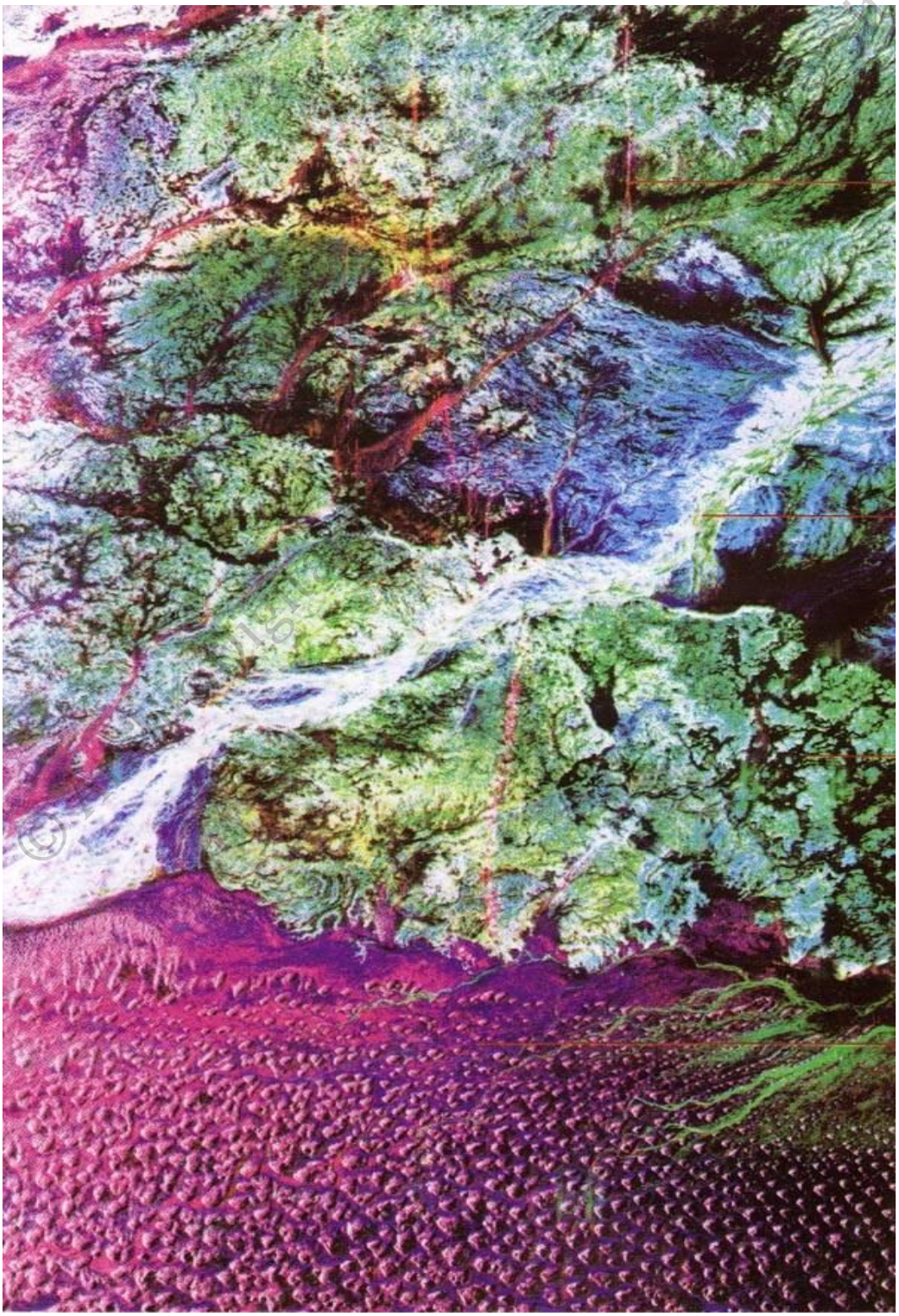

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صور من الاقمار الصناعية تبين بداية الأحقاف

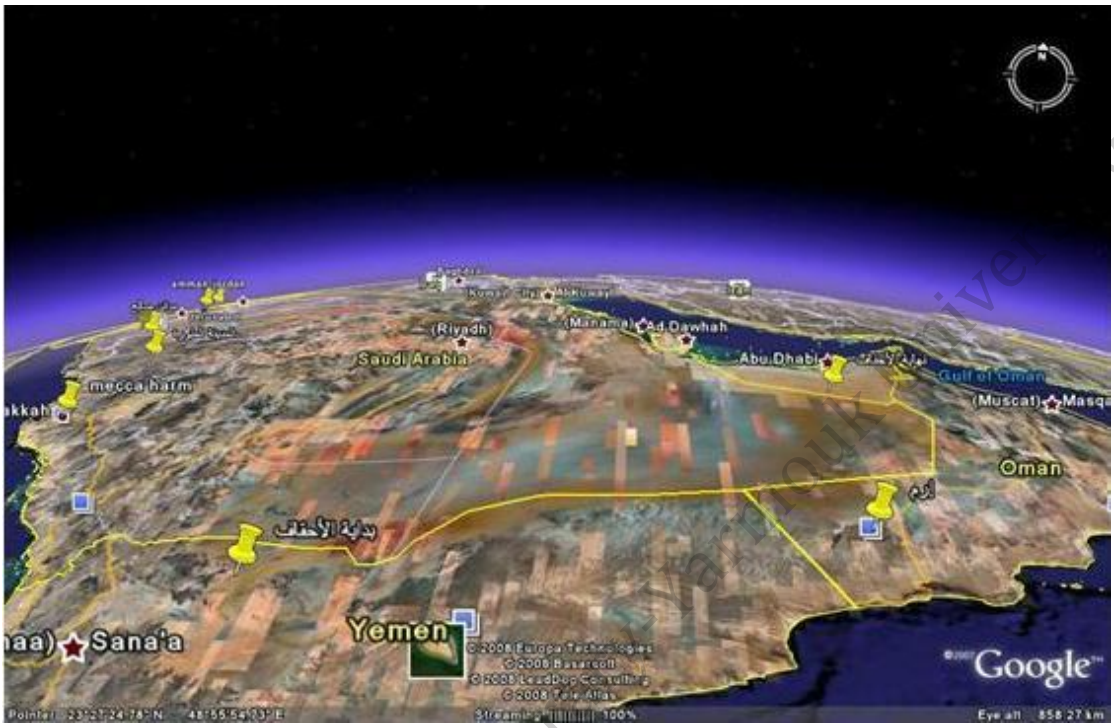

ملحق رقم[٤]

خريطة توضح منطقة مدائن صالح (الحجر)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم[٥]

صور للقصور الثمودية المنحوتة بالنقوش والزخارف المتميزة.

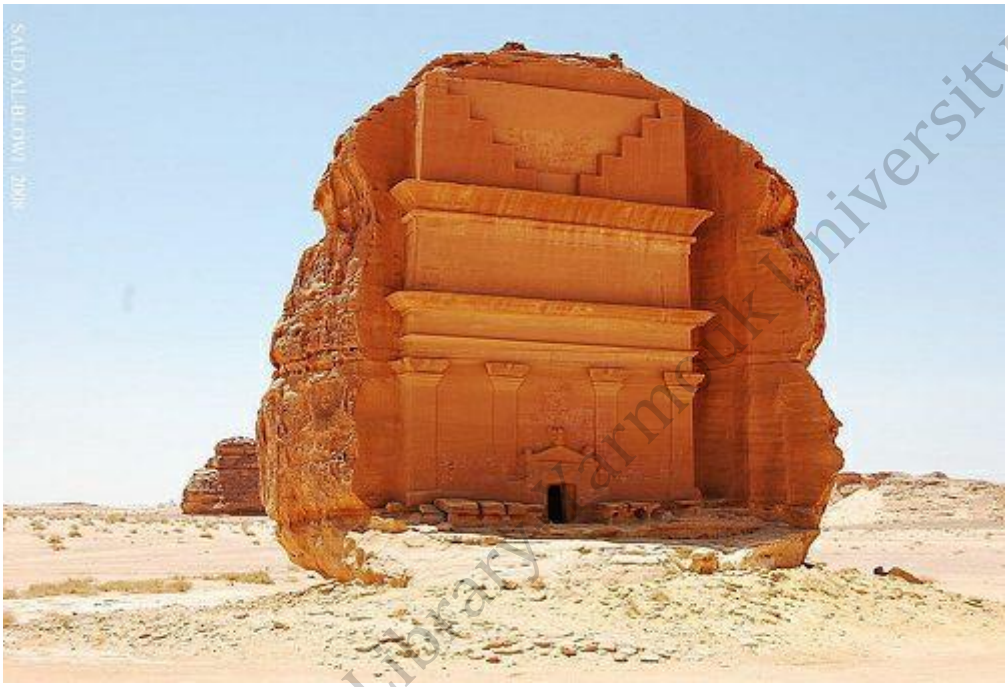

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم[٦]

خريطة توضح المناطق التي تعرضت للطوفان، وهي: أور، تل العبيد، أوروك "تل الورقة" وكيش.

ملحق رقم[٧]

خريطة توضح بعد المسافة بين جبل الجودي وجبل أرارات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم[٨]

طبعة السفينة

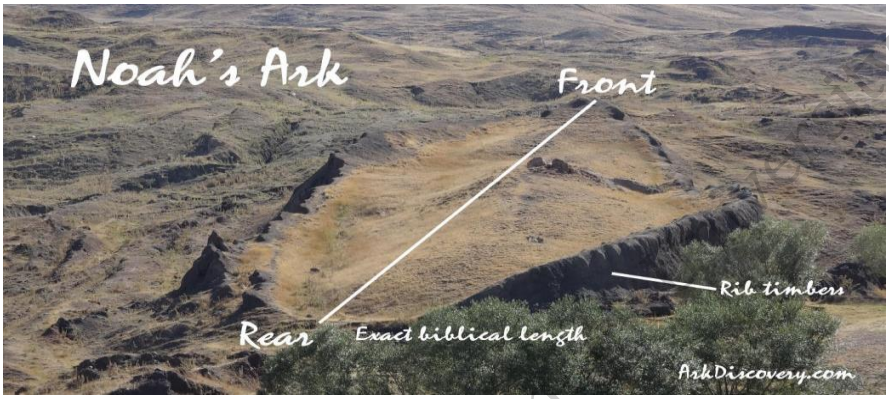

© Arab Academy Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم[٩]

صور من الاقمار الصناعية تحدد جغرافية مناطق قرى قوم لوط في جنوب البحر الميت

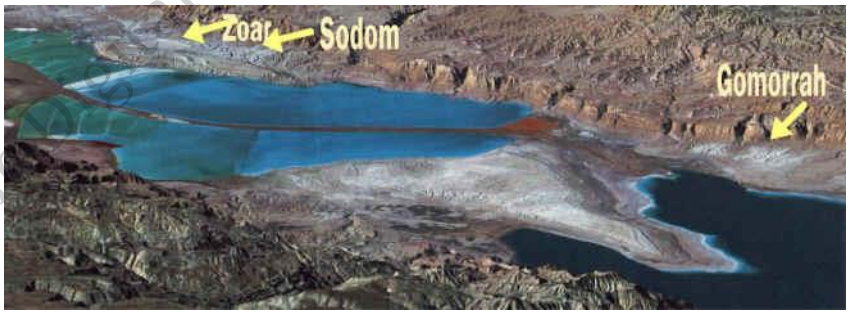

ملحق رقم[١٠]

صور الحجارة التي كشف عنها التنقيب الأثري في منطقة جنوب البحر الميت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم[١١]

صورة تظهر بقايا الخسف الذي حدث في منطقة قرى قوم لوط

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

Bani Salman, Rodyna Talal, The archaeological discoveries and their impact in the preponderance of the exponents sayings. MA Thesis, Yarmouk University, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Department of Religion Fundamentals, 2017. (Supervisor. Professor. Zakeria Ali Al Khader).

The aim of the study was to examine the role of archeological discoveries and their effect in likehood between exponents sayings. The study was divided into two chapters; the first addressed the concept of archeological discoveries and what is related to it in modern scientific efforts. The second chapter addressed the applied study of archeological discoveries and their role in like hood among exponents' sayings.

To achieve this objective, the study employed an analytical inferential design for Holy Quran verses, which were classified according to the sections of the study. Also, a critical design was employed to discuss exegetists; sayings and make like hood among them. The study concluded that the concept of archeological discoveries indicates to the material and moral remaining of any of the previous civilizations and nations, or the products of any given society that were used for achieving various purposes. It was also found that the historical miracles of The Holy Quran was that it was one of the first historical sources for several historical facts which were ambiguous in the time of prophecy and the following eras. These facts were consistent with the scientific facts, expeditions and archeological discoveries, which were reached based on several instruments, technical procedures and scientific studies.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

The results of the study also indicated that there is a need for some controllers to create a consistency between modern scientific discoveries and Quran texts, in addition to the need of supporting sciences needed for understanding Quran texts containing historical signs. Also, the results of the study showed that modern archeological discoveries are mentioned to clarify and explain the exegesis in historical signs and evidences relating to the human history in the various eras, in addition to explaining the evolution and development of previous civilizations, as indicated by exegetics ' sayings. Also, these archeological discoveries explain the reasons of nations' evanescence, which verify the exegesis in identifying the historical figures.

The suggested some recommendations, including the need for strengthening the relationships between exegetists and archeologists to study the historical events mentioned in the Holy Quran to come out with results that do not contradict with religion. Also, the study recommends opening a special department in Holy Quran miraculous nature.

Key Words: Archeological Discoveries, Modern Historical Discoveries.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com